بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المرسلات ١-١٥ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة المرسلات: مكية.

مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: الوعيد للمكذبين بالويل يوم القيامة.

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١﴾

أقسم الله بالرياح المتتابعة مثل عُرف الفرس.

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢﴾

وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣﴾

وأقسم بالرياح التي تنشر المطر.

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤﴾

وأقسم بالملائكة التي تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.

﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥﴾

وأقسم بالملائكة التي تنزل بالوحي.

﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾

تنزل بالوحي إعذارًا من الله إلى الناس، وإنذارًا للناس من عذاب الله.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾

إن الَّذي توعدون به من البعث والحساب والجزاء لواقع لا محالة.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨﴾

فإذا النجوم مُحِيَ نورها وذهب ضوؤها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩﴾

وإذا السماء شُقَّت لتنزل الملائكة منها.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠﴾

وإذا الجبال اقتُلِعت من مكانها فَفُتِّتَتْ حتَّى تصير هباءً.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١﴾

وإذا الرسل جُمِعت لوقت محدد.

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢﴾

ليوم عظيم أُجِّلت للشهادة على أممها.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣﴾

ليوم الفصل بين العباد، فيتبين المحق من المبطل، والسعيد من الشقي.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾

وما أعلمك -أيها الرسول- ما يوم الفصل؟!

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خطر التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المرسلات ١-١٥

الكلمة	المعنى
والمُرسلاتِ عُرفًا	قسَم بالرياح المتتابعة مثل عُرف الفرَس
فالعاصفاتِ عصفًا	فالرياح شديدة الهُبوب
والناشراتِ نشرا	قسَم بالملائكة تسوق السحاب وتفرّقه
فالفارقاتِ فرقا	فالملائكة تأتي بالوحي فُرقانا بين الحق والباطل
فالمُلقِيات ذِكرا	فالملائكة تُلقي وحي الله إلى الأنبياء
عُذرًا	لإقامة العُذر على الخلق
نُذرًا	للتخويف من عقاب الله
النجومُ طُمِسَت	ذَهب نُورُها
السماءُ فُرِجَت	شُقّت وتصدّعَت
الجبالُ نُسِفَت	قُلعت من أماكنها فصارت هباءً
الرسلُ أُقِّتَت	عُيّن لهم وقت للفصل بينهم وبين من كذّبهم من أُمَمِهِم
أُجِّلَت	أُخّرَت
ليومِ الفصل	ليوم القيامة الذي يُقضى فيه بين الخلائق، ويظهر الحق من الباطل

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المرسلات ١-١٥

فوائد عامة في سورة المرسلات:

«عن ابن عباس قال: إن أم الفضل بنت الحارث، سمعته وهو يقرأ: (والمرسلات عرفا)، فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة. إنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب». «صحيح البخاري» (١/ ١٥٢)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٣٨).

عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار، وقد أنزلت عليه: (والمرسلات عرفا)، فنحن نأخذها من فيه رطبة، إذ خرجت علينا حية، فقال: «اقتلوها» فابتدرناها لنقتلها، فسبقتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وقاها الله شركم كما وقاكم شرها». «صحيح البخاري» (٣/ ١٤)، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٥٥).

«عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم بـ {والتين والزيتون} فانتهى إلى آخرها {أليس الله بأحكم الحاكمين} فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: {لا أقسم بيوم القيامة} فانتهى إلى: {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} فليقل: بلى، ومن قرأ: {والمرسلات} فبلغ {فبأي حديث بعده يؤمنون} فليقل: آمنا بالله"». «سنن أبي داود» (٢/ ١٦٣)، «مسند أحمد» (١٢/ ٣٥٣).

(والمرسلات عُرفًا * فالعاصفات عصفًا * والناشرات نشرا * فالفارقات فرقا * فالمُلقيات ذكرا):

قال ابن تيمية: «اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله، كما قال تعالى: {جاعل الملائكة رسلا}، وكما قال: {والمرسلات عرفا}، فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض، كما قال تعالى: {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرّطون}، وكما قال: {بلى ورسلنا لديهم يكتبون}، وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة، فإنه قال: {ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده} وقال تعالى: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل

رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم} وقال تعالى: {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}». «مجموع الفتاوى» (٤/ ١١٩).

وقال ابن تيمية: «الملائكة يقرّ بها عامة الأمم، كما ذكر الله عن قوم نوح وعاد وثمود وفرعون مع شركهم وتكذيبهم بالرسل أنهم كانوا يعرفون الملائكة. قال قوم نوح: {ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة}، وقال تعالى: {أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة} وقال فرعون: {أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين}، وكذلك مشركو العرب، قال تعالى: {وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون}، وقال تعالى: {وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا}، وقال تعالى عن الأمم مطلقا: {وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا. قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا}، فكانت هذه الأمم المكذبة للرسل المشركة بالرب مقرة بالله وبملائكته فكيف بمن سواهم؟ فعلم أن الإقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم؛ فلهذا لم يقسم عليه، وإنما أقسم على التوحيد؛ لأن أكثرهم مشركون». «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣١٩).

وقال ابن القيم: «الملائكة موكلة بالعالم العلوي والسفلي، تدبره بأمر الله عز وجل، كما قال تعالى: {فالمدبرات أمرا}، وقال: {فالمقسمات أمرا}. وقال تعالى: {والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا}. وقال: {والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا}». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٨٩).

وقال الألوسي: «قيل: أقسم سبحانه بمن اختاره من الملائكة عليهم السلام، على ما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد، فقيل: المرسلات والعاصفات طوائف، والناشرات والفارقات والملقيات طوائف أخرى.

فالأولى: طوائف أُرسلن بأمره تعالى، وأُمرن بإنفاذه، فعصفن في المضي، وأسرعن كما تعصف الريح، تخففا في امتثال الأمر وإيقاع العذاب بالكفرة إنقاذا للأنبياء عليهم السلام ونصرة لهم.

والثانية: طوائف نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، ففرقن بين الحق والباطل، فألقين ذكرا إلى الأنبياء عليهم السلام». «تفسير الألوسي» (١٥/ ١٨٨).

وقال ابن عاشور: «ويتحصل من هذا أن الله أقسم بجنسين من مخلوقاته العظيمة، مثل قوله: {والسماء ذات البروج. واليوم الموعود}، ومثله تكرر في القرآن.

ويتجه في توزيعها أن الصفات التي عُطفت بالفاء تابعة لجنس ما عطفت هي عليه، والتي عطفت بالواو يترجح أنها صفات جنس آخر.

فالأرجح أن المرسلات والعاصفات صفتان للرياح، وأن ما بعدها صفات للملائكة، والواو الثانية للعطف، وليست حرف قسم. ومناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسم أن كليهما من الموجودات العلوية؛ لأن الأصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذاتا غير المعطوف عليه. وما جاء بخلاف ذلك فهو خلاف الأصل». «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٤٢٠).

(عُذرا أو نُذرا):

قال ابن القيم: «قال تعالى: {فالملقيات ذكرا. عذرا أو نذرا}، فإنه من تمام عدله وإحسانه أن أعذر إلى عبيده، ولم يأخذ ظالمهم إلا بعد كمال الإعذار وإقامة الحجة». «مدارج السالكين» (١/ ٢٨٢).

(إنما توعدون لَواقع):

قال القرطبي: «(إنما توعدون لواقع) هذا جواب ما تقدم من القسم، أي ما توعدون من أمر القيامة لواقع بكم ونازل عليكم». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٦).

(فإذا النجوم طُمست):

قال القرطبي: «{فإذا النجوم طمست} أي ذهب ضوؤها ومحي نورها كطمس الكتاب، يقال: طُمس الشيء إذا دُرس وطُمس فهو مطموس، والريح تطمس الآثار، فتكون الريح طامسة، والأثر طامسا بمعنى مطموس». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٧).

(وإذا الرسل أُقِّتت):

قال البغوي: «{وإذا الرسل أقتت} قرأ أهل البصرة (وقتت) بالواو، وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف، وهما لغتان. والعرب تعاقب بين الواو والهمزة، كقولهم: وكدت وأكدت، وورخت وأرخت، ومعناهما: جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٥).

(ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين):

قال القرطبي: «وكرره في هذه السورة عند كل آية لمن كذّب، لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشيء عذابا سوى تكذيبه بشيء آخر، ورُب شيء كَذّب به هو أعظم جرما من تكذيبه بغيره، لأنه أقبح في تكذيبه، وأعظم في الرد على الله، فإنما يُقسم له من الويل على قدر ذلك». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المرسلات ١-١٥

١- الريح جند من جنود الله سبحانه وتعالى، تأتي بالرحمة والعذاب، فإذا رأيت منها ما تكره فقل: اللهم إني أسألك خير هذه الريح، وخيرَ ما فيها، وخير ما أُرسلَت به، وأعوذ بك من شرّ هذه الريح، وشرّ ما فيها، وشرّ ما أُرسلَت به (والمرسلات عُرفا * فالعاصفات عصفا).

٢- اعلم أن الملائكة عليهم السلام ينفّذون أوامر الله في الكون، فينشرون الخير والرزق، ويفرّقون بين الحق والباطل، ويُلقون الوحي إلى الرسل عليهم السلام (والناشرات نشرا * فالفارقات فرقا * فالمُلقِيات ذِكرا).

٣- الله سبحانه وتعالى يُنزل وحيه إلى الرسل عليهم السلام لتذكير الناس بضرورة توحيد الله في العبادة وإخلاص الدين له، وطاعته في أوامره، واجتناب معاصيه، لتقوم الحجة على الخلق بذلك، وليكون نذيرا لهم قبل نزول العذاب (فالمُلقيات ذِكرا * عُذرا أو نُذرا).

٤- اعلم علم اليقين أنك ستقف بين يدي الله لتحاسب على أعمالك، وستلقى يوم القيامة أهوالا عظيمة وأمورا عصيبة، وستمرّ بالصراط من فوق جهنم، فلا تدري حينها أتنجو أم تسقط؟ وسيُقضى بينك وبين خصومك في الدنيا، فاعمل خيرا لتنجو في ذلك اليوم العصيب (إنما توعدون لَواقع * فإذا النجوم طُمست * وإذا السماء فُرجت * وإذا الجبال نُسفت * وإذا الرسل أُقّتت * لأيّ يومٍ أُجّلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل).

٥- احذر كلّ الحذر أن تكذّب بشيء مما جاء في القرآن أو السنة الصحيحة، بل سلّم بكل ما فيهما تسليما كاملا، وأيقن بذلك كله إيقانًا تاما، لتكون مؤمنا بالقرآن والسنة إيمانا صادقا، واعلم أنّ مَن كذّب بشيء من أخبارهما أو أحكامهما فإنه متوعّد بالعذاب الشديد يوم القيامة (ويل يومئذ للمكذّبين).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المرسلات ١٦-٢٨ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾

ألم نهلك الأمم السابقة لما كفرت بالله وكذبت رسلها؟!

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

ثم نتبعهم المكذِّبين من المتأخرين، فنهلكهم كما أهلكناهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

مثل الإهلاك لتلك الأمم نهلك المجرمين المكذبين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بوعيد الله بالعقاب للمجرمين.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

ألم نخلقكم -أيها الناس- من ماء حقير قليل وهو النُّطْفة.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾

فجعلنا ذلك الماء المَهين في مكان مَحْروز وهو رحم المرأة.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾

إلى مُدّة معلومة هي مدّة الحمل.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فقدَّرنا صفة المولود وقَدْرَه ولونه وغير ذلك، فنعم القادرون لذلك كله نحن.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بقدرة الله.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾

ألم نجعل الأرض تضمّ الناس جميعًا.

﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾

تضمّ أحياءهم بالسكن عليها وعمارتها، وأمواتهم بالدفن فيها.

﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧﴾

وجعلنا فيها جبالًا ثوابتَ، تمنعها من الاضطراب، عاليات، وأسقيناكم -أيها الناس- ماءً عذبًا، فمن خلق ذلك ليس عاجزًا عن بعثكم.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٨﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بنعم الله عليهم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• رعاية الله للإنسان في بطن أمه.

• اتساع الأرض لمن عليها من الأحياء، ولمن فيها من الأموات.

• خطورة التكذيب بآيات الله والوعيد الشديد لمن فعل ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المرسلات ١٦-٢٨

الكلمة	المعنى
ماءٍ مهين	ماءٍ ضعيفٍ حقير وهو المنيّ
في قرارٍ مَكِين	في مكان حصين، وهو الرَّحِم
إلى قدَرٍ معلوم	إلى زمن معلوم عند الله
فقدَرنا	فقدَرنا على خلقه وتصويره وإخراجه
كِفاتّا	وعاءً جامعا للناس
أحياءً وأمواتا	تضمّ الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها
رواسِي	جبالا تُثبّتها وتمنعها من الاضطراب
شامخاتٍ	عاليات مرتفعات
فُراتًا	عَذبًا سائِغًا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المرسلات ١٦-٢٨

(ألم نُهلك الأوّلين * ثم نُتبعُهم الآخِرين * كذلك نفعل بالمُجرِمين):

قال ابن عطية: «قرأ جمهور القراء (ثم نتبعُهم) بضم العين على استئناف الخبر، وقرأ أبو عمرو فيما روي عنه «ثم نتبعْهُم» بجزم العين عطفا على (نُهْلِكِ)، وهي قراءة الأعرج.

وبحسب هاتين القراءتين يجيء التأويل في (الْأَوَّلِينَ):

فمن قرأ الأولى جعل (الْأَوَّلِينَ) الأمم التي تقدمت قريشا بأجمعها، ثم أخبر أنه يُتبع (الْآخِرِينَ) من قريش وغيرهم سنن أولئك إذا كفروا وسلكوا سبيلهم.

ومن قرأ الثانية جعل (الْأَوَّلِينَ) قوم نوح وإبراهيم ومن كان معهم، و (الْآخِرِينَ) قوم فرعون، وكل من تأخر وقرب من مدة محمد صلى الله عليه وسلم». «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤١٨).

(ويل يومئذٍ للمكذّبين):

قال ابن الجوزي: «فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله عز وجل: (ويل يومئذ للمكذبين)؟ فالجواب: أنه أراد بكل آية منها غير ما أراد بالأخرى، لأنه كلما ذكر شيئا قال: ويل يومئذ للمكذبين بهذا». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٨٤).

(ألم نخلقكم من ماءٍ مهين):

«عن بسر بن جَحّاش القرشي، أن النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوما في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: (قال الله: ابنَ آدم! أنى تُعجزُني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدَلتك، مشيت بين بُردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة)». «مسند أحمد» (٢٩/ ٣٨٥)، «سنن ابن ماجه» (٤/ ١٣).

قال ابن القيم: «قال تعالى: {ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون}، وقال تعالى: {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين}، وقال: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين}.

وهذا كثير في القرآن؛ يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسُه وخلقُه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقربُ شيء إلى الإنسان نفسُه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه؛ وهو غافل عنه، مُعرض عن التفكر فيه، ولو فكّر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٢/ ٥٣٩).

وقال ابن القيم: «الله تعالى أخبر عن هذا الماء -أي: المنيّ- وكرر الخبر عنه في القرآن، ووصفه مرة بعد مرة، وأخبر أنه دافق، وأنه {يخرج من بين الصلب والترائب}، وأنه استودعه في {قرار مكين}... ولم يصفه بالمهانة إلا لإظهار قدرته البالغة أن خلق من هذا الماء الضعيف هذا البشر القوي السوي، فالمهين هاهنا: الضعيف، ليس هو النجس الخبيث». «بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٤٣).

وقال ابن القيم: «فأول مراتب خلقه أنه سلالة من طين، ثم بعد ذلك سلالة من ماء مهين، وهي النطفة التي استُلّت من جميع البدن، فتمكث كذلك أربعين يوما، ثم يقلب الله سبحانه تلك النطفة التي انسلّت علقة. وهي قطعة سوداء من دم، فتمكث كذلك أربعين يوما أخرى، ثم يصيّرها ـ سبحانه ـ مضغة، وهي قطعة لحم أربعين يوما. وفي هذا الطور تُقدّر أعضاؤه وصورته وشكله وهيئته...

ثم تُقدّر مفاصل أعضائه وعظامه وعروقه وعصبه، ويُشق له السمع والبصر والفم، ويُفتق حلْقه بعد أن كان رتْقا، فيُركّب فيه اللسان، ويُخطط شكله وصورته، وتُكسى عظامه لحما، ويُربط بعضها إلى بعض أحكم ربط وأقواه، وهو الأسر الذي قال فيه: {نحن خلقناهم وشددنا أسرهم}». «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٣٥٥).

(فقدَرنا فنِعم القادرون):

قال السعدي: «{فقدرنا} أي: قدّرنا ودبرنا ذلك الجنين في تلك الظلمات، ونقلناه من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أن جعله الله جسدا، ثم نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل ذلك. {فنعم القادرون} يعني بذلك نفسه المقدسة، حيث كان قدرا تابعا للحكمة، موافقا للحمد». «تفسير السعدي» (ص٩٠٤).

(ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا):

نقل ابن القيم من تفسير الإمام أحمد قوله: «{ألم نجعل الأرض كفاتا}: يكفِتون فيها. الأحياء: الشعر والدم، وتدفنون فيها موتاكم. قال المروذي: وسمعته يقول: يدفن فيها ثلاثة أشياء: الأظافر والشعر والدم». «بدائع الفوائد» (٣/ ١٠١٩).

وقال القرطبي: «(ألم نجعل الأرض كفاتا) أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها، والأموات في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه...

يقال: كفتُّ الشيء أكفته: إذا جمعته وضممته، والكفت: الضم والجمع، وأنشد سيبويه:

كرام حين تنكفت الأفاعي ... إلى أحجارهن من الصقيع...

روي عن ربيعة في النباش -الذي ينبش القبور ويسرق ما فيها- قال: تقطع يده، فقيل له: لِمَ قلت ذلك؟ قال: إن الله عز وجل يقول: (ألم نجعل الأرض كفاتا. أحياء وأمواتا) فالأرض حرز...

وكانوا يسمون بقيع الغرقد كَفتة، لأنه مقبرة تضم الموتى، فالأرض تضم الأحياء إلى منازلهم، والأموات في قبورهم. وأيضا استقرار الناس على وجه الأرض، ثم اضطجاعهم عليها، انضمام منهم إليها...

وقال الأخفش وأبو عبيدة ومجاهد في أحد قوليه: الأحياء والأموات ترجع إلى الأرض، أي الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي يُنبت، وإلى ميت وهو الذي لا يُنبت». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦١).

وقال ابن القيم: «اختلف الناس: هل السماء أشرف من الأرض، أم الأرض أشرف؟
فالأكثرون على الأول، واحتج من فضل الأرض: بأن الله أنشأ منها أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين، وبأنها مساكنُهم ومحلهم أحياء وأمواتا، وبأن الله سبحانه وتعالى لما أراد إظهار فضل آدم للملائكة قال: {إني جاعل في الأرض خليفة}. فأظهر فضله عليهم بعلمه واستخلافه في الأرض، وبأن الله سبحانه وصفها بأن جعلها محل بركاته عموما وخصوصا، فقال: {وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها}، ووصف الشام بالبركة في ست آيات، ووصف بعضها بأنها مقدسة، ففيها الأرض المباركة والمقدسة والوادي المقدس، وفيها بيته الحرام ومشاعر الحج والمساجد التي هي بيوته سبحانه، والطُّور الذي كلم عليه كليمه ونجيّه. وإقسامه سبحانه بالأرض عموما وخصوصا أكثر من إقسامه بالسماء، فإنه أقسم بالطور والبلد الأمين والتين والزيتون، ولما أقسم بالسماء أقسم بالأرض معها، وبأنه سبحانه خلقها قبل خلق السماء كما دلت عليه سورة (حم السجدة). وبأنها مهبط وحيه ومستقر كتبه ورسله، ومحل أحب الأعمال إليه، وهو الجهاد والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومغايظة أعدائه ونصر أوليائه، وليس في السماء من ذلك شيء، وبأن ساكنيها من الرسل والأنبياء والمتقين أفضل من سكان السماء من الملائكة، كما هو مذهب أهل السنة، فمسكنهم أشرف من مسكن الملائكة، وبأن ما أُودع فيها من المنافع والأنهار والثمار والمعادن والأقوات والحيوان والنبات مما هو من بركاتها لم يودع في السماء مثله، وبأن الله سبحانه قال: {وفي الأرض آيات للموقنين}. ثم قال: {وفي السماء رزقكم وما توعدون}. فجعل الأرض محل آياته والسماء محل رزقه، فلو لم يكن فيها إلا بيته وبيت خاتم أنبيائه ورسله حيا وميتا، وبأن الأرض جعلها الله قرارا وبساطا ومهادا وفراشا، وكفاتا، ومادة للساكن؛ لملابسه وطعامه وشرابه ومراكبه وجميع آلائه، ولا سيما إذا أَخرجت بركتها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج.
قال المفضلون للسماء: يكفي في فضلها أن رب العالمين سبحانه فيها. وأن عرشه وكرسيه فيها، وأن الرفيق الأعلى الذين أُنعم عليهم فيها، وأن دار كرامته فيها، وأنها مستقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين يوم الحشر، وأنها مطهرة مبرأة من كل شر وخبث ودنس يكون في الأرض، ولهذا لا تفتح أبوابها للأرواح الخبيثة، ولا تلج ملكوتَها، وبأنها مسكن من لا يعصون الله طرفة عين، فليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملَك ساجد أو قائم، وبأنها أشرف مادةً من الأرض، وأوسع وأنور وأصفى وأحسن خلقةً وأعظم آيات،

وبأن الأرض محتاجةٌ في كمالها إليها، ولا تحتاج هي إلى الأرض، ولهذا جاءت في كتاب الله في غالب المواضع مقدمة على الأرض، وجُمعت وأُفردت الأرض، فلشرفها وفضلها أتي بها مجموعة، وأما الأرض فلم تأت إلا مفردة، وحيث أريد تعدادها قال: {ومن الأرض مثلهن}، وهذا القول هو الصواب، والله أعلم». «بدائع الفوائد» (٤/ ١٣٣٤-١٣٣٦).

(وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فُراتا):

قال ابن عطية: «و«الشامخ»: المرتفع، ومنه شمخ بأنفه، أي ارتفع واستعلى، شبّه المعنى بالشخص... و «الفرات»: الصافي العذب، ولا يقال للملح فراتا، وهي لفظة تجمع ماء المطر ومياه الأنهار، وخُصّ النهر المشهور بهذا تشريفا له، وهو نهر الكوفة». «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤١٩).

وقال السعدي: «{وجعلنا فيها رواسي} أي: جبالا تُرسي الأرض، لئلا تميد بأهلها، فثبّتها الله بالجبال الراسيات الشامخات، أي: الطوال العراض، {وأسقيناكم ماء فراتا} أي: عذبا زلالا، قال تعالى: {أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون}». «تفسير السعدي» (ص٩٠٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المرسلات ١٦-٢٨

١- اعلم أن عقوبات الله للمجرمين شديدة، وأن أخذَه أليم، فقد أهلك أممًا سابقة كانوا أشدَّ منا قوّة، فلنحذر من المجاهرة بالفسق والعصيان، وترك الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، وعلينا أن لا نغترّ بحلم الله وإمهاله واستدراجه (ألم نُهلك الأوّلين * ثم نُتبعُهم الآخِرين * كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذّبين).

٢- تعرّف على نعم الله عليك منذ أن خلقك من ماءٍ مهين، فجعلك في رحم أمك في قرار مكين، إلى مدة معلومة، تنتقل فيها من نطفة إلى علقة إلى مضغة، حتى صرت إنسانا سويّا تامّ الخِلقة، بلا حول منك ولا قوة، واعلم أن مَن قدِر على ذلك قادر على بعثك بعد موتك للحساب والجزاء، فاعمل لتكون في ذلك اليوم من الفائزين (ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين).

٣- اقرأ في العجائب التي أودعها الله في هذه الأرض التي نسكن فيها، ففيها من عجيب تقدير الله ما يُبهر الألباب، وقد أكرمنا الله بسُكناها، فجعلها جامعة لأحيائنا على ظهرها، ولأمواتنا وفضلاتنا في بطنها، وجعل فيها جبالا تُرسيها حتى لا تميد وتضطرب فتنعدم الحياة عليها، وأسقانا ماءً عذبا زُلالا من الأمطار والأنهار والعيون والآبار، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه (ألم نجعل الأرض كِفاتا * أحياء وأمواتا * وجعلنا فيها رواسيَ شامخات وأسقيناكم ماءً فُراتًا * ويل يومئذ للمكذّبين).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المرسلات ٢٩-٤٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩﴾

ويقال للمكذبين بما جاءت به رسلهم: سيروا -أيها المكذبون- إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠﴾

سيروا إلى ظل من دخان النار مفترق ثلاث فرق.

﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١﴾

ليس فيه برد الظلال، ولا يمنع لهيب النار وحرّها أن ينفذ إليكم.

﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾

إن النار تقذف بشرارات، كل شرارة مثل القصر في عظمها.

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾

كأن الشرارات التي تقذف بها في سوادها وضخامتها جِمال سُود.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾

هلاك وعَذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بعذاب الله.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾

هذا يوم لا يتكلمون فيه بشيء.

﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾

ولا يُؤذَن لهم أن يعتذروا إلى ربهم من كفرهم وسيئاتهم، فيعتذرون إليه.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بأخبار هذا اليوم.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾

هذا يوم الفصل بين الخلائق، جمعناكم والأمم السابقة في صعيد واحد.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾

فإن كانت لكم حيلة تحتالون بها للنجاة من عذاب الله فاحتالوا عليّ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بيوم الفصل.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خطورة التكذيب بآيات الله والوعيد الشديد لمن فعل ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المرسلات ٢٩-٤٠

الكلمة	المعنى
إلى ظِلٍّ	إلى دخان جهنم
ذي ثلاثِ شُعب	ذي ثلاثة فروع
لا ظَليل	لا يُظِلّ من الحرّ والنار
ولا يُغني من اللهب	ولا يدفع لهب النار ولا يقي منه
بِشَرَر	الشرارة ما يتطاير من النار
كالقَصر	كل شرارة منها كالبناء المشيّد في العِظم والارتفاع
كأنه جِمالَتٌ صُفر	كأن الشرر إبل سُود يميل لونها إلى الصُّفرة
يومُ الفصل	يوم التمييز بين الحق والباطل، والحُكم بين الناس بالعدل
والأوّلين	والأممَ السابقة
فإن كان لَكُم كَيدٌ	فإن كانت لكم حيلة للخلاص من العذاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المرسلات ٢٩-٤٠

(انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغني من اللهب):

«عن قتادة (ظل ذي ثلاث شعب) قال: هو كقوله: (نارا أحاط بهم سرادقها) قال: والسرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها، ثم تفرق، فكان ثلاث شعب، فقال: (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب): شعبة هاهنا، وشعبة هاهنا، وشعبة هاهنا». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٦).

قال ابن الجوزي: «قال ابن قتيبة: «والظل» هاهنا: ظل من دخان نار جهنم سطع، ثم افترق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه، أو حيث شاء من الظل، ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٨٥).

(إنها ترمي بشرر كالقصر):

قال الطبري: «قيل: (بشرر كالقصر) ولم يقل كالقصور والشرر جمع، كما قيل: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ولم يقل الأدبار، لأن الدبر بمعنى الأدبار، وفَعل ذلك توفيقا بين رؤوس الآيات ومقاطع الكلام، لأن العرب تفعل ذلك كذلك، وبلسانها نزل القرآن.

وقيل: كالقصر، ومعنى الكلام: كعِظَم القصر، كما قيل: (تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) ولم يقل: كعيون الذي يغشى عليه، لأن المراد في التشبيه الفعل لا العين». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٩).

وقال البغوي: «{إنها} يعني جهنم {ترمي بشرر} وهو ما تطاير من النار، واحدها شررة {كالقصر} وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون.

وقال عبد الرحمن بن عياش: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال: هي الخُشب العظام المقطّعة، وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه، ندخرها للشتاء، فكنا نسميها القصر.

وقال سعيد بن جبير، والضحاك: هي أصول النخل والشجر العظام، واحدتها قصْرة، مثل تمرة وتمر، وجمرة وجمر». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٦).

(كأنه جِمالتٌ صُفر * ويل يومئذ للمكذبين):

قال الطبري: «وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عني بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجمالات جمع جمال، نظير رجال ورجالات، وبيوت وبيوتات». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤١).

وقال البغوي: «{جمالة} قرأ حمزة والكسائي وحفص: (جِمالة) على جمع الجمل، مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد: الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الآخرون: (جِمالات) بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى تكون كأوساط الرجال.

{صُفر} جمع الأصفر، يعني لون النار، وقيل: "الصفر" معناه: السود، لأنه جاء في الحديث: (إن شرر نار جهنم أسود كالقير)، والعرب تُسمي سود الإبل صُفرا؛ لأنه يشوب سوادَها شيء من صفرة، كما يقال لبيض الظباء: أُدم، لأن بياضها يعلوه كدرة». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٧).

(هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين):

قال الطبري: «فإن قال قائل: وكيف قيل: (هذا يوم لا ينطقون) وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون: (ربنا أخرجنا منها)، وأنهم يقولون: (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) في نظائر ذلك مما أخبر الله ورسوله

عنهم أنهم يقولونه. قيل: إن ذلك في بعض الأحوال دون بعض. وقوله: (هذا يوم لا ينطقون) يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله.

فإن قال: فهل من برهان يُعلم به حقيقة ذلك؟ قيل: نعم، وذلك إضافة يوم إلى قوله: (لا ينطقون)، والعرب لا تضيف اليوم إلى فعل (يفعل) إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه، وذلك كقولهم: آتيك يوم يقدم فلان، وأتيتك يوم زارك أخوك، فمعلوم أن معنى ذلك: أتيتك ساعة زارك، أو آتيك ساعة يقدم، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٢).

وقال الطبري: «(فيعتذرون) رفعا عطفا على قوله: (ولا يؤذن لهم) وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد، لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رؤوس التي قبلها، ولو كان جاء نصبا كان جائزا، كما قال: (لا يقضى عليهم فيموتوا) وكل ذلك جائز فيه، أعني الرفع والنصب، كما قيل: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) رفعا ونصبا». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٢).

وقال ابن الجوزي: «(هذا يوم لا ينطقون) قال المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة. قال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلمت أيديهم، وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون ولا يؤذون لهم فيعتذرون. وقال ابن الأنباري: لا ينطقون بحجة تنفعهم». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٨٦).

وقال القرطبي: «عن عكرمة عن ابن عباس قال: سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون)، و (فلا تسمع إلا همسا)، وقد قال تعالى: (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) فقال له: إن الله عز وجل يقول: (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)، فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان.

وقيل: لا ينطقون بحجة نافعة، ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق. قال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون.

وقيل: إن هذا وقت جوابهم (اخسؤوا فيها ولا تكلمون)... وقال أبو عثمان: أسكتتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب. وقال الجنيد: أي عذر لمن أعرض عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه؟». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٦).

(هذا يوم الفصل جمعناكم والأوّلين * فإن كان لكم كيد فكيدون * ويل يومئذ للمكذبين):

قال القرطبي: «(فإن كان لكم كيد) أي: حيلة في الخلاص من الهلاك (فكيدون) أي: فاحتالوا لأنفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك.

وقيل: أي (فإن كان لكم كيد) أي قدرتم على حرب (فكيدون) أي حاربوني. كذا روى الضحاك عن ابن عباس. قال: يريد: كنتم في الدنيا تحاربون محمدا صلى الله عليه وسلم وتحاربونني فاليوم حاربوني.

وقيل: أي إنكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم.

وقيل: إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون كقول هود: (فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٧).

وقال ابن كثير: «{فإن كان لكم كيد فكيدون} تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إن قدرتم على أن تتخلّصوا من قبضتي، وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى {يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان}، وقال تعالى: {ولا تضرونه شيئا}، وفي الحديث: (يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٠).

وقال السعدي: «ففي ذلك اليوم تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم {ويل يومئذ للمكذبين}». «تفسير السعدي» (ص٩٠٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المرسلات ٢٩-٤٠

١- اعلم أن جهنم قعرُها بعيد، وحرّها شديد، وشررها عظيم، وظلها سَموم، ولهبُها مُحرِق، فاطلب لنفسك النجاة منها ما دمت في دار الإمهال، واعلم أن أعظم ما ترجو به النجاة يومئذ أن تكون مصدّقا بجميع أحكام الله وأخباره لا مكذّبا بها، وأن تستعيذ بالله من عذاب جهنم دائما (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالت صُفر * ويل يومئذ للمكذبين).

٢- اعلم أنك يوم القيامة مرتهن بعملك، إن خيرا فخير، وإن شرّا فشرّ، ولا يغني عنك الاعتذار، ولا ينفعك الندم، ولا تُنجيك الحسرات، ولا تخفى منك يومئذ خافية، فإن أنكرت شيئا بلسانك شهدت عليك جوارحك، فاللهم سلّم سلّم (هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين).

٣- في يوم القيامة يتميز الحق وأهله من الباطل وأهله، ويقضى بين الناس في الحقوق التي كانت بينهم، ويذهب كيد الكائدين، ويضيع مكر الماكرين، ويختفي خداع المخادعين، ويبقَون جميعا خائفين وجِلين مشفقين، قد تبيّن لهم أن ما كانوا يوعدون به حق، فيندمون، ولات ساعة مندم، ويهربون، ولات حين مناص (هذا يوم الفصل جمعناكم والأوّلين * فإن كان لكم كيد فكيدون * ويل يومئذ للمكذبين).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المرسلات ٤١-٥٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١﴾

إن المتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، في ظلال أشجار الجنّة الوارفة، وعيون الماء العذبة الجارية.

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾

وفواكه مما يشتهون أكله.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾

ويقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شرابًا هنيئًا لا مُنَغِّص فيه؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾

إنا مثل هذا الجزاء الَّذي جزيناكم به نجزي المحسنين لأعمالهم.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بما أعدّ الله للمتقين.

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦﴾

ويقال للمكذبين: كلوا وتمتعوا بملذات الحياة وقتًا قليلًا في الدنيا، إنكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسله مجرمون.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بجزائهم يوم الدين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨﴾

وإذا قيل لهؤلاء المكذبين: صلّوا لله لا يصلّون له.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩﴾

هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾

فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المنزل من ربهم فبأي حديث غيره يؤمنون؟!

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خطورة التكذيب بآيات الله والوعيد الشديد لمن فعل ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المرسلات ٤١-٥٠

الكلمة	المعنى
هَنيئًا	سائغًا من غير تنغيص ولا كدر
اركَعُوا	صلُّوا لله
فَبِأيّ حديثٍ بعده	فَبِأيّ كتابٍ وكلامٍ بعد القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المرسلات ٤١-٥٠

(إن المتقين في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون):

قال الطبري: «إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا، واجتناب معاصيه (في ظلال) ظليلة، وكِنٍّ كنين، لا يصيبهم أذى حر ولا قَرّ، إذ كان الكافرون بالله في ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب. (وعيون) أنهار تجري خلال أشجار جناتهم. (وفواكه مما يشتهون) يأكلون منها كلما اشتهوا، لا يخافون ضررها، ولا عاقبة مكروهها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٣).

وقال ابن القيم: «قد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالا، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال: {هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون}. وقال تعالى: {إن المتقين في ظلال وعيون}. وقال تعالى: {وندخلهم ظلا ظليلا}». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/ ٤٠٨).

(كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون):

قال الطبري: «يقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم (هنيئا): يقول: لا تكدير عليكم، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٣).

وقال ابن القيم: «في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الجنة مئة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض). وحكمة الرب سبحانه مقتضية لعمارة هذه الدرجات كلها، وإنما تُعمَر ويقع التفاوت فيها بحسب الأعمال، كما قال غير واحد من السلف: "ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضله ونعمته، ويتقاسمون المنازل بأعمالهم". وعلى هذا حمل غير واحد ما جاء من إثبات دخول الجنة بالأعمال، كقوله تعالى: {وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون}، وقوله تعالى: {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون}.

قالوا: وأما نفي دخولها بالأعمال كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل الجنة أحد بعمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا)، فالمراد به نفي أصل الدخول.

وأحسن من هذا أن يقال: الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نفي معها الدخول؛ فالمقتضية هي باء السببية الدالة على أن الأعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، والباء التي نُفي بها الدخول هي باء المعاوضة والمقابلة التي في نحو قولهم: اشتريت هذا بهذا.

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة ليس في مقابل عمل أحد، وأنه لولا تغمد الله سبحانه لعبده برحمته لما أدخله الجنة، فليس عمل العبد ـ وإن تناهى ـ موجبا بمجرده لدخول الجنة، ولا عوضا لها، فإن أعماله وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه فهي لا تقاوم نعمة الله التي أنعم بها عليه في دار الدنيا، ولا تعادلها، بل لو حاسبه لوقعت أعماله كلها في مقابلة اليسير من نعمه، وتبقى بقية النعم مقتضيةً لشكرها، فلو عذّبه في هذه الحالة لعذّبه وهو غير ظالم له، ولو رحمه لكانت رحمته خيرا له من عمله؛ كما في "السنن" من حديث زيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وغيرهما مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله لو عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم)». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٢٠-٢١).

وقال السعدي: «{هنيئا} أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل». «تفسير السعدي» (ص٩٠٥).

(كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون):

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره تهديدا ووعيدا منه للمكذبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم (إنكم مجرمون) مَسنون بكم سنةَ من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي مُتّعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالَها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذيبها رسلها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٤).

وقال ابن كثير: «{كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون} خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمَرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى: {كلوا وتمتعوا قليلا} أي: مدة قليلة قريبة قصيرة، {إنكم مجرمون} أي: ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، {ويل يومئذ للمكذبين}، كما قال تعالى: {نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ}، وقال تعالى: {إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠١).

(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون):

قال القرطبي: «(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي إذا قيل لهؤلاء المشركين: (اركعوا) أي صلوا (لا يركعون) أي لا يصلون، قاله مجاهد.

وقال مقاتل: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة، فنزل ذلك فيهم. قال مقاتل: قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلِموا) وأمرهم بالصلاة، فقالوا: لا ننحني فإنها مسبة علينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود).

ويُذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر، فجلس ولم يركع، فقال له صبي: يا شيخ قم فاركع. فقام فركع ولم يحاجّه بما يراه مذهبا، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت أن أكون من الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون.

وقال ابن عباس: إنما يقال لهم هذا في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون...

قال ابن العربي: هذه الآية حجة على وجوب الركوع، وإنزاله ركنا في الصلاة، وقد انعقد الإجماع عليه، وظن قوم أن هذا إنما يكون في القيامة وليست بدار تكليف، فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويل وعقاب، وإنما يُدعون إلى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا، فمن كان لله يسجد يمكّن من السجود، ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا.

وقيل: أي إذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون، فهو عام في الصلاة وغيرها، وإنما ذكر الصلاة، لأنها أصل الشرائع بعد التوحيد». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٨).

وقال ابن تيمية: «إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار، كقوله: {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون}.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما في الحديث الطويل حديث التجلي: (أنه إذا تجلى تعالى لعباده يوم القيامة سجد له المؤمنون، وبقي ظهر من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة مثل الطبق لا يستطيع السجود)، فإذا كان هذا حال من سجد رياء فكيف حال من لم يسجد قط؟!

وثبت أيضا في الصحيح: (أن النار تأكل من ابن آدم كلَّ شيء إلا موضعَ السجود، فإن الله حرم على النار أن تأكله). فعلم أن من لم يكن يسجد لله تأكله النار كلَّه.

وكذلك ثبت في الصحيح: (أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف أمته يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء)، فدل ذلك على أن من لم يكن غرا محجلا لم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يكون من أمته.

وقوله تعالى: {كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون. ويل يومئذ للمكذبين. وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون. ويل يومئذ للمكذبين}. وقوله تعالى: {فما لهم لا يؤمنون. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون. بل الذين كفروا يكذبون. والله أعلم بما يوعون}. وكذلك قوله تعالى {فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى}. وكذلك قوله تعالى {ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين}...

وأيضا في القرآن علّق الأخوة في الدين على نفس إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، كما علق ذلك على التوبة من الكفر، فإذا انتفى ذلك انتفت الأخوة.

وأيضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر). وفي المسند: (من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة).

وأيضا فإن شعار المسلمين (الصلاة) ولهذا يعبر عنهم بها، فيقال: اختلف أهل الصلاة، واختلف أهل القبلة، والمصنفون لمقالات المسلمين يقولون: "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين".

وفي الصحيح: (من صلى صلاتنا؛ واستقبل قبلتنا؛ وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم له ما لنا؛ وعليه ما علينا). وأمثال هذه النصوص كثيرة في الكتاب والسنة». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١١-٦١٣).

وقال السعدي: «ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: {اركعوا} امتنعوا من ذلك. فأي إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟». «تفسير السعدي» (ص٩٠٥).

(ويل يومئذ للمكذبين):

قال القرطبي: «وكرر: (ويل يومئذ للمكذبين) لمعنى تكرير التخويف والوعيد. وقيل: ليس بتكرار، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراد بالآخر، كأنه ذكر شيئا فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا. ثم كذلك إلى آخرها». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٩).

(فبِأيّ حديث بعده يؤمنون):

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم بـ {والتين والزيتون} فانتهى إلى آخرها {أليس الله بأحكم الحاكمين} فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ {لا أقسم بيوم القيامة} فانتهى إلى {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} فليقل: بلى، ومن قرأ {والمرسلات} فبلغ {فبأي حديث بعده يؤمنون} فليقل: آمنا بالله)». «مسند أحمد» (١٢/ ٣٥٣)، «سنن أبي داود» (٢/ ١٦٣).

قال الطبري: «إنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدقوا بهذه الأخبار التي أخبرهم بها في هذا القرآن مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شيء من الأخبار التي لم يشاهدوا المخبَر عنه ولم يعاينوه، وأنهم إن صدقوا بشيء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك في أخبار هذا القرآن، والله أعلم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٥).

وقال السعدي: «{ويل يومئذ للمكذبين} ومن الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويُحرمون كل خير، فإنهم إذا كذّبوا هذا القرآن الكريم الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق {فبأي حديث بعده يؤمنون} أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلا عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟ فليس بعد النور المبين إلا دياجي الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح والإفك المبين، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه. فتبا لهم ما أعماهم! وويحا لهم ما أخسرهم وأشقاهم!». «تفسير السعدي» (ص٩٠٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المرسلات ٤١-٥٠

١- من آمن بثواب الله للمتّقين حقّ الإيمان شمّر عن ساعد الجدّ، وترك التواني والكسل، وهجر اللذات والمحرمات، ولم يتعلّق بفضول المباحات، وترك الدنيا لأهلها، وأقبل على الآخرة بكلّيّته، ولم يهدأ له بال حتى يدرك هذا النعيم العظيم (إن المتقين في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون).

٢- أحسن في عبادة الله بالإخلاص له، ومراقبته، وطلب الزلفى لديه، وأحسن إلى عباد الله بنفعهم، وأداء حقوقهم، وكف الأذى عنهم، وأبشر بالأجر الكريم من الرب الكريم (إنا كذلك نجزي المحسنين).

٣- أهل الكفر والإلحاد والفسوق إنما يتنعّمون في الدنيا متاعا قليلا زائلا منغّصا مكدّرا، ثم ينتقلون إلى عذاب أليم دائم، فما أشدّ غبنهم وحسرتهم! وما أعظم خسارتهم! (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون * ويل يومئذ للمكذبين).

٤- احرص على صلاتك، واعلم أنها أجلّ مظاهر عبوديتك لله، وأعلى منازل خضوعك بين يديه، وأقرب طريق للوصول إليه، لذلك يتكبّر عنها الكافرون، ويأباها المعاندون، فويل لهم ثم ويل لهم (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين).

٥- ما أوضح حججَ القرآن! وما أعظم براهينَه! وما أبين إعجازَه! وما أقوى مواعظَه! وما أصدق قصصَه! فمن لم يؤثّر فيه القرآن ولم يقنع بحججه فإنما هو لفساد قلبه، وعناد نفسه، وغلبة الهوى عليه (فبِأيِّ حديثٍ بعده يؤمنون).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المرسلات

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة المرسلات.

عامة آيات سورة المرسلات آيات قصيرة، يُوقف على رؤوسها اقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن هناك مواضع في غير رؤوس الآيات سأتكلم عنها.

أولا: في الآية الثالثة والعشرين: (فقدَرنا) هل يصح الوقف هنا قبل قوله: (فنِعم القادرون)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الله سبحانه وتعالى قال في الآيات السابقة: (ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم. فقدرنا)، فأخبر عن نفسه سبحانه وتعالى أنه خلق الإنسان من ماء مهين، وجعله في قرار مكين، إلى قدر معلوم، فقدر على ذلك سبحانه، ثم جاءت جملة معطوفة يُثني بها الله سبحانه وتعالى على نفسه في قوله: (فنِعم القادرون) بعد أن أخبر عن مراحل الخلق، فصحّ الفصل بين ذِكر مراحل الخلق وقدرة الله على ذلك، وبين ثناء الله على نفسه. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة والعشرون: (وجعلنا فيها رواسيَ شامخات) هل يصح الوقف هنا؟

لم ينصّ أحد من علماء الوقف والابتداء على وقف هنا، لكن إذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (وأسقيناكم ماء فراتا) جملة معطوفة على جملة: (وجعلنا فيها رواسيَ شامخات)، وهي جملة قائمة بنفسها، ظاهرة في المراد منها، فالوقف هنا له حظ من النظر، لكن لم يقل به أحد من علماء الوقف والابتداء. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة والثلاثون: (هذا يوم الفصل) هل يصحّ الوقف هنا؟

نصّ السجاوندي رحمه الله على جواز الوقف هنا، ووُضعت هنا علامة الوصل الأولى (صلى) في مصحف المدينة، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (جمعناكم والأوّلين) جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، فالله سبحانه وتعالى أخبر أن هذا هو يوم الفصل، ثم أخبر أننا جمعناكم فيه وجمعنا الأولين، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة والأربعون: (كلوا واشربوا) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي رحمه الله وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنه قال بعدها: (هنيئا بما كنتم تعملون)، فمن جعل قوله: (هنيئا) منصوبا على كونه حالا من الأكل والشرب، أي: كلوا واشربوا حال كون الأكل والشرب هنيئا لكم، فإنه لم يُصحّح الوقف هنا. وهو الذي ذهب إليه عامة علماء الوقف والابتداء.

ومن نظر إلى أن قوله: (هنيئا) منصوب بفعل محذوف تقديره: اهنئوا هنيئا بما كنتم تعملون، واعتبر قوله: (كلوا واشربوا) أمرا مستقلا، فإنه صحّح الوقف هنا، والأقرب ما ذهب إليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ وذلك أن (هنيئا) متعلق بالأكل والشرب، ليهنؤوا بأكلهم وشربهم، فالأقرب عدم الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

هذا خلاصة ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة المرسلات. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإنسان ١-١١ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الإنسان: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تذكير الإنسان بأصل خلقه ومصيره، وبيان ما أعدّ الله في الجنة لأوليائه.

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾

قد مرّ على الإنسان دَهْر طويل كان فيه معدومًا لا ذِكْر له.

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾

إنا خلقنا الإنسان من نطفة خليطة بين ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بما نُلْزمه به من التكاليف، فجعلناه سميعًا بصيرًا ليقوم بما كلَّفناه به من الشرع.

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾

إنا بيّنا له على ألسنة رسلنا طريق الهداية، فاستبانت له بذلك طريق الضلال، فهو بعد ذلك إما أن يهتدي للصراط المستقيم، فيكون عبدًا مؤمنًا شكورًا لله، وإما أن يضلّ عنها فيكون عبدًا كافرًا جحودًا لآيات الله. ولما بيّن الله نوعي المهتدي والضالّ بيَّن جزاءهما فقال:

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾

إنا أعددنا للكافرين بالله وبرسله سلاسل يُسْحبون بها في النار، وأغلالًا يُغلّون بها فيها، ونارًا مُسْتَعِرة.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥﴾

إن المؤمنين المطيعين لله يشربون يوم القيامة من كأس خمر مملوءة ممزوجة بالكافور لطيب رائحته.

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦﴾

هذا الشراب المُعَدّ لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول غزيرة لا تَنْضَب، يَرْوَى بها عباد الله، يُسيلونها ويُجرونها أين شاؤوا.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾

وصفات العباد الذين يشربونها أنهم يوفون بما ألزموا به أنفسهم من الطاعات، ويخافون يومًا كان شرّه منتشرًا فاشيًا وهو يوم القيامة.

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨﴾

ويطعمون الطعام مع كونهم في حال يحبونه لحاجتهم إليه واشتهائهم له، يطعمونه المحتاجين من الفقراء واليتامى والأسارى.

﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾

ويُسرّون في أنفسهم أنهم لا يطعمونهم إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناءً على إطعامهم إياهم.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾

إنا نخاف من ربنا يومًا تَكْلَح فيه وجوه الأشقياء لشدّته وفظاعته.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾

فوقاهم الله بفضله شرّ ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاءً ونورًا في وجوههم؛ إكرامًا لهم، وسرورًا في قلوبهم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا من تكريم الله له.

• الوفاء بالنذر وإطعام المحتاج، والإخلاص في العمل، والخوف من الله: أسباب للنجاة من النار، ولدخول الجنّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الإنسان ١-١١

الكلمة	المعنى
هل أتى	قد أتى
حِينٌ من الدهر	وقتٌ طويل من الزمن
أَمْشَاجٍ	أخلاطٍ مُمتزِجة من ماء الرجل وماء المرأة
نَبتَلِيه	نختبره بالأوامر والنواهي
هديناه السبيل	بينّا له طريق الهدى والضلال
سلاسل	حِلَقًا غليظة من حديد تُشدّ بها أرجلهم
وأغلالًا	وقيودا من حديد تُجمع بها أيديهم إلى أعناقهم
وسَعِيرًا	ونارًا يُحرَقون بها
مِزَاجُها كافُورًا	مخلوطةٌ بأحسن أنواع الطيب وهو ماء الكافور
يَشرب بها	يشربون متلذذين بها ويَروَون بها
يُفجّرونها تفجيرًا	يُجرونها حيث شاؤوا
يُوفُون بالنّذر	يؤدّون ما ألزموا به أنفسهم من الطاعات وافيا غير منقوص
مُستَطِيرًا	مُنتشِرا
على حُبّه	مع حُبهم للطعام وحاجتهم إليه
لِوجهِ الله	ابتغاءَ مرضاة الله
جزاءً ولا شُكورًا	عِوَضًا ولا ثناءً
يومًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا	يوما شديدا يُعبّس الوجه ويُقطّب الجبين
ولقّاهُم نَضرَةً	وأعطاهم حُسنا وبهاءً في الوجه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الإنسان ١-١١

فوائد عامة في سورة الإنسان:

«عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح، يوم الجمعة: بـ (الم تنزيل) في الركعة الأولى، وفي الثانية (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)». «صحيح مسلم» (٢/ ٥٩٩).

وقال ابن تيمية: «اعلم أن سورة (هل أتى على الإنسان) سورة عجيبة الشأن من سور القرآن على اختصارها، فإن الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من النطفة ذات الأمشاج والأخلاط التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرّفه عليها أطوارا، وينقله من حال إلى حال إلى أن تمت خلقته وكملت صورته، فأخرجه إنسانا سويا سميعا بصيرا، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداه طريقي الخير والشر والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إما أن يشكر ربه وإما أن يكفره، ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر، وما أعد لهؤلاء وهؤلاء، وبدأ أولا بذكر عاقبة أهل الكفر، ثم عاقبة أهل الشكر، وفي آخر السورة ذكر أولا أهل الرحمة ثم أهل العذاب. فبدأ السورة بأول أحوال الإنسان وهي النطفة، وختمها بآخر أحواله وهي كونه من أهل الرحمة أو العذاب، ووسّطها بأعمال الفريقين، فذكر أعمال أهل العذاب مجملة في قوله: (إنا أعتدنا للكافرين)، وأعمالَ أهل الرحمة مفصلة وجزاءهم مفصلا». «جامع الرسائل لابن تيمية» (١/ ٦٩).

(هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكورا):

قال الطبري: «قيل: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) لأنه أتى عليه وهو جسم مصور لم تنفخ فيه الروح أربعون عاما، فكان شيئا، غير أنه لم يكن شيئا مذكورا، قالوا: ومعنى قوله: (لم يكن شيئا مذكورا) لم يكن شيئا له نباهة، ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طينا لازبا وحمأ مسنونا». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٨٨).

وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: (هل أتى) قال الفراء: معناه: قد أتى. و (هل) تكون خبرا، وتكون جحدا، فهذا من الخبر، لأنك تقول: هل وعظتك؟ هل أعطيتك؟ فتقرره بأنك قد فعلت ذلك. والجحد، أن تقول: وهل يقدر أحد على مثل هذا؟ وهذا قول المفسرين، وأهل اللغة.

وفي هذا الإنسان قولان:

أحدهما: أنه آدم عليه السلام. والحين الذي أتى عليه: أربعون سنة، وكان مصورا من طين لم ينفخ فيه الروح، هذا قول الجمهور.

والثاني: أنه جميع الناس، روي عن ابن عباس، وابن جريج، فعلى هذا يكون الإنسان اسم جنس، ويكون الحين زمان كونه نطفة، وعلقة، ومضغة». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٧٤).

قال البغوي: «روي أن عمر سمع رجلا يقرأ هذه الآية: (لم يكن شيئا مذكورا) فقال عمر: ليتها تمت، يريد: ليته بقي على ما كان». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٩).

(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا):

قال الطبري: «كان بعض أهل العربية يقول: المعنى: جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، فهي مقدَّمة معناها التأخير، إنما المعنى: خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، ولا وجه عندي لما قال يصحّ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات، وإنْ عُدم السمع والبصر، وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسماعا وأبصارا في هذه الآية، فتذكير منه لنا بنعمه، وتنبيه على موضع الشكر؛ فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة، وسلامة العقل من الآفة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٩١).

وقال البغوي: «قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والربيع (من نطفة أمشاج): يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم، فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبَه كان الشبه له». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٢).

(إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا):

قال ابن القيم: «قسّم الناس إلى شَكور وكَفور، فأبغضُ الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، قال تعالى في الإنسان: {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}، وقال نبيه سليمان: {هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم}، وقال تعالى: {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}، وقال تعالى: {إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم}. وهذا كثير في القرآن يقابل سبحانه بين الشكر والكفر، فهو ضده. وقال تعالى: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين}. والشاكرون هم الذين ثبتوا على نعمة الإيمان، فلم ينقلبوا على أعقابهم». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٢٢٠).

وقال ابن كثير: «{إنا هديناه السبيل} أي: بيناه له ووضحناه وبصرناه به، كقوله: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، وكقوله: {وهديناه النجدين}، أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر...
جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل الناس يغدو، فبائع نفسه فموبقها أو معتقها)... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فإذا أعرب عنه لسانه، فإما شاكرا وإما كفورا)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٦).

(إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا):

قال القرطبي: «عن أبي الدرداء كان يقول: ارفعوا هذه الأيدي إلى الله جل ثناؤه قبل أن تُغلّ بالأغلال. قال الحسن: إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار، لأنهم أعجزوا الرب سبحانه، ولكن إذلالا». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٤).

(إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا):

قال ابن الجوزي: «(كان مزاجها) يعني مزاج الكأس كافورا، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الكافور المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل، فعلى هذا في المراد «بالكافور» ثلاثة أُقوال: أحدها: برده، قاله الحسن. والثاني: ريحه، قاله قتادة. والثالث: طعمه، قاله السدي.

والثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله عطاء، وابن السائب.

والثالث: أن المعنى: مزاجها كالكافور لطيب ريحه، وأجازه الفراء، والزجاج». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٧٥).

وقال السعدي: «{يشربون من كأس} أي: شراب لذيذ من خمر قد مزج بكافور، أي: خُلط به ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور في غاية اللذة، قد سلم من كل مكدر ومنغص موجود في كافور الدنيا، فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تُعدم في الآخرة. كما قال تعالى: {في سدر مخضود وطلح منضود}، {وأزواجٌ مطهرة}، {لهم دار السلام عند ربهم}، {وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين}». «تفسير السعدي» (ص٩٠١).

(عينا يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيرا):

قال ابن القيم: «قوله تعالى: {عينا يشرب بها عباد الله} فإنهم يضمّنون (يشرب) معنى (يروى) فيعدونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين: أحدهما بالتصريح به، والثاني بالتضمن والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها... وهذا أحسن من أن يقال: يشرب منها، فإنه لا دلالة فيه على الري، وأن يقال: يروى بها؛ لأنه لا يدل على الشرب بصريحه بل باللزوم، فإذا قال: يشرب بها، دل على الشرب بصريحه، وعلى الري بحرف الباء، فتأمله». «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٢٤).

وقال ابن القيم: «وأما سورة الإنسان فقال تعالى: {إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا}، فهؤلاء الظالمون أصحاب المشأمة. ثم قال: {إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا}، فهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين. ثم قال: {عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا}، فهؤلاء المقربون السابقون، ولهذا خصهم بالإضافة إليه، وأخبر أنهم يشربون بتلك العين صرفا محضا، وأنها تُمزج للأبرار مزجا، كما قال في سورة المطففين في شراب الأبرار: {ومزاجه من تسنيم. عينا يشرب بها المقربون}». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١/ ٤٢١).

وقال ابن كثير: «{يفجرونها تفجيرا} أي: يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالّهم. والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا}. وقال: {وفجّرنا خلالهما نهرا}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٧).

(يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا):

قال البغوي: «{ويخافون يوما كان شره مستطيرا} فاشيا ممتدا، يقال: استطار الصبح، إذا امتد وانتشر. قال مقاتل: كان شره فاشيا في السماوات فانشقت، وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس والقمر، وفزعت الملائكة، وفي الأرض: فنسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسّر كل شيء على الأرض من جبل وبناء». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٤).

وقال القرطبي: «(يوفون بالنذر) أي لا يخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات. وقال مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناؤه. وقال الفراء والجرجاني: وفي الكلام إضمار، أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة كان وتحذف أخرى... وقد قال الله تعالى: (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم) أي أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم بإحرامهم بالحج. وهذا يقوّي قول قتادة. وأن النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بإيمانه من امتثال أمر الله». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٧).

وقال ابن كثير: «يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر... عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)، رواه البخاري...

ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٧).

(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا):

قال ابن الجوزي: «في الأسير أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة، قاله مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي.

والرابع: العبد، ذكره الماوردي». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٧٧).

وقال القرطبي: «(ويطعمون الطعام على حبه) قال ابن عباس ومجاهد: على قلته وحبهم إياه وشهوتهم له. وقال الداراني: على حب الله. وقال الفضيل بن عياض: على حب إطعام الطعام. وكان الربيع بن خثيم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سكرا، فإن الربيع يحب السكر». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢٨).

وقال ابن تيمية: «أخبر عنهم بإطعام الطعام على محبتهم له، وذلك يدل على نفاسته عندهم وحاجتهم إليه، وما كان كذلك فالنفوس به أشح، والقلوب به أعلق، واليد له أمسك، فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل.

فذكر من حقوق العباد بذل قوت النفس على نفاسته وشدة الحاجة منبها على الوفاء بما دونه، كما ذكر من حقوقه الوفاء بالنذر منبها على الوفاء بما هو فوقه وأوجب منه، ونبه بقوله: (على حبه) أنه لولا أن الله سبحانه أحب إليهم منه لما آثروه على ما يحبونه، فآثروا المحبوب الأعلى على الأدنى». «جامع الرسائل لابن تيمية» (١/ ٧٢).

وقال ابن القيم: «فطر الله العباد على أنّ من تقرّب إلى محبوبه بأفضل هدية يقدر عليها وأجلِّها وأعلاها كان أحظى لديه وأحب إليه ممن تقرّب إليه بألف واحد رديء من ذلك النوع. وقد نبه سبحانه على هذا بقوله: {ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد}. وقال تعالى: {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه}، وقال: {ويطعمون الطعام على حبه}. وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الرقاب، فقال: «أغلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/ ٨٩).

وقال ابن كثير: «روى البيهقي، من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبا -أول ما جاء العنب- فأرسلت صفية -يعني امرأته- فاشترت عنقودا بدرهم، فاتّبع الرسولُ السائل، فلما دخل به قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر، فاشترت عنقودا، فاتّبع الرسولُ السائل، فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به.
وفي الصحيح: (أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر) أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٨).

(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا):

«عن سعيد بن جبير (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) قال: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٩٨).

وقال ابن تيمية: «ومن الجزاء أن يطلب الدعاء، قال تعالى عمن أثنى عليهم: {إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا}، والدعاء جزاء، كما في الحديث: (من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه).

وكانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بصدقة تقول للرسول: اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على الله.

وقال بعض السلف: إذا قال لك السائل: بارك الله فيك فقل: وفيك بارك الله.

فمن عمل خيرا مع المخلوقين سواء كان المخلوق نبيا أو رجلا صالحا أو مِلكا من الملوك أو غنيا من الأغنياء فهذا العامل للخير مأمور بأن يفعل ذلك خالصا لله يبتغي به وجه الله، لا يطلب به من المخلوق جزاء ولا دعاء ولا غيره، لا من نبي ولا رجل صالح ولا من الملائكة». «مجموع الفتاوى» (١/ ١٨٨).

وقال ابن تيمية: «فلا يطلب ممن أحسن إليه جزاء ولا شكورا. لأنه إنما عمل له ما عمل لله، كما قال الأبرار: {إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا}، ولا يمن عليه بذلك ولا يؤذيه. فإنه قد عُلم أن الله هو المانّ عليه إذ استعمله في الإحسان. وأن المنة لله عليه وعلى ذلك الشخص. فعليه هو: أن يشكر الله إذ يسره لليسرى. وعلى ذلك: أن يشكر الله إذ يسر له من يقدّم له ما ينفعه من رزق أو علم أو نصر أو غير ذلك». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٣٠).

(إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا):

قال البغوي: «{إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا} تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، نسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل قائم. وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة.

{قمطريرا} قال قتادة، ومجاهد، ومقاتل: القمطرير: الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس. قال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطرير: الشديد، قال الأخفش: القمطرير أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء، يقال: يوم قمطرير وقماطر، إذا كان شديدا كريها». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٥).

(فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا):

قال ابن القيم: «وقد جمع سبحانه بين الجمالين -أعني جمال الظاهر والباطن- في غير موضع من كتابه:

منها قوله: {يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير}.

ومنها قوله في نساء الجنة: {فيهن خيرات حسان} فهن حسان الوجوه، خيرات الأخلاق.

ومنها قوله: {ولقاهم نضرة وسرورا}، فالنضرة جمال الوجوه، والسرور جمال القلوب.

ومنها قوله: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة}، فالنضرة تزين ظواهرها، والنظر يجمل بواطنها.

ومنها قوله: {وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا}، فالأساور جمّلت ظواهرهم، والشراب الطهور طهّر بواطنهم.

ومنها قوله: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد}، فجمّل ظاهرها بالكواكب، وباطنها بالحراسة من الشياطين». «مدارج السالكين» (٤/ ٢٢١-٢٢٢).

وقال ابن كثير: «القلب إذا سُرّ استنار الوجه، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر. وقالت عائشة: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق أسارير وجهه. الحديث». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الإنسان ١-١١

١- خلقك الله في هذه الدنيا، وأنعَمَ عليك بالسمع والبصر والعقل، وشرّفك على غيرك من المخلوقات، وبيّن لك طريق الهدى، ليبتليَك أتشكر أم تكفر؟ أتوحّد أم تشرك؟ أتُطيع أم تعصي؟ فكن عبد الله الشاكر الموحّد المطيع (هل أتى على الإنسان حِينٌ من الدهر لم يكن شيئا مذكورا * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا).

٢- اقرأ ما ذكر الله عز وجلّ في القرآن من نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين مستحضرا حقيقته في نفسك، مصدّقا به بقلبك، موقنا أنه كائن لا محالة، مقارنا بين حال الفريقين؛ لتجد أثر ذلك في تصحيح عبوديّتك، وتقويم سلوكك، فشتّان بين من يكون في السلاسل والأغلال والسعير، وبين من عنده عينٌ يتصرّف فيها ويوجّهها حيث شاء (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا * إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيرا).

٣- اعلم أنك بشهادتك أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد التزمت بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل أمر ونهي، فأوفِ بما التزمت به كاملا غير منقوص، مستعينا بالله على ذلك (يوفون بالنذر).

٤- الصالحون من عباد الرحمن يعيشون في الدنيا خائفين من عذاب الله وعقابه يوم القيامة، فتجدهم جادّين في فعل كل ما يقرّبهم إلى الله والجنة، مبتعدين عن كل ما يدخلهم النار، فيجدون جزاءهم يوم القيامة بالوقاية من شرّ ذلك اليوم، وتحصيل النضرة والسرور، بينما تجد الغافلين آمنين من عذاب الله، مطمئنين إلى نعيم الدنيا، لاهين في حياتهم، عابثين بالنعم التي عندهم، لا يبالون بما فاتهم من الطاعات، ولا يكترثون بما ارتكبوه من المحرمات، يؤدون العبادات للتخلّص من تبعاتها فحسب، فتراها في حياتهم شكلا لا روح فيها، فاحذر أن تكون منهم (ويخافون يوما كان شره مستطيرا)، (إنا نخاف من ربنا يوما عَبوسًا قمطريرًا * فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نَضرةً وسرورا).

٥- أنفق مما تحب من الأموال والأطعمة وغيرهما لتنال الدرجات العلى من الإيمان والبرّ والتقوى، ولْيكن إنفاقك لمن هم أحوج حتى يكون أجرك أعظم (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرًا).

٦- أخلص لله في أعمالك، قاصدًا وجهه الكريم، وخاصّة في العبادات التي فيها إحسان إلى الناس، فلا تطلب منهم عِوضا ولا ثناء ولا شكرا ولا دعاءً ولا دعما معنويا، ولا تحقيق أي منفعة دينية أو دنيوية لك، بل اطلب من الله وحده الأجر والثواب (إنما نُطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شُكورًا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإنسان ١٢-٢٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢﴾

وأثابهم الله -بسبب صبرهم على الطاعات، وصبرهم على أقدار الله، وصبرهم عن المعاصي- جنة يتنعمون فيها، وحريرًا يلبسونه.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسًا وَلَا زَمۡهَرِيرًا ١٣﴾

متكئون فيها على الأسرّة المُزَيَّنة، لا يرون في هذه الجنّة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظلّ دائم لا حرّ معه ولا برد.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلًا ١٤﴾

قريبة منهم ظلالها، وسُخِّرت ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها بيسر وسهولة، بحيث ينالها المضطجع والقاعد والقائم.

﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكۡوَابٍ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥﴾

ويدور عليهم الخدم بآنية الفضة، وبكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.

﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرًا ١٦﴾

هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدرة وفق ما يريدون، لا تزيد عنه ولا تنقص.

﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧﴾

ويُسْقَى هؤلاء المُكرَّمون كأسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل.

﴿عَيۡنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلًا ١٨﴾

يشربون من عين في الجنّة تسمى سَلْسبيلًا.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾

ويدور عليهم في الجنّة وِلْدان باقون على شبابهم، إذا رأيتهم ظننتهم لنضارة وجوههم وحسن ألوانهم وكثرتهم وتفرقهم لؤلؤًا منثورًا.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمًا وَمُلۡكًا كَبِيرًا ٢٠﴾

وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا لا يمكن وصفه، ورأيت ملكًا عظيمًا لا يُدانيه ملك.

﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾

قد علت أبدانهم الثياب الخضراء الفاخرة وهي من الحرير الرقيق، وغليظ الديباج، وأُلبِسوا فيها أسورة من فضة، وسقاهم الله شرابًا خاليًا من أي منغص.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾

ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الَّذي أعطيتموه كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مقبولًا عند الله.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• إذا كان حال الغلمان الذين يخدمونهم في الجنّة بهذا الجمال، فكيف بأهل الجنّة أنفسهم؟!.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الإنسان ١٢-٢٢

الكلمة	المعنى
الأَرائِك	الأسرّةِ المزيّنةِ بالثياب والستور الفاخرة
زَمْهَريرًا	برْدًا شديدًا
ودانيةً عليهم ظِلالُها	وقريبةً منهم ظلال أشجارها
وذُلّلت قُطوفُها	وسُهِّل لهم أَخْذُ ثمارها
قوارِيرا	كالزجاج في صفائها
قدّرُوها تقديرًا	جعلوا مِقدارها على قدْر ما يشتهي شاربُها
مِزاجُها	ما تُمزج وتُخلَط به
تسمّى سَلْسَبِيلا	يوصف شرابها بالسلاسة وسهولة المساغ
وِلدانٌ مُخلّدون	غِلمان للخدمة دائمون على حالهم في الحسن والبهاء
لُؤلؤًا مَنثورًا	كاللؤلؤ المفرّق المُضيء في الحسن والصفاء
وإذا رأيتَ ثَمَّ	وإذا أبصرت أيّ مكان هناك في الجنة
عَالِيَهُم	يعلو أبدانَهم ويُزيّنُها
سُندُس	حريرٍ رقيق
وإِستَبرَق	وحريرٌ غليظ
وحُلُّوا	وأُلبِسُوا للزينة
أساوِر	جمع سِوار، وهو ما يُلبَس في مِعصَم اليد من الحُليّ
سعْيُكُم	عملُكم الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الإنسان ١٢-٢٢

قال ابن القيم في حال أهل الجنة ونعيمهم: «ولما علم الموفقون ما خلقوا له، وما أريد بإيجادهم، رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَم الجنة قد رُفع لهم، فشمّروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضَح لهم، فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيعَ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول، ولا ينفد = بصبابة عيش، إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيفٍ زار في المنام، مشوبٍ بالنغص، ممزوج بالغُصص، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا، وإن سرّ يوما أحزن شهورا، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعافُ أضعافِ مسراته، أوله مخاوف، وآخره مَتالف.

فيا عجبا من سفيه في صورة حكيم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضُها السموات والأرض؛ بسجن ضيق بين أرباب العاهات، ومساكنَ طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارا عُرُبا أترابا، كأنهن الياقوت والمرجان؛ بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات في الخيام؛ بخبيثات مسيئات بين الأنام، وأنهارا من خمر لذة للشاربين؛ بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم؛ بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن؛ بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد؛ بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي: (يا أهل الجنة: إنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبّوا فلا تهرموا)؛ بغناء المغنين:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك، فليلمني اللوّم

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حُشر المتقون إلى الرحمن وفدا، وسيق المجرمون إلى جهنم وِردا، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد: لَيعلمنّ أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهّم المتخلف عن هذه الرفقة ما أُعدّ لهم من الإكرام، وادُّخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين، لم يقع على مثلها بصر، ولا

سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر = لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته، وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا مُلكا كبيرا، لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنات يتقلبون، وعلى أسرّتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرُش -التي بطائنها من إستبرق- يتكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، {يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين. لا يُصدعون عنها ولا يُنزِفون. وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون. وحور عين. كأمثال اللؤلؤ المكنون. جزاء بما كانوا يعملون}، {يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون}. تالله، لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قبل ولا استام إلا أفراد من العباد، فواعجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها، والرب بالخلق أعلم
وإن حُجبت عنا بكل كريهة ... وحُفّت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يُتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ... وروضاتها، والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد الـ ... مزيد لوفد الحب، لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم، ويسلّم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها، ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نَضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيّم
ولله كم من خَيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم

ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انـ ... ـثنت ويا خجلة الفجرين حين تبسم

فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم

ولا سيما في لثمها عند ضمها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم

تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلَذّ به قبل الوصال، وينعم

تفكّهُ فيها العين عند اجتلائها ... فواكهَ شتى، طلعها ليس يعدم

عناقيد من كرْم، وتفاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم

وللورد ما قد ألبسته خدودها ... وللخمر ما قد ضمه الريق والفم

تقسم منها الحسن في جمع واحد ... فيا عجبا من واحد يتقسم

لها فرق شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها، أن السلوّ محرم

تذكر بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم

إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيش يهزم

فيا خاطب الحسناء إن كنت باغيا ... فهذا زمان المهر فهو المقدم

وكن مبغضا للخائنات لحبها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم

وكن أيما ممن سواها فإنها ... لمثلك في جنات عدن تأيم

وصم يومَك الأدنى لعلك في غد ... تفوز بعيد الفطر، والناس صوّم

وأقدم ولا تقنع بعيش منغّص ... فما فاز باللذات من ليس يُقدم

وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزل لك يُعلم

فحيّ على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل تُرى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطّت به أوطانُه فهو مُغرم

وأيّ اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تَحكّم

وحيّ على السوق الذي فيه يلتقي الـ ... محبون، ذاك السوق للقوم مَعلم

فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

وحيّ على يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش، فاليوم موسم
وحيّ على واد هنالك أفيح ... وتربته من أذفر المسك أعظم
منابرُ من نور هناك وفضة ... ومِن خالص العقيان لا يتفصّم
وكثبان مسك قد جُعلن مقاعدا ... لمن دون أصحاب المنابر تُعلم
فبينا هم في عيشهم وسرورهم ... وأرزاقُهم تجري عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجناتِ لا يُتوهم
تجلّى لهم رب السماوات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يكلّم
سلام عليكم، يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليمَه إذ يسلّم
يقول: سلوني ما اشتهيتم فكل ما ... تريدون عندي، إنني أنا أرحم
فقالوا جميعا: نحن نسألك الرضا ... فأنت الذي تُولي الجميل وترحم
فيعطيهمُ هذا، ويشهد جمعهم ... عليه، تعالى الله، فالله أكرم
فيا بائعا هذا ببخسٍ معجلٍ ... كأنك لا تدري، بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/ ٨-١٥).

(وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا):

قال ابن القيم: «من فسَح لنفسه في اتباع الهوى ضَيّق عليها في قبره ويوم معاده، ومن ضيّق عليها بمخالفة الهوى وَسّع عليها في قبره ومعاده، وقد أشار تعالى إلى هذا في قوله تعالى: {وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا}. فلما كان في الصبر ـ الذي هو حبس النفس عن الهوى ـ خشونة وتضييق؛ جازاهم على ذلك نعومة الحرير، وسعة الجنة. قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى في هذه الآية: وجزاهم بما صبروا عن الشهوات». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٦٤١).

وقال السعدي: «{وجزاهم بما صبروا} على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها». «تفسير السعدي» (ص٩٠١).

(متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا):

«عن قتادة، قال الله: (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعلم أن شدة الحر تؤذي، وشدة القر تؤذي، فوقاهم الله أذاهما». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٠٢).

وقال البغوي: «{لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا} أي صيفا ولا شتاء. قال مقاتل: يعني شمسا يؤذيهم حرها، ولا زمهريرا يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهرير: البرد الشديد». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٦).

(ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا):

قال ابن كثير: «{وذللت قطوفها تذليلا} أي: متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال تعالى في الآية الأخرى: {وجنى الجنتين دان}، وقال تعالى: {قطوفها دانية}.

قال مجاهد: {وذللت قطوفها تذليلا} إن قام ارتفعت بقدْره، وإن قعد تدلّت له حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت له حتى ينالها، فذلك قوله: {تذليلا}.

وقال قتادة: لا يردّ أيديهم عنها شوك ولا بُعد.

وقال مجاهد: أرض الجنة من ورِق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت، والورَق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائما لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعا لم يؤذه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩١).

(ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قواريرا من فضة قدّروها تقديرا):

«عن قتادة، في قوله: (قوارير من فضة) قال: لو احتاج أهل الباطل أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه، كما يرى ما في القوارير ما قدروا عليه». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٠٥).

وقال البغوي: «{قوارير من فضة} قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٦).

وقال القرطبي: «وقيل: أرض الجنة من فضة، والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها. ذكره ابن عباس، وقال: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه، إلا القوارير من فضة. وقال: لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء، ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفاء القوارير». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٠).

وقال ابن تيمية: «فإن قيل: فلم اقتصر من آنيتهم وحِليتهم على الفضة دون الذهب؟ ومعلوم أن الجنان جنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما.

قيل: سياق هذه الآيات إنما هو في وصف الأبرار ونعيمِهم مفصلا دون تفصيل جزاء المقربين، فإنه سبحانه إنما أشار إليه إشارة تنبه على ما سكت عنه، وهو أن شارب الأبرار يمزج من شرابهم.

فالسورة مسُوقة بصفة الأبرار وجزائهم على التفصيل، وذلك -والله أعلم- لأنهم أعم من المقربين وأكثر منهم؛ ولهذا يخبر سبحانه عنهم بأنهم ثلة من الأولين وثلة من الآخِرين، وعن المقربين السابقين بأنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخِرين.

وأيضا فإن في ذكر جزاء الأبرار تنبيها على أن جزاء المقربين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». «جامع الرسائل لابن تيمية» (١/ ٧٣).

وقال ابن القيم: «ذكر هنا الأساور من الفضة والأكواب من الفضة في جزاء الأبرار، وذكر في سورة الملائكة (فاطر) الأساور من الذهب في جزاء السابقين بالخيرات، فعُلم جزاء المقتصدين من سورة الإنسان، وعُلم جزاء السابقين من سورة الملائكة، فانتظمت السورتان جزاء المقربين على أتمّ الوجوه. والله أعلم بأسرار كلامه وحكمه». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١/ ٤٣٥).

(ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا):

قال الطبري: «ويسقى هؤلاء القوم الأبرار في الجنة كأسا، وهي كل إناء كان فيه شراب، فإذا كان فارغا من الخمر لم يقل له: كأس، وإنما يقال له: إناء، كما يقال للطبق الذي تهدى فيه الهدية: المُهدى مقصورا ما دامت عليه الهدية، فإذا فرغ مما عليه كان: طبقا أو خِوانا، ولم يكن مُهدى». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٠٧).

وقال البغوي: «{ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا} يُشوّق ويُطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيبه جدا، فوعدهم الله تعالى أنهم يُسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة... قال ابن عباس: كل ما ذكر الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثَل». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٦).

وقال ابن كثير: «{كان مزاجها زنجبيلا} فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفا، كما قاله قتادة وغير واحد». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩١).

(عينا فيها تسمى سلسبيلا):

قال البغوي: «قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان، وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل

وريح المسك. قال الزجاج: سميت سلسبيلا لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٧).

(ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا):

قال الطبري: «عُني به أنهم دائم شبابهم، لا يتغيرون عن تلك السن. وذُكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره: إنه لمخلّد؛ كذلك إذا كبُر وثبت أضراسه وأسنانه قيل: إنه لمخلّد، يراد به أنه ثابت الحال، وهذا تصحيح لما قال قتادة من أن معناه: لا يموتون، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت، فهم مخلّدون». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١١٠).

وقال ابن القيم: «شبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور، لما فيه من البياض وحسن الخلق، وفي كونه منثورا فائدتان: إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.
والثاني: أن اللؤلؤ إذا كان منثورا، ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير؛ كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا في مكان واحد». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/ ٤٦٣-٤٦٥).

وقال ابن كثير: «{إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا} أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، (حسبتهم لؤلؤا منثورا) ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.
قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩٢).

(وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيما ومُلكا كبيرا):

قال البغوي: «{وإذا رأيت ثم} أي إذا رأيت ببصرك ونظرت به {ثم} يعني في الجنة {رأيت نعيما} لا يوصف {وملكا كبيرا} وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه.

وقال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكا لا زوال له». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٧).

وقال ابن كثير: «{رأيت نعيما وملكا كبيرا} أي: مملكة لله هناك عظيمة وسلطانا باهرا.

وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا إليها: (إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها).

وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه). فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩٢).

وقال السعدي: «{وإذا رأيت ثم} أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم {رأيت نعيما وملكا كبيرا} فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجِبة، والطيور المُطرِبة المُشجِية ما يأخذ بالقلوب، ويُفرح النفوس.

وعنده من الزوجات اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا.

وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقلّ خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه». «تفسير السعدي» (ص٩٠٢).

(عاليَهم ثياب سندس خضرٌ وإستبرق وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا):

قال ابن القيم: «{عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة}، فهذه زينة الظاهر، ثم قال: {وسقاهم ربهم شرابا طهورا}. فهذه زينة الباطن المطهر له من كل أذى ونقص.

ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام: {إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى}. فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ، ولا حر الظاهر بالضحى». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/ ٣٩٣).

قال البغوي: «{وسقاهم ربهم شرابا طهورا} قيل: طاهرا من الأقذار والأقذاء لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا.

وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم، ريحه كريح المسك، وذلك أنهم يؤتون بالطعام، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فيطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم ريحا أطيب من المسك الأذفر، وتضمر بطونهم، وتعود شهوتهم.

وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٨).

وقال القرطبي: «قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبدا، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة، فيقولون لهم: (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الإنسان ١٢-٢٢

١- أدِم القراءة في وصف نعيم الجنة الوارد في القرآن، لتزهد في متاع الدنيا القليل الزائل، وتشتاق إلى نعيم الجنة النفيس الباقي، فإن ملابس أهل الجنة من الحرير الخالص، ومجالسَهم أسرّة مزيّنة، يتكئون فيها مرتاحين مطمئنّين فرحين مستبشرين، لا يعانون فيها من أذى الحرّ ولا ضرر البرد، ويستظلّون بظلال أشجارها الوارِفة، ويقطفون ما شاؤوا من لذيذ الفواكه بأنواعها المختلفة متى شاؤوا قياما وقعودا ومضطجعين، لا يكابدون أيّ عناء في قطف ثمارها، وأوانيهم من فضة في صفاء الزجاج، يشربون فيها من ألذّ الأشربة ما يشتهون، من خمر وكافور، أو خمر وزنجبيل، والعيون تجري من تحت أرجلهم، يوجّهونها حيث شاؤوا، ويسقيهم ربهم شرابا طهورا، وخدمهم فيها غلمان باقون على شبابهم ونضارتهم، منتشرون في كل مكان كأنهم اللؤلؤ المنثور، ويُحلّون فيها بأساور من فضة، ويعطى الواحد منهم ملكا كبيرا واسعا، ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، فما أعظمه من نعيم، وما أجملها من كرامة، وما أكرمه من رب رحيم، وما أعظم حسرة من يفوته هذا النعيم المقيم؛ لأنه لم يصبر على طاعة ربه ساعات يسيرة من عمره (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلا * ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قواريرا من فضة قدّروها تقديرا * ويُسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا * وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيما ومُلكا كبيرا * عاليَهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإنسان ٢٣-٣١ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣﴾

إنا نحن أنزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن مفرَّقًا، ولم ننزله عليك جملة واحدة.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾

فاصبر لما يحكم به الله قدرًا أو شرعًا، ولا تطع آثمًا فيما يدعو له من الإثم، ولا كافرًا فيما يدعو إليه من الكفر.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾

واذكر ربك بصلاة الفجر أول النهار، وصلاة الظهر والعصر آخره.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾

واذكره بصلاتي الليل: صلاة المغرب وصلاة العشاء، وتَهَجَّد به بعدهما.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾

إن هؤلاء المشركين يحبون الحياة الدنيا ويحرصون عليها، ويتركون وراءهم يوم القيامة، وهو يوم ثقيل؛ لما فيه من الشدائد والمحن.

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨﴾

نحن خلقناهم وقوَّينا خلقهم بتقوية مفاصلهم وأعضائهم وغيرها. وإذا شئنا إهلاكهم وإبدالهم بأمثالهم أهلكناهم وأبدلناهم.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾

إن هذه السورة موعظة وتذكير، فمن شاء اتخاذ طريق توصله إلى رضا ربه اتخذها.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾

وما تشاؤون اتخاذ طريق إلى رضا الله إلا أن يشاء الله ذلك منكم، فالأمر كله إليه، إن الله كان عليمًا بما يصلح لعباده، وبما لا يصلح لهم، حكيمًا في خلقه وقدره وشرعه.

﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

يُدْخِل من يشاء من عباده في رحمته، فيوفقهم للإيمان والعمل الصالح، وأعدّ للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي عذابًا موجعًا في الآخرة، وهو عذاب النار.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خطر التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة.

• مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الإنسان ٢٣-٣١

الكلمة	المعنى
بُكرَةً وأَصيلًا	أوّلَ النهار وآخرَه
العَاجِلَة	الدُنيا
يومًا ثقيلًا	شديدَ الأهوال، وهو يوم القيامة
وشدَدنا أسْرَهم	وأحكمْنا خلْقَهم
بدّلنا أمثالَهم	أهلكناهم وأتينا بقوم آخَرين مُطيعين
سَبيلًا	طريقًا يوصله إلى الله ورحمته

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الإنسان ٢٣-٣١

(إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا):

قال البغوي: «{إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا} قال ابن عباس: متفرقا آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٨).

وقال القرطبي: «(إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) ما افتريتَه ولا جئتَ به من عندك، ولا من تلقاء نفسك، كما يدّعيه المشركون». «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٤٨).

(فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا):

قال البغوي: «قال قتادة: أراد بالآثم الكفور أبا جهل، وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت محمدا يصلي لأطأنّ عنقه.

وقال مقاتل: أراد بـ "الآثم" عتبة بن ربيعة، وبـ "الكفور" الوليد بن المغيرة، قالا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنتَ صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر، قال عتبة: فأنا أزوّجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى، فارجع عن هذا الأمر، فأنزل الله هذه الآية». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٩٩).

وقال ابن عطية: «وحكم ربه هو أن يبلّغ ويكافح ويتحمل المشقة ويصبر على الأذى ليعذر الله إليهم.

وقوله تعالى: (آثما أو كفورا) هو تخيير في أن يعرف الذي ينبغي أن لا يطيعه بأيّ وصف كان من هذين؛ لأن كل واحد منهم فهو آثم وهو كفور، ولم تكن الأمة حينئذ من الكثرة بحيث يقع الإثم على العاصي.

واللفظ أيضا يقتضي نهي الإمام عن طاعة آثم من العصاة أو كفور من المشركين». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤١٤).

وقال القرطبي: «(آثما أو كفورا) أوكد من الواو، لأن الواو إذا قلت: لا تطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص، لأنه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قال: (لا تطع منهم آثما أو كفورا) فـ (أو) قد دلت على أن كل واحد منهما أهل أن يُعصى، كما أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، أو اتبع الحسن أو ابن سيرين فقد قلت: هذان أهل أن يُتّبعا، وكل واحد منهما أهل لأن يُتّبع، قاله الزجاج. وقال الفراء: (أو) هنا بمنزلة لا كأنه قال: ولا كفورا». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤٩).

وقال ابن تيمية: «وقد قيل في معناه: اصبر لما يحكم به عليك، وقيل: اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت. والأول أصح.

وحكم الله نوعان: خلق وأمر. فالأول: ما يقدّره من المصائب. والثاني: ما يأمر به وينهى عنه. والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا، فعليه أن يصبر لما أُمر به ولما نُهي عنه، فيفعل المأمور ويترك المحظور، وعليه أن يصبر لما قدّره الله عليه.

وبعض المفسرين يقول: هذه الآية منسوخة بآية السيف، وهذا يتوجه إن كان في الآية النهي عن القتال، فيكون هذا النهي منسوخا، وليس جميع أنواع الصبر منسوخة، كيف والآية لم تتعرض لذلك هنا لا بنفي ولا إثبات، بل الصبر لحكم الله ما زال واجبا، وإذا أُمر بالجهاد فعليه أيضا: أن يصبر لحكم الله، فإنه يبتلى من قتالهم بما هو أعظم من كلامهم، كما ابتُلي به يوم أحد والخندق، وعليه حينئذ أن يصبر ويفعل ما أُمر به من الجهاد». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٢٥).

(واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلا طويلا):

قال ابن عطية: «أمره تعالى بذكر ربه دأبا بكرة وأصيلا ومن الليل، بالسجود والتسبيح الذي هو الصلاة، ويحتمل أن يريد قول: سبحان الله، وذهب قوم من أهل العلم إلى أن هذه الآية إشارة إلى الصلوات الخمس، منهم ابن حبيب وغيره. فالبُكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤١٤).

وقال القرطبي: «قال ابن عباس وسفيان: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٠).

وقال ابن تيمية: «الله تعالى أوجب الركوع والسجود في الكتاب والسنة، وهو واجب بالإجماع، لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا}، وقوله تعالى: {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون}، وقوله تعالى: {فما لهم لا يؤمنون. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون}، وقوله تعالى: {إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون}، وقوله تعالى: {واسجد واقترب}، وقوله تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب}. فدل على أن الذي لا يسجد لله من الناس قد حق عليه العذاب، وقوله: {ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا}». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٦٦).

وقال السعدي: «ولما كان الصبر يُستمدّ من القيام بطاعة الله والإكثار من ذكره أمره الله بذلك فقال: {واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا} أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات». «تفسير السعدي» (ص٩٠٢).

(إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا):

قال الطبري: «(ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) يقول: ويدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ، وقد تأوّله بعضهم بمعنى: ويذرون أمامهم يوما ثقيلا، وليس ذلك قولا مدفوعا، غير أن الذي قلناه أشبه بمعنى الكلمة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١١٧).

وقال ابن القيم: «إن طال وقوفه في الصلاة ليلا ونهارا لله، وتحمّل لأجله المشاقّ في مرضاته وطاعته= خفّ عليه الوقوف ذلك اليوم (يوم القيامة) وسهُل عليه، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة طال

عليه الوقوف هناك ذلك اليوم، واشتدّت مشقّته عليه. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: {إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا. فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا. واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا. ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا. إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا}، فمن سبّح الله ليلا طويلا لم يكن ذلك اليومُ ثقيلا عليه، بل كان أخفّ شيء عليه». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٠).

وقال ابن القيم: «للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول هَوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفّه حقه شدّد عليه ذلك الموقف. قال تعالى: {ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا. إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا}». «الفوائد لابن القيم» (١/ ٢٩١).

(نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا):

قال ابن عطية: «والأسر: الخِلقة واتّساع الأعضاء والمفاصل، وقد قال أبو هريرة والحسن والربيع: (الأسر): المفاصل والأوصال، وقال بعضهم: (الأسر): القوة...

قال الطبري: ومنه قول العامة: خذه بأسره، يريدون: خذه كله».

وقال القرطبي: «الكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية. أي سوّيت خلقك وأحكمته بالقوى ثم أنت تكفر بي؟ (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) قال ابن عباس: يقول: لو نشاء لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم. وعنه أيضا: لغيّرنا محاسنهم إلى أسمج الصور وأقبحها». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٢).

وقال ابن كثير: «{وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا} أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدّلناهم فأعدناهم خلقا جديدا. وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.

وقال ابن زيد، وابن جرير: {وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا} أي: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم، كقوله: {إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا}، وكقوله: {إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩٤).

وقال السعدي: «استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: {نحن خلقناهم} أي: أوجدناهم من العدم، {وشددنا أسرهم} أي: أحكمنا خِلقتهم بالأعصاب والعروق والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تمّ الجسم واستكمل، وتمكّن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم على هذه الحالة قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقَلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار لا يليق به أن يتركهم سدى، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال: {بدّلنا أمثالهم تبديلا} أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم». «تفسير السعدي» (ص٩٠٣).

(إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا):

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: (فمن شاء اتخذ...) ليس على جهة التخيير، بل فيه قرينة التحذير، والحضِّ على اتّخاذ السبيل». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤١٥).

(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما):

قال ابن تيمية: «العبد له مشيئة للخير والشر، وله قدرة على هذا وهذا، وهو العامل لهذا وهذا، والله خالق ذلك كلِّه وربُّه ومليكُه؛ لا خالق غيره؛ ولا رب سواه؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وقد أثبت الله المشيئتين: مشيئة الرب؛ ومشيئة العبد؛ وبيّن أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب، في قوله تعالى: {إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا. وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما}، وقال تعالى: {إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٣٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الإنسان ٢٣-٣١

١- مِن أعظم نعم الله علينا أن جعل كتابنا هذا القرآن المُعجز المحفوظ الباهر العجيب، فاحرص على تدبره، والتفكّر في آياته، وقراءة تفسيره، والعمل بأحكامه، لتترقّى في سلّم الإيمان (إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا).

٢- اصبر لأوامر الله وقضائه وقدره، واحذر من قطّاع الطرق الذين يؤوّلون أحكام الله، ويتلاعبون بحدود الدين، ويميّعون فرائض الإسلام، احذرهم أن يفتنوك عن شيء من دينك، فإنهم يودّون أن يردّوك عن دينك إن استطاعوا، فرُدّ كيدهم في نحورهم، وكن صخرة عظيمة تتكسّر عليها أمواج شبهاتهم وشهواتهم (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا).

٣- داوِم على ذكر الله أوّلَ النهار وآخره، فإنه الحصن الحصين لك من أعدائك الذين يتربّصون بك من الجنّ والإنس (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا).

٤- عليك بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلك، وقُربة إلى ربك، ومُكفرة للسيئات، ومَنهاة عن الإثم، ومَطردة للداء عن الجسد، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلا طويلا).

٥- إياك أن تُحبّ الدنيا، فإن حبّها يورث نسيان الآخرة والغفلة عنها، بل اجعل الآخرة همّك، وموطن زرعك، ومقرّ بناء قصورك، وشمّر لها عن ساعد الجدّ، فإنها عسيرة ثقيلة لمن أتى ربه بغير زاد (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا).

٦- تأمّل كيف أبدع الله خلقك، فركّب عظامك ومفاصلك وأوتارك وأعصابك وفق ما يحقق مصالحك واحتياجاتك، فاشكر الله على هذه النعمة العظيمة، واحمده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه (نحن خلقناهم وشددنا أسْرهم وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا).

٧- كرّر قراءة سورة الإنسان بتأمّل وتفكّر وتدبّر، فإن فيها من المواعظ والمبشّرات ما يرفعك عن سفاسف الأمور، وتوافه الاهتمامات، ويسمو بهمّتك إلى أعالي الجنان (إن هذه تذكرة فمن شاء اتّخذ إلى ربه سبيلا).

٨- اعلم أنّ لك مشيئة واختيارا فيما تأتي وتذر من شؤونك الدينية والدنيوية، لكنّك لا تستطيع فعل شيء إلا أن يشاءه الله لك، فاسأل الله من فضله، وليكن أعظم ما تسأله أن يُدخلك في رحمته، وأن يُنجّيك من حال الظالمين ومآلِهم (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما. يُدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة الإنسان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة الإنسان.

أولا: هل يصح الوقف على قول الله تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا في الآية فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (فجعلناه سميعا بصيرا)، جعله بعض المفسرين مرتبطا بقوله (نبتليه)، قالو: المعنى على التقديم والتأخير، أي: فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه.

لكن هذا التقدير غلَّطه جماعة من المفسرين ومن علماء الوقف والابتداء؛ لسببين:

الأول: أنه لم تأت لامٌ مع كلمة (نبتليه).

والثاني: أن الإنسان يُبتلى إذا كان عاقلا حتى لو لم يكن سميعا بصيرا، فتعليق الابتلاء بكونه سميعا بصيرا لا يصح.

وإذا نظرنا إلى قوله (فجعلناه)، وجدنا أنها جملة معطوفة بالفاء على (خلقنا)، وكون الإنسان سميعا بصيرا هو من تتمة خلقه، فالله سبحانه وتعالى ذكر في الآية أنه خلق الإنسان من نطفة فجعله سميعا بصيرا، يعني: لكمال قدرته كوّن من هذه النطفة هذا الإنسان السويَّ الكامل الذي يملك السمع والبصر، فالأقرب والله أعلم أنه لا وقف هنا.

وهل يصح الوقف على قول الله تعالى في الآية السادسة: (عينا يشرب بها عباد الله)؟

جوّز الوقف هنا الأشموني وحده، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (يفجّرونها تفجيرا) جملة فيها ضمير عائد على العين، وهي من تتمة بيان تنعّمهم بهذه العين.

فذكر الله أولا أنهم يشربون بها، يعني يروَون بها ويتلذذون بها. وأنهم (يفجّرونها تفجيرا)، يعني يوجهونها حيث شاؤوا، فالأقرب عدم الوقف هنا. والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (يوفون بالنذر) في الآية السابعة؟

جوّز الوقف هنا الأشموني وحده، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى ذكر عدة صفات وأعمال للأبرار، بدأها بقوله (يوفون بالنذر)، ثم ذكر أنهم (يخافون يوما كان شره مستطيرا)، ثم ذكر أنهم (يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)، وكل صفة من هذه الأوصاف جاءت في جملة فعلية قائمة بنفسها، فالأقرب صحة الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى في الآية التاسعة: (إنما نطعمكم لوجه الله)؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي، وحسنه الأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قولهم بعدها: (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) هو في الحقيقة من تتمة معنى أنهم إنما يطعمونهم لوجه الله. فإذا كان الإطعام لوجه الله فحقيقته أنهم لا يطلبون من غير الله جزاء ولا شكورا، وبناء عليه لعل الأقرب والعلم عند الله تعالى عدم الوقف هنا.

وهل يصح الوقف في الآية الحادية عشرة على قوله تعالى: (فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم)؟

نصّ الأشموني وحده على أن الوقف هنا حسن، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى بيّن جزاءهم بعدة أمور:

الأمر الأول: أنه وقاهم شر ذلك اليوم، يعني يوم القيامة.

والأمر الثاني: أنه لقَّاهم نضرة وسرورا.

والأمر الثالث: أنه جزاهم بما صبروا جنة وحريرا، ثم فصّل في نعيم الجنة.

ووقاية شر ذلك اليوم في حد ذاته ليس نعيما قائما مستقلا، بل لا يتم ذلك النعيم إلا بأن يُلَقَّوا النضرة والسرور وأن يدخلوا الجنة، (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)، فلا يتم الفوز إلا باجتماعهما، وبناء عليه فالأقرب عدم الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية الثالثة عشرة على قوله تعالى: (متكئين فيها على الأرائك)؟

الجواب: نعم، نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنه قال بعدها: (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا)، وهذه الجملة إما أن تكون حالا بعد حال، يعني: أن قوله: (متكئين) حال مما قبله، وقوله: (لا يرون) تكون حالا بعد حال، أي: متكئين فيها غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا.

وتصلح أن تكون استئنافا، وهو الأقرب؛ لأن كونهم لا يرون في الجنة شمسا ولا زمهريرا ليس مرتبطا بحال الاتّكاء، بل هم لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا أبدا، وبناء عليه تكون هذه الجملة مستأنفة، فيصح الوقف قبلها والابتداء بها. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية التاسعة عشرة على قوله تعالى: (ويطوف عليهم ولدان مخلّدون)؟

نصّ السجاوندي وحده على تجويز الوقف هنا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله: (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) كله في وصف الولدان المخلدين. فكأنه قال: يطوف عليهم ولدان مخلدون من صفتهم أنك إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، وبناء عليه لعل الأقرب عدم الوقف هنا. والله أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية العشرين على قوله: (وإذا رأيت ثَمّ)؟

نبَّه الدانيُّ والأنصاريُّ والأشموني على المنع من الوقف هنا وأنه خطأ؛ لأن قوله بعدها: (رأيت نعيما) جواب (إذا) الواردة في أول الآية، ولا يصح الوقف قبل أن يأتي جواب (إذا). والله أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية الحادية والعشرين على قوله: (عالِيَهم ثياب سندس خضر وإستبرق)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنّ وصف الثياب التي يلبسونها قد انتهى هنا، ثم بيّن ما يُحَلَّون به في أيديهم، فقال: (وحلُّوا أساور من فضة)، فصح الفصل بين النعيمين. والله أعلم.

وهل يصح الوقف في ذات الآية على قوله: (وحُلُّوا أساور من فضة)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن قوله بعدها: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يحتمل أن يكون عطفا، يعني عطفا لنعيم جديد بعد أن ذكر النعيمين السابقين في ذات الآية، ويحتمل ان يكون استئنافا. وعلى كلا الاحتمالين يصح الوقف؛ لأنه إذا كان عطفا فهو من قبيل عطف الجمل التي قامت بنفسها، فجملة: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) جملة قائمة بنفسها لا تحتاج إلى شيء ترتبط به قبلها ولا بعدها، وإذا كانت مستأنفة فالابتداء بها ظاهر.

وهنا أمر آخر، الله سبحانه وتعالى في النعيم السابق قال: (وحُلُّوا أساور من فضة)، ثم قال: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا)، ولم يقل وسقوا شرابا طهورا، فهذا نعيم خاص له استقلال وميزة خاصة، فإفراده أفضل وأولى. وبالتالي يصح الوقف قبل قوله: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا)، وتلاوة هذه الجملة وحدها. والله أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية الثانية والعشرين على قوله: (إنّ هذا كان لكم جزاءً)؟
صحّح الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى: (وكان سعيكم مشكورا) يحتمل أن يكون استئنافا، يعني: جملة مستأنفة في أنهم أُخبروا أن سعيهم وعملهم الصالح الذي عملوه في الدنيا كان مشكورا يستحقون عليه هذا الجزاء وهذا النعيم.
ويحتمل أن يكون من تتمة الكلام السابق فكأنه قال لهم: إن هذا كان لكم جزاء لأن سعيكم في الدنيا كان مشكورا، وبناء عليه الوقف هنا محتمل، والأولى تركه. والله أعلم.
وهل يصح الوقف في الآية الرابعة والعشرين على قوله: (فاصبر لحكم ربك)؟
جوّز الوقف هنا الأشموني وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (ولا تُطع منهم آثما أو كفورا) إما ان تكون جملة مستقلة اشتملت على نهي مستقل، يعني: في أمر لا علاقة له بالأمر الأول الذي هو الصبر لحكم الله، وبناء عليه يصح الوقف هنا.
أو تكون جملة هي من تتمة الصبر لحكم الله، فالصبر لحكم الله لا يتم إلا بألا يطيع آثما أو كفورا، والأمر هنا محتمل. والله تعالى أعلم.
وهل يصح الوقف في الآية السادسة والعشرين على قوله: (ومن الليل فاسجد له)؟
جوّز الوقف هنا الأشموني وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله: (وسبحه ليلا طويلا) هو من تتمة المطلوب في الليل؛ لأن الله سبحانه وتعالى بيّن أنه مطلوب منه أن يسجد لربه في الليل وأن يسبّحه ليلا طويلا، وبناء عليه لا يصح الوقف على قوله: (فاسجد له).
ويحتمل أيضا أن يصح الوقف على (فاسجد له) على تفسير من فسّر هذه الجملة مع الآية التي قبلها على أنها في مواقيت الصلوات الخمسة، وذلك أن قوله: (واذكر اسم ربك بكرة) إشارة إلى صلاة الفجر، (وأصيلا) إشارة إلى صلاتي الظهر والعصر، (ومن الليل) إشارة إلى صلاتي المغرب والعشاء، ثم أمره بقيام الليل في جملة مستقلة في قوله: (وسبّحه ليلا طويلا)، وهذا المعنى نصّ عليه جماعة من المفسرين، وهو قول وجيه، والوقف بناء عليه له وجه. والله تعالى أعلم.
وهل يصح الوقف في الآية السابعة والعشرين على قوله: (إنّ هؤلاء يحبون العاجلة)؟
حسّن الوقف هنا الأشموني وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) هي جملة تحتمل أن تكون مستأنفة، فيصح الوقف على قوله (يحبون العاجلة).

وتحتمل أن تكون من تتمة الوصف الأول، يعني: أنهم لأنهم أحبوا الدنيا العاجلة تركوا العمل للآخرة، فهما وصفان متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وبناء عليه لا يصح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية الثامنة والعشرين على قوله: (نحن خلقناهم وشددنا أسْرهم)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن امتنان الله سبحانه وتعالى عليهم بخلْقهم، وجعْل خلقهم قويا شديدا متماسكا محكما قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة شرطية في قوله: (وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا)، في حال أنهم إذا عصوا الله سبحانه وتعالى وكفروا ولم يؤمنوا به بدّلهم الله بغيرهم، على إحدى الأقوال في معنى هذه الجملة. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية التاسعة والعشرين على قوله: (إنّ هذه تذكرة)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة (إنّ) قد انتهت هنا باسمها وخبرها، ثم جاءت جملة شرطية في قوله: (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا)، فصح الابتداء بها. والله أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية الثلاثين على قوله: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة الحصر التي جاءت بالنفي الذي جاء بعده استثناء قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ (إنّ) في قوله: (إن الله كان عليما حكيما)، فصح الوقف قبلها والابتداء بها. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف في الآية الأخيرة على قوله: (يُدخل من يشاء في رحمته)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الله سبحانه وتعالى ذكر في الآية أهل رحمته وأهل عذابه. فذكر أهل رحمته في جملة مستقلة في قوله: (يُدخل من يشاء في رحمته)، ثم ذكر أهل عذابه في قوله: (والظالمين أعد لهم عذابا أليما)، وهي جملة مستقلة، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة الإنسان.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وعملاً وهدًى وتقًى، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القيامة ١-١٥ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة القيامة: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] إظهار قدرة الله على بعث الخلق وجمعهم يوم القيامة.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾

أقسم الله بيوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾

وأقسم بالنفس الطيبة التي تلوم صاحبها على التقصير في الأعمال الصالحة، وعلى فعل السيئات، أقسم بهذين الأمرين ليَبعثنّ الناس للحساب والجزاء.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣﴾

أيظنّ الإنسان أن لن نجمع عظامه بعد موته للبعث؟!

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾

بلى، نقدر مع جمعها على إعادة أطراف أصابعه خلْقًا سويًّا كما كانت.

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥﴾

بل يريد الإنسان بإنكاره البعث أن يستمرّ على فجوره مستقبَلا دون رادع.

﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦﴾

يسأل على وجه الاستبعاد عن يوم القيامة: متى يقع؟

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧﴾

فإذا تحيّر البصر واندهش حين يرى ما كان يكذّب به.

﴿وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨﴾

وذهب ضوء القمر.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩﴾

وجُمع جِرم الشمس والقمر.

﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠﴾

يقول الإنسان الفاجر في ذلك اليوم: أين الفرار؟!

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ١١﴾

لا فرار في ذلك اليوم، ولا مَلْجأ يلجأ إليه الفاجر، ولا مُعْتَصَم يعتصم به.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢﴾

إلى ربك -أيها الرسول- في ذلك اليوم المرجع والمصير للحساب والجزاء.

﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾

يخبر الإنسان في ذلك اليوم بما قدّم من أعماله، وبما أخّر منها.

﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾

بل الإنسان شاهد على نفسه حيث تشهد عليه جوارحه بما اكتسبه من إثم.

﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾

ولو جاء بأعذار يجادل بها عن نفسه أنَّه ما عمل سوءًا لم تنفعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القيامة ١-١٥

الكلمة	المعنى
لا أقسم	أقسم، و(لا) لتأكيد القسَم
بالنّفسِ اللّوّامة	بالنفس المؤمنة التي تلوم صاحبها على ترك الطاعة وفعل المعصية، أو: بالنفس الفاجرة والكافرة التي ستلوم صاحبها يوم القيامة
أن لّن نجمعَ عِظامَه	أن لّن نقدر على جمع عظامه وإعادة خلقه
نُسوّيَ بَنانَه	نُعيدَ خلْقَ أطرافِ أصابعِه كما كانت
لِيَفجُر أمامَه	لِيستمرّ في الفجور والمعاصي بقيّة عمُره
أيّانَ يومُ القيامة	متى موعد يومِ القيامة؟
بَرِقَ البَصَر	تحيّر البصَر واندهش فزَعًا من أهوال يوم القيامة
وخَسَفَ القمر	وذهب ضوء القمر
وجُمِع الشمس والقمر	وقُرن بين الشمس والقمر في كونهما مظلمين لا ضوء لهما
لا وَزَر	لا مهرب ولا منجى من الله
المُستقَرّ	المرجعُ والمصير
بما قدّم وأخّر	بما قدّمه في أوّل حياته وأخّره في آخر حياته، أو: بما قدّمه في حياته وما جرى له أثره بعد مماته
على نفسه بصيرة	على نفسه شاهد، تنطق جوارحه بعمله
ولو ألقى مَعَاذِيرَه	ولو جاء بكل عذر لم يُقبل منه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القيامة ١-١٥

فوائد عامة في سورة القيامة:

قال الطبري: «قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من سئل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٤).

(لا أقسم بيوم القيامة):

«عن المغيرة بن شعبة، قال: يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة أحدهم: موته.

... عن أبي قبيس، قال: شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٩).

وقال ابن الجوزي: «(لا أقسم) اتفقوا على أن المعنى «أقسم»، واختلفوا في «لا»:

فجعلها بعضهم زائدة، كقوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب).

وجعلها بعضهم توكيدا للقسم كقولك: لا والله لا أفعل.

وجعلها بعضهم ردا على منكري البعث. ويدل عليه أنه «أقسم» على كون البعث.

قال ابن قتيبة: زيدت «لا» على نية الرد على المكذبين، كما تقول: لا والله ما ذاك كما تقول، ولو حُذفت جاز، ولكنه أبلغ في الرد». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٨).

وقال السعدي: «ليست {لا} ها هنا نافية، ولا زائدة، وإنما أتي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين لا يُستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

والمقسَم به في هذا الموضع هو المقسَم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم». «تفسير السعدي» (ص٨٩٨).

(ولا أقسم بالنفس اللوّامة):

قال ابن القيم: «وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس؛ نفس مطمئنة، ونفس لوّامة، ونفس أمّارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى. ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: {ياأيتها النفس المطمئنة}، وبقوله: {لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة}، وبقوله: {إن النفس لأمّارة بالسوء}. والتحقيق: أنها نفس واحدة، ولكن لها صفات، فتسمى باعتبار كل صفة باسم...

وأما اللوامة، وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله: {ولا أقسم بالنفس اللوامة}، فاختُلف فيها:

فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة. أخذوا اللفظة من التلوّم، وهو التردد، فهي كثيرة التقلّب والتلوّن. وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوق من مخلوقاته، تتقلّب وتتلوّن في الساعة الواحدة ـ فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر ـ ألوانا متلونة. فتذكر وتغفَل، وتُقبل وتُعرض، وتلطف وتكثف، وتنيب وتجفو، وتُحب وتُبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتعصي، وتتقي وتفجر، إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالاتها وتلوّنها، فهي تتلوّن كل وقت ألوانا كثيرة. فهذا قول.

وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللوم. ثم اختلفوا:

فقالت فرقة: هي نفس المؤمن، وهذا من صفاتها المحمودة. قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائما. يقول: ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان غير هذا أولى، ونحو هذا من الكلام.

وقال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب، ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان، بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه على فواته.

وقالت طائفة: بل هذا اللوم للنوعين، فإن كل أحد يلوم نفسه، برا كان أو فاجرا. فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهواها.

وقالت فرقة أخرى: هذا اللوم يوم القيامة، فإن كل أحد يلوم نفسه: إن كان مسيئا على إساءته، وإن كان محسنا على تقصيره.

وهذه الأقوال كلها حق، ولا تنافي بينها، فإن النفس موصوفة بهذا كله، وباعتباره سميت لوّامة، ولكن اللوامة نوعان:

لوّامة ملُومة: وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته.

ولوّامة غير ملُومة: وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة.

وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلّصت من لوم الله لها. وأما من رضيت بأعمالها، ولم تلم نفسها عليها، ولم تحتمل في الله ملام اللُوّام، فهي التي يلومها الله عز وجل». «الروح» (٢/ ٦٢٢-٦٣٩).

(أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه):

قال البغوي: «{أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه} نزلت في عدي بن ربيعة، حليف بني زهرة، ختَن الأخنس بن شُريق الثقفي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اكفني جارَي السوء)، يعني: عديا والأخنس. وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، حدثني عن القيامة متى تكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: {أيحسب الإنسان} يعني الكافر {أن لن نجمع عظامه} بعد التفرق والبلى فنحييه. قيل: ذَكر العظام وأراد نفسه؛ لأن العظام قالب النفس، لا يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكِر: أو يجمع الله العظام، كقوله: {قال من يحيي العظام وهي رميم}». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٠).

(بلى قادرين على أن نسوّي بنانه):

قال ابن عطية: «قال القتبي: (نسوّي بنانه) معناه نتقنها سوية، والبنان: الأصابع، فكأن الكفار لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والإرمام، قيل لهم: إنما تُجمع ويسوّى أكثرُها تفرقا وأدقُّها أجزاء، وهي عظام الأنامل ومفاصلها، وهذا كله عند البعث.

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: (نسوّي بنانه) معناه نجعلها في حياته هذه بضعة أو عظما واحدا كخف البعير لا تفاريق فيه، فكأن المعنى: قادرين في الدنيا على أن نجعلها دون تفرق، فتقل منفعته بيده،

فكأن التقدير: بلى نحن أهل أن نجمعها قادرين على إزالة منفعته بيده، ففي هذا توعد ما، والقول الأول أحرى مع رصف الكلام، ولكن على هذا القول جمهور العلماء». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤٠٢).

وقال ابن القيم: «جاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه؛ كما قال في جواب من قال: {من يحيي العظام وهي رميم}: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}، وقال: {وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل. إن ربك هو الخلاق العليم}، وقال: {قد علمنا ما تنقص الأرض منهم}.

والثاني: تقرير كمال قدرته؛ كقوله: {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم}، وقوله: {بلى قادرين على أن نسوّي بنانه}، وقوله: {ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير}.

ويجمع سبحانه بين الأمرين؛ كما في قوله: {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم}.

الثالث: كمال حكمته؛ كقوله: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين}، وقوله: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا}، وقوله: {أيحسب الإنسان أن يُترك سدى}، وقوله: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحق}، وقوله: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون}». «الفوائد لابن القيم» (١/ ٨-٩).

(بل يريد الإنسان ليفجر أمامه):

قال البغوي: «{بل يريد الإنسان ليفجر أمامه} يقول: لا يجهل ابن آدم أنّ ربه قادر على جمع عظامه، لكنه يريد أن يفجر أمامه، أي: يمضي قدما على معاصي الله ما عاش راكبا رأسه، لا ينزع عنها ولا يتوب. هذا قول مجاهد، والحسن، وعكرمة، والسدي.

وقال سعيد بن جبير: (ليفجر أمامه) يُقْدِم على الذنب ويؤخّر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل، حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله.
وقال الضحاك: هو الأمل، يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا، ولا يذكر الموت». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨١).

وقال ابن عطية: «و (بل) في أول الآية هي إضراب على معنى الترك، لا على معنى إبطال الكلام الأول». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤٠٣).

(فإذا برق البصر):

قال ابن كثير: «قال أبو عمرو بن العلاء: {برِق} بكسر الراء، أي: حار. وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى: {لا يرتدّ إليهم طرفهم}، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقرّ لهم بصر على شيء من شدة الرعب. وقرأ آخرون: "برَق" بالفتح، وهو قريب في المعنى من الأول. والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذلّ من شدة الأهوال، ومن عِظَم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧٧).

(وخسف القمر):

قال القرطبي: «(وخسف القمر) أي ذهب ضوءه. والخسوف في الدنيا إلى انجلاء، بخلاف الآخرة، فإنه لا يعود ضوءه. ويحتمل أن يكون بمعنى: غاب، ومنه قوله تعالى: (فخسفنا به وبداره الأرض)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٦).

(وجُمع الشمس والقمر):

قال القرطبي: «قال ابن عباس وابن مسعود: جُمع بينهما، أي: قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكوّرين مظلمين مقرونين كأنهما ثوران عقيران... وفي قراءة عبد الله: (وجمع بين الشمس

والقمر). وقال عطاء بن يسار: يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر، فيكونان نار الله الكبرى. وقال علي وابن عباس: يجعلان في نور الحجب.

وقد يجمعان في نار جهنم، لأنهما قد عُبدا من دون الله، ولا تكون النار عذابا لهما؛ لأنهما جماد، وإنما يُفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم. وفي مسند أبي داود الطيالسي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٧).

وقال السعدي: «{وجمع الشمس والقمر} وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويُخسف القمر، وتُكوّر الشمس، ثم يُقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخّران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين». «تفسير السعدي» (ص٨٩٩).

(يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ):

قال القرطبي: «قال الماوردي: ويحتمل وجهين: أحدهما: أين المفر من الله استحياء منه. الثاني: أين المفر من جهنم حذرا منها. ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة في عرضة القيامة دون المؤمن، لثقة المؤمن ببشرى ربه. الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٧).

(كلا لا وزر):

«عن الحسن، في قوله: (كلا لا وزر) قال: كانت العرب تخيف بعضها بعضا، قال: كان الرجلان يكونان في ماشيتهما، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه، يا فلان الوزر الوزر، الجبل الجبل». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٩).

(إلى ربك يومئذ المستقرّ):

قال البغوي: «{إلى ربك يومئذ المستقر} أي مستقر الخلق. وقال عبد الله بن مسعود: المصير والمرجع، نظيره قوله تعالى: (إلى ربك الرجعى)، (وإلى الله المصير). وقال السدي: المنتهى، نظيره: (وأن إلى ربك المنتهى)». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٢).

(يُنبّأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر):

قال البغوي: «قال ابن مسعود وابن عباس: (بما قدّم) قبل موته من عمل صالح وسيئ، وما (أخّر): بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يُعمل بها.

وقال عطية عن ابن عباس: (بما قدّم) من المعصية (وأخّر) من الطاعة.

وقال قتادة: (بما قدّم) من طاعة الله (وأخّر) من حق الله فضيّعه.

وقال مجاهد: بأول عمله وآخره.

وقال عطاء: (بما قدّم) في أول عمره، وما (أخّر) في آخر عمره.

وقال زيد بن أسلم: (بما قدّم) من أمواله لنفسه، وما (أخّر) خلفه للورثة». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٢).

وقال القرطبي: «قال القشيري: وهذا الإنباء يكون في القيامة عند وزن الأعمال. ويجوز أن يكون عند الموت. قلت: والأول أظهر، لما خرّجه ابن ماجه في سننه... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علّمه ونشره، وولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورّثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته). وخرّجه أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبع يجري أجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره: مَن علّم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورّث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته). فقوله: (بعد موته وهو في قبره) نص على أن ذلك لا يكون عند الموت، وإنما يخبَر بجميع ذلك عند وزن عمله، وإن كان يبشّر بذلك في قبره. ودل على هذا أيضا قول الحق: (وليحملن أثقالهم

وأثقالا مع أثقالهم). وقوله تعالى: (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم). وهذا لا يكون إلا في الآخرة بعد وزن الأعمال. والله أعلم.

وفي الصحيح: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن يَنقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٩).

(بل الإنسان على نفسه بصيرة):

«عن قتادة، قوله: (بل الإنسان على نفسه بصيرة): إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم، غافلا عن ذنوبه؛ قال: وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبا: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك، ولا تبصر الجِذع المعترض في عينك». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٣).

وقال القرطبي: «قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل: أنت حجة على نفسك.

وقال ابن عباس: بصيرة أي شاهد، وهو شهود جوارحه عليه: يداه بما بطش بهما، ورجلاه بما مشى عليهما، وعيناه بما أبصر بهما. والبصيرة: الشاهد... ودليل هذا التأويل من التنزيل قوله تعالى: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)...

وقيل: المراد بالبصيرة: الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر، يدل عليه قوله تعالى: (ولو ألقى معاذيره) فيمن جعل المعاذير الستور». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٩-١٠٠).

وقال القرطبي: «فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه، لأنها بشهادة منه عليها، قال الله سبحانه وتعالى: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)، ولا خلاف فيه، لأنه إخبار على وجه تنتفي التهمة عنه، لأن العاقل لا يكذب على نفسه، وهي المسألة. وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

الشاهدين)، ثم قال تعالى: (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٠٢).

(ولو ألقى معاذيره):

قال ابن كثير: «قال مجاهد: {ولو ألقى معاذيره} ولو جادل عنها فهو بصير عليها.

وقال قتادة: {ولو ألقى معاذيره} ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه.

وقال السدي: {ولو ألقى معاذيره} حجته. وكذا قال ابن زيد، والحسن البصري، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس: {ولو ألقى معاذيره} يقول: لو ألقى ثيابه.

وقال الضحاك: ولو أرخى ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المعذار.

والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين}، وكقوله: {يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون}.

وقال العوفي، عن ابن عباس: {ولو ألقى معاذيره} هي الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: {لا ينفع الظالمين معذرتهم}، وقال {وألقوا إلى الله يومئذ السلم}، {فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء}، وقولهم {والله ربنا ما كنا مشركين}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧٨).

وقال السعدي: «{ولو ألقى معاذيره} فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابِل ما يقرَّر به العبد، فيقرّ به، كما قال تعالى: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}. فالعبد وإن أنكر أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئا، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره وجميع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعتابه قد ذهب وقته، وزال نفعه: {فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون}». «تفسير السعدي» (ص٨٩٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القيامة ١-١٥

١- من أسس إيمانك أن تؤمن بأنك ستُبعث يوم القيامة للحساب والجزاء، وكلما قوي إيمانك بذلك زاد إقبالك على الأعمال الصالحة، وزاد خوفك من ارتكاب السيئات المردية، وقلّ تعلّقك بالدنيا الفانية، وكلما غفلت عن استحضار وقوفك يوم القيامة للحساب والجزاء بين يدي الله أو ضعف يقينك به تساهلت في التزوّد من الخيرات، وتهاونت في ارتكاب الموبقات، وتعلّق قلبك بالدنيا ونسيت الآخرة، فاحرص على تقوية إيمانك بالبعث والحساب والجزاء، واعمل ليهون عليك ذلك الموقف العصيب، واعلم أن الأمر قريب؛ لأنّ من مات فقد قامت قيامته (لا أقسم بيوم القيامة). (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوّي بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيّان يوم القيامة).

٢- إذا كانت نفسك مؤمنة صالحة تقيّة فإنك ستُبصر دقائق عيوبك، وتُشغل بها عن عيوب غيرك، وتلوم نفسك على كلّ فعل لم يقرّبك إلى الله وجنّته، وتحاسب نفسك قبل أن تحاسَب (ولا أقسم بالنفس اللوّامة).

٣- في يوم القيامة يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه، وحينئذ يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه، ولكن هيهات، أين المفرّ من الله؟ أين المفرّ من الذنوب؟ أين المفرّ من الحساب؟ أين المفرّ من الجزاء؟ ستبدو لكل واحد جميع أعماله، فيقول ساعتئذ: يا حسرتى! وهل تنفع الحسرات؟ وينادي على نفسه: يا ويلتى! وهل تجدي النداءات؟ ويحاول إنكار ما اقترفت يداه، فيُختم على فمه، وتشهد عليه جوارحه، فلا مفرّ من الله إلا إليه وإلى رحمته، فاللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء (فإذا برِق البصر * وخسف القمر * وجُمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقرّ * يُنبّأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القيامة ١٦-٢٥ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾

لا تحرِّك -أيها الرسول- لسانك بالقرآن مُتَعَجِّلًا أن ينفلت منك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧﴾

إن علينا أن نجمعه لك في صدرك، وإثبات قراءته على لسانك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾

فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فأنصت إلى قراءته واستمع.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾

ثم إن علينا تفسيره لك.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ٢٠﴾

كلّا، ليس الأمر كما ادعيتم من استحالة البعث، فأنتم تعلمون أن القادر على خلقكم ابتداءً لا يعجز عن إحيائكم بعد موتكم، لكن سبب تكذيبكم بالبعث هو حبكم للحياة الدنيا سريعة الانقضاء.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ٢١﴾

وترككم للحياة الآخرة التي طريقها القيام بما أمركم الله به من الطاعات، وترك ما نهاكم عنه من المحرمات.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾

وجوه أهل الإيمان والسعادة في ذلك اليوم بَهِيَّة لها نور.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾

ناظرة إلى ربها متمتِّعة بذلك.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ٢٤﴾

ووجوه أهل الكفر والشقاء في ذلك اليوم عابسة.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥﴾

توقن أن ينزل بها عقاب عظيم، وعذاب أليم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفظ ما يوحى إليه من القرآن، وتكفّل اللهَ له بجمعه في صدره وحفظِه كاملًا فلا يَنسى منه شيئًا.

• خطر حب الدنيا والإعراض عن الآخرة.

• النظر لوجه الله الكريم من أعظم النعيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القيامة ١٦-٢٥

الكلمة	المعنى
لِتعجلَ به	لتستعجل حفظ ما يوحى إليك خشية أن يتفلّت منك
إنّ علينا جمعَه	إن علينا أن نجمعه في صدرك فتحفظَه ولا تنساه
وقُرآنَه	وأن تقرأه متى شئت
فإذا قرأْناه	فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل عليه السلام
فاتّبِع قُرآنَه	فاستمع له وأنصت ثم اقرأْه كما أقرأك جبريل، أو: فاتّبع شرائعَه وأحكامَه
بيانَه	تفسير وتوضيح ما أشكل عليك من معانيه وأحكامِه
العاجِلة	الدنيا وزينتَها
وتذَرون الآخِرة	وتتركون العمل للآخرة
ناضِرَة	مُشرقة حسَنة
إلى ربها ناظِرَة	ترى ربَّها في الجنة
بَاسِرَة	عابسة
فَاقِرَة	مصيبة عظيمة تكسِر فَقَار الظَّهر

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القيامة ١٦-٢٥

(لا تحرّك به لسانك لتعجل به * إنّ علينا جمعه وقرآنه):

قال ابن عباس: كان -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- يحرّك شفتيه إذا أنزل عليه، فقيل له: {لا تحرّك به لسانك} يخشى أن ينفلت منه، {إنّ علينا جمعه وقرآنه} أن نجمعه في صدرك، {وقرآنه}: أن تقرأه، {فإذا قرأناه} يقول: أنزل عليه {فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه} أن نبيّنه على لسانك». «صحيح البخاري» (٦/ ١٦٣).

وقال ابن عطية: «قال الضحاك: كان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشقّ، فنزلت الآية في ذلك.

وقال كثير من المفسرين وهو في صحيح البخاري عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه مخافة أن يذهب عنه ما يوحى إليه، فنزلت الآية بسبب ذلك، وأعلمه الله تعالى أنه يجمعه له في صدره». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤٠٤).

وقال ابن عطية: «الضمير في (به) عائد على كتاب الله تعالى، ولم يَجر له ذكر، ولكنّ القرائن تبينه، فهذا كقوله تعالى: (توارت بالحجاب)، وكقوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي) يعني النفس». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٤٠٤).

وقال ابن كثير: «هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملَك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملَك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملَك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه؛ ولهذا قال: {لا تحرك به لسانك لتعجل به} أي: بالقرآن، كما قال: {ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى

إليك وحيه وقل رب زدني علما}. ثم قال: {إن علينا جمعه} أي: في صدرك، {وقرآنه} أي: أن تقرأه، {فإذا قرأناه} أي: إذا تلاه عليك الملَك عن الله عز وجل، {فاتّبع قرآنه} أي: فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، {ثم إنّ علينا بيانه} أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧٨).

(فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه):

قال ابن تيمية: «{فإذا قرأناه} و {إن علينا جمعه وقرآنه} و {علينا بيانه}. فالقرآن هنا حين يسمعه من جبريل، والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن. ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع القرآن من جبريل، وجبريل سمعه من الله عز وجل. وأما قوله: {نتلوا} و {نقص} {فإذا قرأناه} فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه، فإذا فعل أعوانه فعلا بأمره قال: نحن فعلنا، كما يقول الملِك: نحن فتحنا هذا البلد، وهزمنا هذا الجيش، ونحو ذلك؛ لأنه إنما يفعل بأعوانه.

والله تعالى رب الملائكة، وهم لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهو مع هذا خالقهم وخالق أفعالهم وقدرتهم، وهو غني عنهم؛ وليس هو كالملِك الذي يفعل أعوانه بقدرة وحركة يستغنون بها عنه. فكان قوله لما فعله بملائكته: "نحن فعلنا" أحق وأولى من قول بعض الملوك». «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٣٣).

وقال ابن جُزي: «ومعنى (فاتّبع قرآنه) اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٣٤).

(ثم إن علينا بيانه):

قال السعدي: «وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو

الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه.

وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه». «تفسير السعدي» (ص٨٩٩).

(كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة):

قال السعدي: «أي: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم {تحبون العاجلة} وتسعون فيما يحصّلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمَها ولذاتِها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرةَ متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تُبذل فيها نفائس الأعمار، ويُسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل. فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربحا لا خسار معه، وفزتم فوزا لا شقاء يصحبه». «تفسير السعدي» (ص٨٩٩).

(وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة):

قال البغوي: «{إلى ربها ناظرة} قال ابن عباس وأكثر الناس: تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب.

قال الحسن: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٤).

وقال القرطبي: وقيل: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب... واحتجوا بقوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)، وهذا القول ضعيف جدا، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار.

وفي الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية)، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة)...

وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن).

وروى جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم عِيانا كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)، ثم قرأ: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) متفق عليه...

وخرّج أبو داود عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه؟ قال ابن معاذ: مخليا به يوم القيامة؟ قال: (نعم يا أبا رزين) قال: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: (يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر) قال ابن معاذ: ليلة البدر مخليا به. قلنا: بلى. قال: (فالله أعظم)...

وفي كتاب النسائي عن صهيب قال: (فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر، ولا أقرّ لأعينهم) ». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٠٨-١١٠).

وقال ابن القيم: «وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة "إلى" الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدّى بـ "إلى" خلاف حقيقته وموضوعه = صريح في أن الله سبحانه أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعدّيه بنفسه:

فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله تعالى: {انظرونا نقتبس من نوركم}.

وإن عدّي بـ "في" فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله تعالى: {أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض}.

وإن عدّي بـ "إلى" فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: {انظروا إلى ثمره إذا أثمر}.

فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟»، «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٦٢٣).

وقال ابن القيم: «الباب الخامس والستون: في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى، وتجليه لهم ضاحكا إليهم. هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرا، وأعلاها خطرا، وأقرّها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدّها على أهل البدعة والفرقة، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسَوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشدُّ عليهم من عذاب الجحيم. اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٦٠٥).

وقال ابن كثير: «وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها... ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق... وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧٩).

وقال السعدي: «{إلى ربها ناظرة} أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم، وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم». «تفسير السعدي» (ص٨٩٩).

(ووجوه يومئذ باسرة * تظنّ أن يُفعل بها فاقرة):

قال البغوي: «{تظن أن يفعل بها فاقرة} تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. وقال ابن زيد: هي دخول النار. وقال الكلبي: هي أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٥).

وقال ابن كثير: «وهذا المقام كقوله: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}، وكقوله: {وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة. ووجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قترة. أولئك هم الكفرة الفجرة}، وكقوله: {وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى نارا حامية} إلى قوله: {وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. في جنة عالية}. في أشباه ذلك من الآيات والسياقات». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القيامة ١٦-٢٥

١- تكفّل الله بحفظ القرآن الكريم منذ وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، فجمعه له في صدره، ويسّر له حفظه، وأعانه على إبلاغه، وبيّن له أحكامه ومعانيه، فنقله النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة لفظا، وشرحه لهم معنى، ولا زال محفوظا بحفظ الله إلى يومنا هذا، فلفظه محفوظ بالتلقّي والكتابة، ومعناه محفوظ بما يسّره الله من حفظ السنة النبوية، فأيّ نعمة أجلّ من هذه! فاللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا (لا تحرّك به لسانك لتعجل به * إنّ علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه * ثم إنّ علينا بيانه).

٢- (كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، اجعل هذه الوصية النبوية نُصب عينيك دائما، ولا تغرنّك الدنيا وزينتُها، فإنها متاع عن قريب زائل، والآخرة خير وأبقى لمن آمن واتّقى، فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ عِلمنا (كلا بل تحبّون العاجلة * وتذرون الآخرة).

٣- أعظم نعيم أهل الجنة على الإطلاق: النظر إلى وجه الله الكريم، وهم من هذا النعيم على درجات بحسب أعمالهم، فجدّ في العمل، واجتهد في التقرّب إلى الله، لتفوز بالنظر إلى وجهه سبحانه غدوة وعشيّة، فاللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مُضرّة، ولا فتنة مُضلّة (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يُفعل بها فاقرة).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القيامة ٢٦-٤٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦﴾

ليس الأمر كما يتصور المشركون من أنهم إذا ماتوا لا يُعَذّبون، فإذا وصلت نفس أحدهم أعالي صدره.

﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧﴾

وقال بعض الناس لبعض: من يَرْقِي هذا لعله يُشْفَى؟!

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨﴾

وأيقن مَن في النَّزْع حينئذ أنَّه فراق الدنيا بالموت.

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩﴾

واجتمعت الشدائد عند نهاية الدنيا وبداية الآخرة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠﴾

إذا حصل ذلك يُساق الميت إلى ربه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١﴾

فلا صَدَّق الكافر بما جاء به رسوله، ولا صلى لله سبحانه.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢﴾

ولكن كذب بما جاءه به رسوله، وأعرض عنه.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣﴾

ثم ذهب هذا الكافر إلى أهله يختال في مِشيته من الكبْر.

﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤﴾

فتوعد الله الكافر بأن عذابه قد وليه وقرب منه.

﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥﴾

ثم أعاد الجملة على سبيل التأكيد، فقال: {ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾

أيظنّ الإنسان أن الله تاركه مُهْمَلًا دون أن يكلفه بشرع؟

﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧﴾

ألم يكن هذا الإنسان يومًا نُطْفة من مني يُصَبّ في الرحم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨﴾

ثم كان بعد ذلك قطعة من دم جامد، ثم خلقه الله، وجعل خلقه سويًّا.

﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩﴾

فجعل من جنسه النوعين: الذكر والأنثى؟!

﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾

أليس الَّذي خلق الإنسان من نُطْفة فَعَلَقَة بقادر على إحياء الموتى للحساب والجزاء من جديد؟! بلى، إنه لقادر.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القيامة ٢٦-٤٠

الكلمة	المعنى
بَلَغَتِ التَّرَاقِي	وصلت الروح إلى أعالي الصدر
مَن راقٍ	هل من راقٍ يرقيه ليُشفى؟
وظنّ أنّه الفِراق	وأيقن المحتضَر أنه الموت
والتفّت السّاق بالسّاق	والتصقت إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو: واتصلت شدة مفارقة الدنيا بشدة استقبال الآخرة
المَساق	سَوْقُ العباد للحساب والجزاء
يتَمطّى	يتبختر في مِشيته تكبّرًا
أَولَى لك	اقترب منك هلاكُك
أن يُترَكَ سُدًى	أن يُترَكَ مُهملًا لا يُكلّف ولا يُجازى
يُمنَى	يُصبّ في الرحِم
عَلَقَة	قطعةَ دم جامد
فسوَّى	فعدّله وكمّله في أحسن تقويم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القيامة ٢٦-٤٠

(كلا إذا بلغت التراقي):

«عن بسر بن جحّاش القرشي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بصق يوما في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: (قال الله: بنيّ آدم، أنّى تُعجِزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سوّيتك وعدّلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة)». «مسند أحمد» (٢٩/ ٣٨٧).

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال -ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت- فقال تعالى: {كلا إذا بلغت التراقي}: إن جعلنا {كلا} رادعة فمعناها: لستَ يا ابن آدم تكذّب هناك بما أُخبرتَ به، بل صار ذلك عندك عِيانا. وإن جعلناها بمعنى (حقا) فظاهر، أي: حقا إذا بلغت التراقي، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي: جمع ترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله: {فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون. فلولا إن كنتم غير مدينين. ترجعونها إن كنتم صادقين}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨١).

(وقيل من راق):

«قال ابن زيد: (وقيل من راق) يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٥).

وقال القرطبي: «(وقيل من راق) اختلف فيه:

فقيل: هو من الرقية، عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما. روى سماك عن عكرمة قال: من راقٍ يَرقِي: أي يشفي. وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس: أي هل من طبيب يشفيه؟ وقاله أبو قلابة وقتادة... وكأن هذا على وجه الاستبعاد واليأس، أي: من يقدر أن يرقي من الموت؟

وعن ابن عباس أيضا وأبي الجوزاء أنه من رَقِي يَرقَى: إذا صعِد، والمعنى: من يرقى بروحه إلى السماء؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وقيل: إن ملك الموت يقول: مَن راق؟ أي: مَن يرقى بهذه النفس، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها، فيقول ملك الموت: يا فلان اصعد بها». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١١).

وقال ابن تيمية: «{وقيل من راق} يَرقيها، وقيل: مَن صاعدٌ يصعد بها إلى الله؟ والأول أظهر؛ لأن هذا قبل الموت، فإنه قال: {وظن أنه الفراق} فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقيا يَرقيه، وأيضا فصعودها لا يفتقر إلى طلب مَن يرقى بها، فإن لله ملائكة يفعلون ما يؤمرون». «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٤).

(والتفّت الساق بالساق):

«قال ابن زيد، في قوله: (والتفّت الساق بالساق) قال: العلماء يقولون فيه قولين: منهم من يقول: ساق الآخرة بساق الدنيا. وقال آخرون: قلّ ميت يموت إلا التفّت إحدى ساقيه بالأخرى. قال ابن زيد: غير أنّا لا نشك أنها ساق الآخرة، وقرأ: (إلى ربك يومئذ المساق). قال: لما التفّت الآخرة بالدنيا، كان المساق إلى الله، قال: وهو أكثر قول مَن يقول ذلك». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٨).

وقال القرطبي: «(والتفّت الساق بالساق) أي فاتصلت الشدة بالشدة، شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما.

وقال الشعبي وغيره: المعنى: التفّت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب.

وقال قتادة: أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى.

وقال سعيد بن المسيب والحسن أيضا: هما ساقا الإنسان إذا التفّتا في الكفن.

وقال زيد بن أسلم: التفت ساق الكفن بساق الميت.

وقال الحسن أيضا: ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه، ولقد كان عليهما جوالا.

قال النحاس: القول الأول أحسنها.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: (والتفّت الساق بالساق) قال: آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله، أي: شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، والدليل على هذا قوله تعالى: (إلى ربك يومئذ المساق).

وقال. مجاهد: بلاء ببلاء. يقول: تتابعت عليه الشدائد.

وقال الضحاك وابن زيد: اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه. والعرب لا تذكر الساق إلا في المحن والشدائد العظام، ومنه قولهم: قامت الدنيا على ساق، وقامت الحرب على ساق. قال الشاعر: وقامت الحرب بنا على ساق». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٢).

(إلى ربك يومئذ المساق):

قال ابن كثير: «{إلى ربك يومئذ المساق} أي: المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله عز وجل: ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. كما ورد في حديث البراء الطويل. وقد قال الله تعالى: {وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون. ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٢).

(فلا صدّق ولا صلّى * ولكن كذّب وتولّى):

قال ابن تيمية في خصائص الصلاة: «مقرونة بالتصديق في قوله تعالى: {فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى}، وقوله: {والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون}، وقوله تعالى: {وأُمرنا لنسلم لرب العالمين. وأن أقيموا الصلاة واتقوه}. وخصائص الصلاة كثيرة جدا». «شرح عمدة الفقه - ابن تيمية» (٢/ ٨٩).

وقال ابن تيمية: «والتولي: هو التولي عن الطاعة، كما قال تعالى: {ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا

أليما}. وقال تعالى: {فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى}، وقد قال تعالى: {لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذب وتولى}، وكذلك قال موسى وهارون: {إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى}. فعُلم أن "التولي" ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدّقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر. وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي؛ فلهذا قال: {فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى}، وقد قال تعالى: {ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين}، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول». «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٤٢).

وقال ابن كثير: «{فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى} هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا، ولهذا قال: {فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى. ثم ذهب إلى أهله يتمطى} أي: جذلا أشرا بطرا كسلانا، لا همة له ولا عمل، كما قال: {وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين}. وقال: {إنه كان في أهله مسرورا. إنه ظن أن لن يحور} أي: يرجع {بلى إنّ ربه كان به بصيرا}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٢).

(أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى):

قال البغوي: «{أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى} هذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد.

وقال بعض العلماء: معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، يقال للرجل يصيبه مكروه يستوجبه.

وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه، وأصلها من الولاء من المولى وهو القرب، قال الله تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار).

وقال قتادة: ذُكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء، وقال له: (أولى لك فأولى). ثم أولى لك فأولى). فقال أبو جهل: أتتوعّدني يا محمد؟ والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا، وإني لأعزّ مَن مشى بين جبليها! فلما كان يوم بدر صرعه الله شر

مصرع، وقتله أسوأ قتلة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لكل أمة فرعونا، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل)». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٦-٢٨٧).

وقال القرطبي: «(أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى): تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أي: فهو وعيد أربعة لأربعة، كما روي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربه، فقال: (فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى)، أي: لا صدق رسول الله، ولا وقف بين يدِي فصلى، ولكن كذّب رسولي، وتولى عن التصلية بين يدي. فترك التصديق خصلة، والتكذيب خصلة، وترك الصلاة خصلة، والتولي عن الله تعالى خصلة، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة. والله أعلم.

ولا يقال: إن قوله: (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) خصلة خامسة، فإنا نقول: تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي، فأخبر عنها». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٤).

وقال ابن كثير: «{أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى}، وهذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به، المتبختر في مشيته، أي: يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد، كقوله: {ذق إنك أنت العزيز الكريم}. وكقوله: {كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون}، وكقوله: {فاعبدوا ما شئتم من دونه}، وكقوله: {اعملوا ما شئتم}. إلى غير ذلك». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٢).

(أيحسب الإنسان أن يُترَك سُدى):

قال ابن القيم: «الله سبحانه كما أن أفعاله وخلقه من لوازم كمال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فكذلك أمره وشرعه، وما يترتب عليه من الثواب والعقاب. وقد أرشد سبحانه إلى هذا المعنى في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى}، أي: مهملا معطلا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب. وهذا يدل على أن هذا مناف لكمال حكمته، وأن ربوبيته وعزته وحكمته تأبى ذلك، ولهذا أخرج

الكلام مخرج الإنكار على من زعم ذلك، وهو يدل على أن حسنه مستقر في الفطر والعقول، وقبح تركه سدى معطلا مستقر في الفطر، فكيف ينسب إلى الرب ما قبحه مستقر في فطركم وعقولكم؟!

وقال تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم}؛ نزه نفسه سبحانه عن هذا الحسبان الباطل المضاد لموجب أسمائه وصفاته، وأنه لا يليق بجلاله نسبته إليه. ونظائر هذا في القرآن كثيرة». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ١٧).

(ألم يكُ نطفة من منيّ يُمنى * ثم كان علقة فخلق فسوّى):

قال ابن القيم: «قوله سبحانه: {أيحسب الإنسان أن يُترك سدى. ألم يك نطفة من مني يمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى}. فاحتجّ سبحانه على أنه لا يترك الإنسان مهملا معطلا عن الأمر والنهي والثواب والعقاب، وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك. فإنّ من نقله من نطفة مني إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم خلقه وشق سمعه وبصره، وركّب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أَسْرَه، وأتقن خلقه وأحكمه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟! أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟! فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الحجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه». «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١/ ٢٤٣).

وقال ابن القيم: «فإذا تأمل العاقل البصير أحوال النطفة من مبدئها إلى منتهاها دلته على المعاد والنبوات، كما تدله على إثبات الصانع وتوحيده وصفات كماله، فكما تدل أحوال النطفة من مبدئها إلى

غايتها على كمال قدرة فاطر الإنسان وبارئه، فكذلك تدل على كمال حكمته وعلمه وملكه، وأنه الملك الحق المتعالي عن أن يخلقها عبثا ويتركها سدى بعد كمال خلقها.

وتأمل كيف لما زعم أعداؤه الكافرون أنه لم يأمرهم ولم ينههم على ألسنة رسله، وأنه لا يبعثهم للثواب والعقاب، كيف كان هذا الزعم منهم قولا بأن خلق السماوات والأرض باطل، فقال تعالى: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}. فلما ظن أعداؤه أنه لم يرسل إليهم رسولا، ولم يجعل لهم أجلا للقائه، كان ذلك ظنا منهم أنه خلق خلقه باطلا». «بدائع الفوائد» (٤/ ١٥٩٦).

(أليس ذلك بقادر على أن يُحيي الموتى):

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم بـ {والتين والزيتون} فانتهى إلى آخرها {أليس الله بأحكم الحاكمين} فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: {لا أقسم بيوم القيامة} فانتهى إلى {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} فليقل: بلى، ومن قرأ: {والمرسلات} فبلغ: {فبأي حديث بعده يؤمنون} فليقل: آمنا بالله)». «مسند أحمد» (١٢/ ٣٥٣)، «سنن أبي داود» (٢/ ١٦٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القيامة ٢٦-٤٠

١- اعلم أن الموت آتيك لا محالة، وأنه قد ينزل بك فجأة، ولو كنت في قوّة شبابك وكمال صحّتك ووفرة مالك، فتفارق الأهل والأموال والأولاد والأحباب، وتنزل في قبرك وحيدا، لا يُغني عنك غناك، ولا تنفعك قوّتك، ولا يردّ عنك جاهك ومنصبك، وإنما ستجد أعمالك محيطةً بك، وستقابل بها ربك، فهل ستُبيّض وجهك حين تقف بين يدي ربك؟ فاللهم توفّنا مسلمين، وأحيِنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين (كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفّت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق).

٢- من صفات أهل الضلال: التكذيب بأخبار القرآن والسنة، والتولي عن طاعة الله ورسوله ﷺ، وترك الصلاة، مع التبختر والتكبّر في المِشية، والمؤمن ينأى بنفسه عن أن يتّصف بشيء من صفاتهم، حتى يسلم من الهلاك ومن أسبابه (فلا صدّق ولا صلّى * ولكن كذّب وتولّى * ثم ذهب إلى أهله يتمطّى * أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى).

٣- اعلم أن الله حكيم في أفعاله، فلا يمكن أن يخلق الخلق عبثًا بلا غاية، أو يتركهم يعيشون في الدنيا هملا بلا هدف، وإنما خلقهم لحكمة عظيمة، وهي أن يحققوا العبودية لله سبحانه وتعالى، فمن حقّقها أثابه، ومن أعرض عنها عاقبه (أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى).

٤- اعلم أن الله قدير قادر مقتدر، فكما خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم أنشأك خلقا آخر سويّا في أحسن خِلقة، فكذلك يقدر على بعثك بعد موتك للحساب والجزاء يوم القيامة، فاستعدّ للقاء الله، واسأل الله حُسن الخاتمة (ألم يكُ نطفةً من منيّ يُمنى * ثم كان علقةً فخلق فسوّى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحييَ الموتى). بلى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة القيامة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة القيامة.
عامة آيات سورة القيامة آيات قصيرة يُوقف على رؤوسها اقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن توجد مواضع في غير رؤوس الآيات أتكلم عنها هنا، وكلها مواضع متعلقة بالوقف على (بلى)، و(كلّا).

أولا: في الآية الرابعة: هل يصح الوقف على قوله: (بلى) بعد أن قال سبحانه في الآية الثالثة: (أيحسب الإنسان أن لّن نجمع عظامه)؟ ثم قال: (بلى)، وقال بعدها: (قادرين على أن نسوّي بنانه).

نصّ جماعة من علماء الوقف والابتداء على صحة الوقف هنا، وإذا تأملنا فإن قوله: (بلى) جواب على الاستفهام الوارد في الآية التي قبلها، ويكون الجواب قد تمّ بقوله: (بلى)، ثم قال سبحانه: (قادرين على أن نسوّي بنانه)، و(قادرين) هنا إذا اعتبرناها من تتمّة الجواب على السؤال، فإنه لا يصح الوقف على قوله: (بلى).

وإذا اعتبرناها جملة جديدة، واعتبرنا قوله: (قادرين) منصوبا بفعل محذوف، تقديره: نقدر قادرين على أن نسوّي بنانه، فإنه يصح الوقف هنا.

وهذه الجملة -أعني: (قادرين على أن نسوّي بنانه)- فيها إضافة على الجواب على السؤال، لأن السؤال: (أيحسب الإنسان أن لّن نجمع عظامه)، فأخبر الله أنه قادر على ما هو أدقّ من ذلك وهو تسوية البنان، فالوقف هنا له حظّ من النظر. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية عشرة: هل يصح الوقف على قوله: (كلّا) في قوله: (كلّا لا وزر)؟ وقد قال الله قبلها: (يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ)، ثم قال: (كلّا لا وزر).

لا بد أن نعلم أولا أنّ (كلّا) يصح الوقف عليها إذا كانت للردع والزجر عن كلام قبلها، فإن لم تكن كذلك بل كانت بمعنى (ألا) الاستفتاحية فإنه لا يُوقف عليها، تأمّل معي هنا، قال: (يقول الإنسان يومئذ) يعني: يوم القيامة، (أين المفرّ)، (كلّا) أي: لا مفرّ لك، فبناءً على هذا يصح الوقف على قوله: (كلّا) كما نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء. والله تعالى أعلم.

الآية العشرون: (كلّا بل تحبون العاجلة) هل يصح الوقف على (كلّا)؟ وقد قال الله قبلها: (ثم إنّ علينا بيانه)، والسؤال هنا: هل (كلّا) هنا فيها ردع وزجر عن الكلام الذي قبلها؟

الجواب: لا؛ الله سبحانه وتعالى لا ينفي أنّ عليه بيانه -وحاشاه سبحانه وتعالى- فـ(كلّا) هنا استفتاحية، فلا يصح الوقف عليها. والله تعالى أعلم.

الآية السادسة والعشرون: (كلّا إذا بلغت التراقي) هل يصح الوقف على (كلّا) هنا؟ وقد قال الله قبلها: (تظنّ أن يُفعل بها فاقرة) يعني الوجوه الباسرة، وجوه الكفرة، ثم قال: (كلّا) فهل الله سبحانه وتعالى ينفي أن يُفعل بها فاقرة؟

الجواب: لا؛ وإنما (كلّا) هنا بمعنى (ألا) الاستفتاحية، ألا إذا بلغت التراقي، واستفتح جملا جديدة فيما يتعلق بنزول الموت على الإنسان، فلا يصح الوقف على (كلّا) هنا ايضا. والله تعالى أعلم.

بقي التنبيه على ما يتعلق بالسكت في الآية السابعة والعشرين، في قوله تعالى: (وقيل مَن راق).

هنا سكتة على قوله: (وقيل مَن) عند حفص، وهذه السكتة تكون سكتة لطيفة يسيرة بمقدار حركتين تقريبا بدون تنفس، وليست وقفا؛ وإنما المراد منها ألّا تدغم النون الساكنة في الراء، فيتوهّم من الآية معنًى غير مراد، وذلك إذا قرأها فقال: (وقيل مرّاق) فقد يُتوهم أن المراد كثير المروق، ففصل حفص في قراءتها: (وقيل مَن. راق)، أي: من الذي يرقي هذا الذي بلغت روحه التراقي، هذه وجهة نظر حفص في السكت هنا.

وعامة القراء لم يسكتوا هنا، واعتبروا اللفظ واضحا غير موهم، والعبرة في القراءة ما جاء في الرواية، بمعنى: أن من يقرأ برواية حفص عن عاصم فإنه يقف هنا بناءً على الرواية، ولا يجتهد من عنده في ذلك.

وأنبّه هنا إلى خطأ شائع في السكتة هذه، وهي: أن بعضهم يقف عليها وقوفا طويلا، فيطيل الوقف أكثر من حركتين، وقد يتنفس، وهذا خطأ، بل المطلوب أن يسكت سكتة قصيرة بدون تنفس. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة القيامة. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المدثر ١-١٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة المدثر: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] الأمر بالاجتهاد في دعوة المكذبين، وإنذارهم بالآخرة والقرآن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾

يا أيها المُتَغَشِّي بثيابه (وهو النبي صلى الله عليه وسلم).

﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾

انهض فخوِّف من عذاب الله.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾

وعَظِّمْ ربّك.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾

وطهِّر نفسك من الذنوب، وثيابك من النجاسات.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾

وابتعد عن عبادة الأوثان.

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦﴾

ولا تمنن على ربك بأن تستكثر عملك الصالح.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾

واصبر لله على ما تلاقيه من الأذى.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨﴾

فإذا نُفِخَ في القرن النفخة الثانية.

﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩﴾

فذلك اليوم يوم شديد.

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾
على الكافرين بالله وبرسله غير سهل.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• وجوب الطهارة من الخَبَث الظاهر والباطن.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المدثر ١-١٠

الكلمة	المعنى
المُدَّثِّر	المتغطّي بثيابِه
فأَنذِر	فحذّر الناسَ من عذاب الله
وربَّك فكبِّر	وخُصَّ ربَّك وحده بالتعظيم
وثيابَك فطهِّر	وطهّر أعمالك من المفسدات، أو: طهّر لباسَك من النجاسات
والرُّجز فاهجُر	واستمرّ على هجر الأصنام وأعمال الشرك
ولا تَمنُن تَستكثِر	ولا تُعطِ العطيّة مُلتمِسًا أكثر منها، أو: ولا تمنُن على ربك بِأن تستكثِرَ عملَك الصالح
نُقِرَ في النَّاقور	نُفخ في الصور النفخةُ الثانية للبعث
عَسِير	صعبٌ شديدٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المدثر ١-١٠

فوائد عامة في سورة المدثر:

قال القرطبي: «قال مقاتل: معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٩).

وقال ابن كثير: «ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: {يا أيها المدثر}.

وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}...

عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي: (فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه (أي: فزعت) حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي، فقلت: زملوني زملوني. فزملوني، فأنزل الله: {يا أيها المدثر. قم فأنذر} إلى: {فاهجر}... ثم حمي الوحي وتتابع). هذا لفظ البخاري. وهذا السياق هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا، لقوله: (فإذا الملك الذي جاءني بحراء)، وهو جبريل حين أتاه بقوله: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}. ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد هذا. ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٦١-٢٦٢).

(يا أيها المدثر):

قال القرطبي: «قوله تعالى: (يا أيها المدثر): ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبّر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد، ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه... ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ إذ نام في المسجد: (قم أبا تراب)، وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها،

فسقط رداؤه وأصابه تراب، خرّجه مسلم. ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق: (قم يا نومان)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٦١).

(قم فأنذر):

قال ابن تيمية: «قوله: {فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدّث}، هذا متناول لجميع الأمّة. وقوله: {يا أيها المزمّل. قم الليل إلا قليلا} فإنه كان خطابا للمؤمنين كلهم. وكذلك قوله: {يا أيها المدثر. قم فأنذر} لما أُمر بتبليغ ما أنزل إليه من الإنذار، وهذا فرض على الكفاية، فواجب على الأمة أن يبلّغوا ما أنزل إليه، وينذروا كما أَنذر. قال تعالى: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}. والجن لما سمعوا القرآن {ولوا إلى قومهم منذرين}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٢٧).

(وربك فكبر):

قال ابن العربي المالكي: «هذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة، فإنه مراد به التكبير والتقديس والتنزيه بخلع الأنداد والأصنام دونه، ولا تَتخذ وليا غيره، ولا تَعبد ولا ترى لغيره فعلا إلا له، ولا نعمة إلا منه؛ لأنه لم تكن صلاة عند نزولها، وإنما كان ابتداء التوحيد». «أحكام القرآن» (٤/ ٣٣٩).

(وثيابك فطهر):

قال ابن الجوزي: «(وثيابك فطهر) فيه ثمانية أقوال:

أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر... روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: لا تكن ثيابك من مكسب غير طاهر، روي عن ابن عباس أيضا.

والثالث: طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد! وقتادة... وهذا مذهب ابن قتيبة. قال: المعنى: طهر نفسك من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب، لأنها تشتمل عليه... والعرب تقول للعفاف: إزار، لأن العفيف كأنه استتر لما عفّ.

والرابع: وعملك فأصلح، قاله الضحاك.

والخامس: خلقك فحسن، قاله الحسن، والقرظي.

والسادس: وثيابك فقصّر وشمّر، قاله طاووس.

والسابع: قلبك فطهر، قاله سعيد بن جبير...

والثامن: اغسل ثيابك بالماء ونقّها، قاله ابن سيرين وابن زيد». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٥٩).

وقال القرطبي: «وإذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين:
أحدهما: تقصير الأذيال، لأنها إذا أُرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا: ارفع إزارك! فإنه أتقى وأنقى وأبقى. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك ففي النار). فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الإزار الكعب، وتوعد ما تحته بالنار، فما بال رجال يرسلون أذيالهم، ويطيلون ثيابهم، ثم يتكلفون رفعها بأيديهم! وهذه حالة الكِبْر، وقائدة العجب...
والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة، وهو ظاهر منها، صحيح فيها. المهدوي: وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب، قال ابن سيرين وابن زيد: لا تُصلّ إلا في ثوب طاهر». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٦٥-٦٦):

(والرُّجز فاهجر):

قال الطبري: «(والرجز فاهجر) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة: (والرِّجز) بكسر الراء، وقرأه بعض المكيين والمدنيين: (والرُّجز) بضم الراء، فمن ضم الراء وجّهه إلى الأوثان، وقال: معنى الكلام: والأوثان فاهجر عبادتها، واترك خدمتها، ومن كسر الراء وجّهه إلى العذاب، وقال: معناه: والعذاب فاهجر، أي ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر». «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٢).

وقال ابن كثير: «وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبّسه صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك، كقوله: {يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين}، وقوله: {وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٦٤).

(ولا تمنن تستكثر):

قال ابن الجوزي: «(ولا تمنن تستكثر) فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا تُعط عطية تلتمس بها أفضل منها. قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة...

والثاني: لا تمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن.

والثالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد.

والرابع: لا تمنن على الناس بالنبوة لتأخذ عليها منهم أجرا، قاله ابن زيد». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٠).

(ولربك فاصبر):

قال ابن تيمية: «افتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة، وختمها بالأمر بالصبر. ونفس الإنذار أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر. وقال: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا}. وقال تعالى: {واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا}. {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل}. {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت}. {واصبر وما صبرك إلا بالله}. {واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}.

فلا بد من هذه الثلاثة: العلم؛ والرفق؛ والصبر؛ العلم قبل الأمر والنهي؛ والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحبا في هذه الأحوال؛ وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا؛ ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد: (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به،

فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه). «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٣٧).

وقال السعدي: «فامتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، وبادر إليه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظّم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهّر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يُبعد عن الله من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس -بعد منة الله- من غير أن يطلب منهم على ذلك جزاء ولا شكورا، وصبر لله أكمل صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصي الله، وعلى أقدار الله المؤلمة، حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين». «تفسير السعدي» (ص٨٩٥).

(فإذا نُقر في الناقور):

«عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر). قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟ قال: (قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)». «مسند أحمد» (١٧/ ٨٩)، «سنن الترمذي» (٥/ ٣٧٣).

(فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير):

قال القرطبي: «(غير يسير) أي غير سهل ولا هين، وذلك أن عُقدهم لا تنحلّ إلا إلى عقدة أشدّ منها، بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فإنها تنحلّ إلى ما هو أخفّ منها، حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المدثر ١-١٠

١- احرص على الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ ما تعلّمته من أمور دينك، لتكون قائما بوظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وممتثلا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (بلّغوا عنّي ولو آية)، (يا أيها المدّثّر * قم فأنذر).

٢- عظّم ربّك باعتقاد انفراده بالخلق والتدبير، واعتقاد كمال أسمائه وصفاته، وعبادته وحده لا شريك له، وكرّر دومًا بتأمّل وتفكّر: الله أكبر (وربك فكبر).

٣- طهّر أعمالك من الذنوب والمعاصي، ومن الرياء والسمعة، ومن الأخلاق الدنيئة، وطهّر ثيابك من النجاسات والقذارات، وادعُ دائما: اللهم طهّر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (وثيابك فطهر).

٤- اهجُر الأصنام والأوثان والطواغيت، واهجُر أعمال أهل الكفر والفسوق والعصيان، واعلم أن ذلك لا يتم لك إلا بهجر مصاحبة ومتابعة ومشاهدة من يدعو إلى ذلك ويزيّنه (والرجز فاهجر).

٥- لا تمنُن على الله بأعمالك الصالحة، فلولا إعانة الله وتوفيقه لك لكنت من الضالين الخاسرين، فاحمد الله على نعمه الدينية والدنيوية، ولا تستكثر عملا تعمله لله، فإنك لم تُخلق إلا لعبادة الله، والله العظيم الكبير المتعال أهل أن يُعبَد ويُتّقى (ولا تَمنُن تستكثر).

٦- اصبر على فعل الطاعات، واصبر عن ارتكاب المعاصي، واصبر على أقدار الله المؤلمة، واصبر على الأذى في سبيل الله، وليكُن صبرُك لله وحده، لا مراءاةً للناس، ولا طلبًا للمال والجاه (ولربك فاصبر).

٧- يوم القيامة يومٌ عسير، أهواله عظيمة، وأحواله شديدة، هو يوم الفزع الأكبر، والطامة الكبرى، والقارعة والصاخة والواقعة، والسعيد حقا من كان في ذلك اليوم من الآمنين، فاللهم آمنّا من الفزع الأكبر يوم القيامة (فإذا نُقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المدثر ١١-٢٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾

اتركني -أيها الرسول- ومن خلقته وحيدًا في بطن أمه دون مال أو ولد (وهو الوليد بن المُغِيرة).

﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢﴾

وجعلت له مالًا كثيرًا.

﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣﴾

وجعلت له بنين حاضرين معه ويشهدون المحافل معه لا يفارقونه لسفر لكثرة ماله.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾

وبسطت له في العيش والرزق والولد بسطًا.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥﴾

ثم يطمع مع كفره بي أن أزيده بعد ما أعطيته من ذلك كله.

﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦﴾

ليس الأمر كما تصوّر، إنه كان معاندًا لآياتنا المنزلة على رسولنا مكذبًا بها.

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾

سأكلفه مشقة من العذاب لا يستطيع تحمّلها.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾

إن هذا الكافر الَّذي أنعمت عليه بتلك النعم فكّر فيما يقوله في القرآن لإبطاله، وقدّر ذلك في نفسه.

﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩﴾

فلُعِن وعُذِّب كيف قَدَّر.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠﴾

ثم لعن وعذّب كيف قَدَّر.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾

ثم أعاد النظر والتروِّي فيما يقول.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾

ثم قَطَّب وجهه وكَلَح حين لم يجد ما يطعن به في القرآن.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣﴾

ثم أدبر عن الإيمان، واستكبر عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤﴾

فقال: ليس هذا الَّذي جاء به محمد كلام الله، بل هو سحر يرويه عن غيره.

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾

ليس هذا كلام الله، بل هو كلام الإنس.

﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾

سأدخل هذا الكافر طبقة من طبقات النار، وهي سَقَر يقاسي حرّها.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الإنعام على الفاجر استدراج له وليس إكرامًا.

• خطورة الكبر حيث صرف الوليد بن المغيرة عن الإيمان بعدما تبين له الحق.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المدثر ١١-٢٦

الكلمة	المعنى
ذَرْنِي	اترُكنِي ودَعْنِي (تهديد ووعيد)
وَحِيدًا	فَرِيدًا لا مالَ له ولا ولد
مالًا ممدُودًا	مالًا كثيرًا واسعًا
وبَنين شُهودًا	وأولادًا ذُكورًا حاضرين معه دائمًا
ومهّدتُ له تمهيدا	ويسّرتُ له سُبل العَيش والرِّزق تيسيرا
لآياتِنا عنيدا	مُعانِدا لآياتنا المنزّلة على رسولِنا مكذّبا بها
سأُرهقه صَعُودًا	سأكلّفه عذابًا شاقًّا لا راحةَ له فيه
وقدَّر	وهيّأ في نفسه كلامًا يَطعنُ به في القرآنِ وفي الرسولِ صلى الله عليه وسلم
فقُتِل	فلُعن وعُذّب
ثمّ نَظَر	ثم تأمّلَ فيما يَطعنُ به في القرآنِ والرسولِ صلى الله عليه وسلم
ثمّ عَبَس	ثمّ تغيّر وجهُه
وبَسَر	واشتدّ في العُبوس لمّا ضاقت عليه الحِيَل في الطعن
ثمّ أدْبَر	ثمّ أعرَضَ عن الإيمانِ والاعتراف بالحق
يُؤْثَر	يُروى ويُنقل عن السابقين
سأُصليه سَقَر	سأُدخلُه جهنّم لِيُقاسيَ حرّها

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المدثر ١١-٢٦

(ذرني ومن خلقت وحيدا):

سبب النزول: قال ابن تيمية: عن ابن عباس: ...أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: ولِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعوّض مما قِبَله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره. فنزلت: {ذرني ومن خلقت وحيدا}. رواه عبد الرزاق...

وفي رواية أخرى: أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا، فيكذّب بعضكم بعضا، ويردّ بعضكم قول بعض، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأيا نقوم به. فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع، فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان. فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريظه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر، قال: فما هو بساحر، قد رأينا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده. فقالوا: ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجنى، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرّق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرّقوا عنه، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا له أمره، فأنزل الله تعالى في

الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله: {ذرني ومن خلقت وحيدا} إلى قوله: {سأصليه سقر}». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية» (٥/ ٣٧٣-٣٧٧).

وقال القرطبي: «قال ابن عباس: كان الوليد يقول: أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب نظير، ولا لأبي المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد، فقال الله تعالى: (ذرني ومن خلقت) بزعمه (وحيدا) لا أن الله تعالى صدّقه بأنه وحيد.

وقال قوم: إن قوله تعالى: (وحيدا) يرجع إلى الرب تعالى على معنيين:

أحدهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم.

والثاني: أني انفردت بخلقه ولم يشركني فيه أحد، فأنا أهلكه، ولا أحتاج إلى ناصر في إهلاكه، فـ (وحيدا) على هذا حال من ضمير الفاعل، وهو التاء في (خلقت).

والأول قول مجاهد، أي: خلقته وحيدا في بطن أمه لا مال له ولا ولد، فأنعمت عليه فكفر. فقوله: (وحيدا) على هذا يرجع إلى الوليد، أي لم يكن له شي فملّكته.

وقيل: أراد بذلك ليدله على أنه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا.

وقيل: الوحيد الذي لا يُعرف أبوه، وكان الوليد معروفا بأنه دعيّ، كما ذكرنا في قوله تعالى: (عتلّ بعد ذلك زنيم) وهو في صفة الوليد أيضا». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧١).

(وبنين شهودا):

قال ابن كثير: «{وبنين شهودا} قال مجاهد: لا يغيبون، أي: حضورا عنده، لا يسافرون في التجارات، بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويتملى بهم. وكانوا -فيما ذكره السدي، وأبو مالك، وعاصم بن عمر وقتادة-ثلاثة عشر. وقال ابن عباس، ومجاهد: كانوا عشرة. وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٦٥).

(ومهّدت له تمهيدا):

قال القرطبي: «(ومهّدت له تمهيدا) أي بسطت له في العيش بسطا، حتى أقام ببلدته مطمئنا مترفها يُرجع إلى رأيه. والتمهيد عند العرب: التوطئة والتهيئة، ومنه مهْد الصبي.

وقال ابن عباس: (ومهّدت له تمهيدا) أي وسعت له ما بين اليمن والشام. قاله مجاهد.

وعن مجاهد أيضا في: (ومهدت له تمهيدا) أنه المال بعضه فوق بعض، كما يمهّد الفراش». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٢).

(ثم يطمع أن أزيد):

قال ابن الجوزي: «(ثم يطمع أن أزيد) فيه قولان:

أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة. قاله الحسن.

والثاني: أن أزيده من المال والولد، قاله مقاتل». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٢).

وقال القرطبي: «و (ثمّ) في قوله تعالى: (ثم يطمع) ليست بـ (ثم) التي للنسق، ولكنها تعجيب، وهي كقوله تعالى: (وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)، وذلك كما تقول: أعطيتك ثم أنت تجفوني، كالمتعجّب من ذلك.

وقيل: يطمع أن أترك ذلك في عقبه، وذلك أنه كان يقول: إن محمدا مبتور، أي أبتر، وينقطع ذكره بموته. وكان يظن أن ما رزق لا ينقطع بموته.

وقيل: أي: ثم يطمع أن أنصره على كفره». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٢).

(كلا إنه كان لآياتنا عنيدا):

قال البغوي: «{كلا} لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٦٧).

(سأُرهقه صَعودا):

قال ابن كثير: «عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ويل: واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره، والصَّعود: جبل من نار يَصعد فيه سبعين خريفا، ثم يهوي به كذلك فيه أبدا). وقد رواه الترمذي (وأحمد)...

وقال ابن أبي حاتم:... عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم: {سأرهقه صعودا} قال: (هو جبل في النار من نار يكلّف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت). ورواه البزار وابن جرير، من حديث شريك، به.

وقال قتادة، عن ابن عباس: صعود: صخرة في جهنم عظيمة، يُسحب عليها الكافر على وجهه.

وقال السدي: صعودا: صخرة ملساء في جهنم، يكلف أن يصعدها.

وقال مجاهد: {سأرهقه صعودا} أي: مشقة من العذاب.

وقال قتادة: عذابا لا راحة فيه. واختاره ابن جرير». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٦٥-٢٦٦).

(فقال إن هذا إلا سحر يُؤثر. إن هذا إلا قول البشر):

قال الطحاوي: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: (سأصليه سقر)، فلما أوعد الله بسقر من قال: (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنّا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر». «متن الطحاوية» (ص٤٠-٤٢).

وقال ابن تيمية: «هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك بالنص وإجماع المسلمين، وقد كفّر الله من قال: إنه قول البشر، ووعده أنه سيصليه سقر». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٤٣).

وقال ابن تيمية: «الله قد كفّر من جعله قول البشر بقوله: {إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر}. ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر، فمن قال: إنه قول محمد فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: هو قول بشر أو جني أو ملك، فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر؛ ومع هذا فقد قال تعالى: {إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر} فجعله قول الرسول البشري مع تكفيره من يقول إنه قول البشر، فعُلم أن المراد بذلك أن الرسول بلّغه عن مرسله، لا أنه قول له من تلقاء نفسه، وهو كلام الله الذي أرسله، كما قال تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله}، فالذي بلّغه الرسول هو كلام الله، لا كلام الرسول. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالمواسم ويقول: (ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلّغ كلام ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلّغ كلام ربي). رواه أبو داود وغيره. والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلّغا مؤديا». «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٣٦).

وقال السعدي: «{إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر} أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار. فتبا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!! كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟! أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد. فما حقه إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: (سأصليه سقر)». «تفسير السعدي» (ص٨٩٦).

(سأُصليه سقر):

قال القرطبي: «(سأصليه سقر) أي: سأدخله سقر كي يصلى حرّها. وإنما سميت سقر من سقرته الشمس: إذا أذابته ولوّحته، وأحرقت جلدة وجهه». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المدثر ١١-٢٦

١- اعلم أنه كلّما زادت نعم الله عليك ازداد واجب شكر النعمة عليك، وما منّا من أحد إلا وهو يرفُل في نعمٍ كثيرةٍ لا تُحصى، لكنه قد ينساها أو يغفل عنها أو يحجُبه عنها نزول مصيبة أو مصيبتين، فينسى آلاف النعم لآحاد المصائب، فاحرص على استذكار نِعمِ الله حتى تعرف فضل الله عليك، فتؤدّي شكرها، فتحفظها من الزوال، ويطمئن قلبك، ويزداد إيمانك، وأما من زاد كفره بالله مع ازدياد نعم الله عليه فإن عذابه شديد، وعقابه وبيل (ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهّدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأُرهقه صَعودا).

٢- مَن تدبّر كلام الله وتفكّر فيه باحثًا عن الهدى والحق بتجرّد وعقل وإنصاف علم أنه كلام رب العالمين، المعجِز بألفاظه ومعانيه، الواضح في أدلّته وبراهينه، الهادي إلى الإيمان واليقين، فتدبّر القرآن طالبًا الهدى منه، أما من نظر في القرآن نظر المتشكك الطاعن المقدّم لهواه وشهوته ورِضا الناس مِن حوله فلن يزيده القرآن إلا عمى وضلالا (إنه فكّر وقدّر * فقُتل كيف قدّر * ثم قُتِل كيف قدّر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المدثر ٢٧-٣٧ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧﴾

وما أعلمك -يا محمد- ما سَقَر؟!

﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾

لا تُبْقِي شيئًا من المُعَذَّب فيها إلا أتت عليه، ولا تتركه، ثم يعود كما كان، ثم تأتي عليه، وهكذا دَوَالَيْك.

﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩﴾

شديدة الإحراق والتغيير للجلود.

﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾

عليها تسعة عشر ملكًا، وهم خَزَنتها.

﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾

وما جعلنا خَزَنة النار إلا ملائكة، فلا طاقة للبشر بهم، وما جعلنا عددهم هذا إلا اختبارًا للذين كفروا بالله؛ ليقولوا ما قالوا فيُضاعَف عليهم العذاب، وليتيقّن اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل حين نزل القرآن مصدقًا لما في كتابيهم، وليزداد المؤمنون إيمانًا عندما يوافقهم أهل الكتاب، ولا يرتاب اليهود والنصارى والمؤمنون، وليقول المترددون في الإيمان، والكافرون: أي شيء أراده الله بهذا العدد الغريب؟! مِثل إضلال مُنْكِر هذا العدد وهداية المُصَدِّق به، يُضِلُّ الله من شاء أن يضلّه ويهدي من شاء أن يهديه، وما يعلم جنود ربك من كثرتها إلا هو سبحانه، وما النار إلا تذكرة للبشر يعلمون بها عظمة الله سبحانه.

﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢﴾

ليس القول كما يزعم بعض المشركين أنَّه يكفي أصحابَه خَزَنة جهنم حتَّى يُجْهِضهم عنها، أقسم الله بالقمر.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾

وأقسم بالليل حين ولى.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾

وأقسم بالصبح إذا أضاء.

﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥﴾

إنّ نار جهنم لإحدى البلايا العظيمة.

﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦﴾

ترهيبًا وتخويفًا للناس.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾

لمن شاء منكم -أيها الناس- أن يتقدم بالإيمان بالله والعمل الصالح، أو يتأخر بالكفر والمعاصي.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المدثر ٢٧-٣٧

الكلمة	المعنى
سَقَر	جهنّم
لا تُبقِي ولا تَذَر	لا تترُك من أجسادِ المعذّبين شيئا
لوَّاحَةٌ للبشَر	مُحرِقة لِلجُلود مسوّدة لها
أصحابَ النار	خَزَنَة النار
عِدَّتَهُم	ذِكرَ عددِهم
إلا فتنةً للذين كفروا	إلا ابتلاءً واختبارًا للكفار
الذين أوتوا الكتاب	اليهودُ والنصارى
ولا يَرتَاب	ولا يشكّ
أَدْبَر	ولّى وذهب
إذا أَسْفَر	إذا أضاء
إنّها لَإِحدى الكُبَر	إنّ جهنّم لَإِحدى الفظائعِ العظيمةِ
أن يتقدّم أو يتأخّر	أن يتقدّم بالإيمان والطاعات أو يتأخّر بالكفر والمعاصي

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المدثر ٢٧-٣٧

(وما أدراك ما سقر * لا تُبقي ولا تذر):

قال البغوي: «{وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر} أي: لا تبقي ولا تذر فيها شيئا إلا أكلته وأهلكته.

وقال مجاهد: لا تميت ولا تحيي. يعني: لا تبقي من فيها حيا، ولا تذر من فيها ميتا، كلما احترقوا جددوا.

وقال السدي: لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما.

وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تُبق منهم شيئا، وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلا لجهنم». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧٠).

(لوّاحةٌ للبشر):

قال البغوي: «{لواحة للبشر} مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحه السقم والحزن إذا غيّره.

وقال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل.

وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد.

وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا، نظيره قوله: (وبرّزت الجحيم للغاوين)». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧٠).

(عليها تسعة عشر):

عن جابر بن عبد الله قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، غُلب أصحابك اليوم. قال: «وبِمَ غُلبوا؟» قال: سألهم يهود: هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة جهنم؟ قال: «فما قالوا؟» قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا. قال: «أفغُلب قوم سئلوا عما لا يعلمون؟ فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا، لكنهم قد سألوا نبيهم، فقالوا: أرنا الله جهرة، عليّ بأعداء الله، إني سائلهم

عن تربة الجنة وهي الدرمك»، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدد خزنة جهنم؟ قال: «هكذا وهكذا، في مرة عشرة، وفي مرة تسعة»، قالوا: نعم. «سنن الترمذي» (٥/ ٤٢٩).

وقال البغوي: «{عليها تسعة عشر} أي: على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها: مالك، ومعه ثمانية عشر.

وجاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم.

قال عمرو بن دينار: إن واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧٠-٢٧١).

وقال ابن الجوزي: «ذكر الماوردي في وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر قولا محتملا، فقال: التسعة عشر: عدد يجمع أكثر القليل، وأقلّ الكثير، لأن الآحاد أقل الأعداد، وأكثرها تسعة، وما سوى الآحاد كثير. وأقل الكثير: عشرة، فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير، وأكثر القليل». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٤).

وقال القرطبي: «والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجِز عنها، كما قال الله تعالى: (وما يعلم جنود ربك إلا هو)، وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٨٠).

(وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة):

سبب النزول: «قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: لما نزلت هذه الآية (عليها تسعة عشر) قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسْمع ابنَ أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدُّهم، أي: الشجعان،

أفيعجِز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشد أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين.

وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار، ونمضي فندخل الجنة. فأنزل الله عز وجل: {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة}». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧١).

.

(وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا):

قال السعدي: «{وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا} يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعذاب يسمى فتنة، كما قال تعالى: {يوم هم على النار يفتنون}.

ويحتمل أن المراد: أنّا ما أخبرناكم بعدّتهم، إلا لنعلم من يصدّق ومن يكذّب». «تفسير السعدي» (ص٨٩٧).

(ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون):

قال البخاري: «باب الإيمان، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بُني الإسلام على خمس). وهو: قول وفعل، ويزيد وينقص، قال الله تعالى: {ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم}، {وزدناهم هدى}، {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى}، {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم}، {ويزداد الذين آمنوا إيمانا}، وقوله: {أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا}، وقوله جل ذكره: {فاخشوهم فزادهم إيمانا}، وقوله تعالى: {وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}». «صحيح البخاري» (١/ ١٠).

وقال البغوي: «{ليستيقن الذين أوتوا الكتاب} لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر، {ويزداد الذين آمنوا إيمانا} يعني مَن آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا وجدوا ما قاله موافقا لما في كتبهم». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧١).

وقال ابن القيم: «اليقين وعدم الريب في هذا الموضع: إن رجعا إلى شيء واحد كان ذكر عدم الريب مقررا لليقين، ومؤكدا له، ونافيا عنه ما يضاده بوجه من الوجوه، وإن رجعا إلى شيئين بأن يكون اليقين راجعا إلى الخبر المذكور عن عدة الملائكة، وعدم الريب عائدا إلى عموم ما أخبر الرسول به لدلالة هذا الخبر الذي لا يعلم إلا من جهة الرسول على صدقه، فلا يرتاب من قد عرف صحة هذا الخبر بعد في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم= ظهرت فائدة ذكره». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١٩-٢١).

وقال السعدي: «{ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا} فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطابقه ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون كلما أنزل الله آية فآمنوا بها وصدقوا ازداد إيمانهم.
{ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون} أي: ليزول عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد جليلة، يعتني بها أولو الألباب، وهي السعي في اليقين، وزيادة الإيمان في كل وقت وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة الحق، فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلا لهذه الفوائد الجليلة، ومميزا للكاذبين من الصادقين». «تفسير السعدي» (ص٨٩٧).

(وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا):

«قال ابن زيد، في قوله: (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) يقول: حتى يخوّفنا بهؤلاء التسعة عشر». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣١).

«قال الحسين بن الفضل: السورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، فإنما المرض في هذه الآية: الاضطراب وضعف الإيمان». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٩٦).

وقال ابن تيمية: «{وليقول الذين في قلوبهم مرض} لم تمت قلوبهم كموت الكفار والمنافقين، وليست صحيحة صالحة كصالح قلوب المؤمنين، بل فيها مرض شبهات وشهوات». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩٥).

وقال ابن القيم: «مرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي. وكلاهما في القرآن.
قال تعالى في مرض الشبهة: {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}. وقال تعالى: {وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله}. وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن والسنة، فأبى وأعرض: {وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون}. فهذا مرض الشبهات والشكوك.
وأما مرض الشهوات، فقال تعالى: {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض}. فهذا مرض شهوة الزنا». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٥).

وقال ابن القيم: «أخبر الله سبحانه عن الحكمة التي جعل لأجلها عدّة الملائكة الموكلين بالنار تسعة عشر، فذكر سبحانه خمس حكم:
فتنة الكافرين؛ فيكون ذلك زيادة في كفرهم وضلالهم.
وقوة يقين أهل الكتاب؛ فيقوى يقينهم بموافقة الخبر بذلك لما عندهم عن أنبيائهم؛ من غير تلقٍّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فتقوم الحجة على معاندهم، وينقاد للإيمان من يريد الله أن يهديه.
وزيادة إيمان الذين آمنوا؛ بكمال تصديقهم بذلك والإقرار به.
وانتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لكمال تصديقهم به.
فهذه أربع حكم: فتنة الكفار، ويقين أهل الكتاب، وزيادة إيمان المؤمنين، وانتفاء الريب عن المؤمنين وأهل الكتاب.
والخامسة: حيرة الكافر ومن في قلبه مرض، وعمى قلبه عن المراد بذلك، فيقول: {ماذا أراد الله بهذا مثلا}.
وهذه حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها: قلب يفتتن به كفرا وجحودا، وقلب يزداد به إيمانا وتصديقا، وقلب يتيقنه فتقوم عليه الحجة به، وقلب يوجب له حيرة وعمى فلا يدري ما يراد به». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١٩-٢١).

(كذلك يُضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء):

قال البغوي: «{كذلك} أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدّق كذلك {يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء}». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧١).

(وما يعلم جنود ربك إلا هو):

قال ابن تيمية: «وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله، كما قال تعالى: {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو}... والذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يُحصر، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد). وقال الله تعالى: {تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم}». «مجموع الفتاوى» (٤/ ١١٩).

وقال ابن كثير: «وقد ثبت في حديث الإسراء المرويّ في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: (فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم)...

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السماوات والأرض، لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز

وجل، قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك). وهذا إسناد لا بأس به». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٧٠-٢٧٢).

(كلا والقمر):

قال القرطبي: «(كلا والقمر) قال الفراء: (كلا) صلة للقسم، التقدير: أي: والقمر.

وقيل: المعنى: حقا والقمر، فلا يوقف على هذين التقديرين على (كلا).

وأجاز الطبري الوقف عليها، وجعلها ردا للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم، أي: ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار. ثم أقسم على ذلك عز وجل بالقمر وبما بعده». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٨٤).

(والليل إذ أدبر):

قال ابن الجوزي: «(والليل إذ أدبر) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «إذا دبر». وقرأ نافع، وحمزة، وحفص، والفضل عن عاصم، ويعقوب وخلف، «إذ» بسكون الذال من غير ألف بعدها «أدبر» بسكون الدال، وبهمزة قبلها.

وهل معنى القراءتين واحد، أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. يقال: دبر الليل وأدبر، ودبر الصيف وأدبر، هذا قول الفراء، والأخفش، وثعلب.

والثاني: أن «دبر» بمعنى خلْف، و «أدبر» بمعنى ولّى. يقال: دبرني فلان: جاء خلفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة وابن قتيبة. «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٥).

(والصبح إذا أسفر):

قال القرطبي: «ومعنى (أسفر): أضاء... وفي الحديث: (أسفروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر)، أي: صلوا صلاة الصبح مسفرين، ويقال: طوّلوها إلى الإسفار، والإسفار: الإنارة. وأسفر وجهه حسنا، أي: أشرق، وسفرت المرأة: كشفت عن وجهها، فهي سافر». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٨٤).

(إنها لإحدى الكُبَر * نذيرا للبشر):

«قال الحسن: والله ما أُنذر الناس بشيء أدهى منها، أو بداهية هي أدهى منها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٤).

(لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّر):

قال القرطبي: «(لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) اللام متعلقة بـ (نذيرا)، أي نذيرا لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة، أو يتأخر إلى الشر والمعصية، نظيره: (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أي: في الخير (ولقد علمنا المستأخرين) عنه.

قال الحسن: هذا وعيد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر، كقوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)...

وكان ابن عباس يقول: هذا تهديد وإعلام أن من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع، ومن تأخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع.

وقال السدي: لمن شاء منكم أن يتقدم إلى النار المتقدم ذكرها، أو يتأخر عنها إلى الجنة». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٨٦).

وقال ابن القيم: «قال تعالى: {لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر}، فلا وقوف في الطريق؛ إنما هو ذهاب وتقدم، أو رجوع وتأخر». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ٢١٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المدثر ٢٧-٣٧

١- اعلم أنّ مجرّد تصوّرك لنار جهنم، وما فيها من شدائد وأهوال، كافٍ لخوفك منها، وحذرك من كلّ ما يقرّبك من لهيبها، وهربك الشديد من التعرّض لسمومها، فهي نار عظيمة كبيرة واسعة، مَن دخلها لم تُبقِ من جسده شيئا إلا أحرقته، حتى تصل إلى قلبه، فأكثِر من الاستعاذة بالله من نار جهنم (وما أدراك ما سقر * لا تُبقي ولا تذر * لوّاحةٌ للبشر)، (وما هي إلا ذكرى للبشر * كلا والقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لإحدى الكُبَر * نذيرا للبشر).

٢- الملائكة جند من جنود الله، كلّفهم الله بتدبير أمور الدنيا والآخرة، ومنهم خزنة النار، ورؤساؤهم تسعة عشر ملَكا، وهم ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (عليها تسعة عشر).

٣- لله سبحانه وتعالى حكمة في كل أمر كونيّ او شرعيّ، فأما المؤمن فيصدّق بأخبار الله، ويسلّم لأحكامه، ويرضى بقضائه، وإن لم يعلم الحكمة من ذلك، فيزداد طمأنينة وإيمانا، وراحة وسكينة ويقينا، وأما الكافر والمنافق والمرتاب فيكذّب الخبر، ويعترض على الحكم، ويتسخّط على القدَر، ويشكّك في الحكمة، فيزداد كفرا وضلالا، فكن من عباد الله المؤمنين المصدّقين المستسلمين (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يُضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء).

٤- لا يغرنّك تقلّب الذين كفروا في البلاد، ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، فإن الله لهم بالمرصاد، وجنوده كثيرة، ولو شاء لعاجلهم بالعذاب من حيث لا يشعرون، ولكنه سبحانه يُمهل ولا يُهمل، ليبتليهم ويبتلي بهم، وليميّز الصادقين من الكاذبين (وما يعلم جنود ربك إلا هو).

٥- اعلم أنك ما دُمتَ حيا فإنك إما أن تتقدّم إلى الله والجنة بالطاعة والصلاح والإيمان، وإما أن تتأخّر إلى النار بالمعصية والفساد والكفر، ولا وقوف في الطريق، فإن لم تجد من نفسك تقدّمًا فاعلم أنك تتأخر، فالحذر الحذر (لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّر).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المدثر ٣٨-٥٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾

كل نفس بما كسبته من الأعمال مأخوذة، فإما أن توبقها أعمالها، وإما أن تخلِّصها وتنقذها من الهلاك.

﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩﴾

إلا المؤمنين فإنهم لا يُوخذون بذنوبهم، بل يُتجاوز عنها لما لهم من عمل صالح.

﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠﴾

وهم يوم القيامة في جنات يسأل بعضهم بعضا.

﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١﴾

عن الكافرين الذين أهلكوا أنفسهم بما عملوا من المعاصي.

﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾

يقولون لهم: ما أدخلكم في جهنم؟

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾

فيجيبهم الكفار قائلين: لم نكن من الذين يؤدون الصلاة الواجبة في الحياة الدنيا.

﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤﴾

ولم نكن نطعم الفقير مما أعطانا الله.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥﴾

وكنا مع أهل الباطل ندور معهم أينما داروا، ونتحدث مع أهل الضلال والغواية.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦﴾

وكنا نكذب بيوم الجزاء.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧﴾

وتمادينا في التكذيب به حتَّى جاءنا الموت، فحال بيننا وبين التوبة.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾

فما تنفعهم يوم القيامة وساطة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين؛ لأن من شرط قَبول الشفاعة

الرضا عن المشفوع له.

﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩﴾

أي شيء جعل هؤلاء المشركين معرضين عن القرآن؟!

﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠﴾

كأنهم في إعراضهم ونفورهم منه حُمُر وَحْش شديدة النفور.

﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١﴾

نفرت من أسد خوفًا منه.

﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ٥٢﴾

بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن يصبح عند رأسه كتاب منشور يخبره أن محمدًا رسول من الله، وليس سبب ذلك قلة البراهين أو ضعف الحجج، وإنما هو العناد والاستكبار.

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٥٣﴾

ليس الأمر كذلك، بل السبب في تماديهم في ضلالهم أنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فبقوا على كفرهم.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤﴾

ألا إن هذا القرآن موعظة وتذكير.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥﴾

فمن شاء أن يقرأ القرآن ويتعظ به قرأه واتعظ به.

﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾

وما يتعظون إلا أن يشاء الله أن يتعظوا، هو سبحانه أهل لأن يُتَّقى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأهل لأن يَغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة.

• عدم إطعام المحتاج سبب من أسباب دخول النار.

• مشيئة العبد مُقَيَّدة بمشيئة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المدثر ٣٨-٥٦

الكلمة	المعنى
رَهِينَة	محبوسة بعملها
أصحابَ اليمين	أهلَ الجنّة
يتساءلون	يسأل بعضهم بعضا
ما سَلَكَكُم	ما الذي أَدْخَلَكُم
سَقَر	جهنّم
نَخُوضُ مع الخائِضِين	نتحدّث بالباطل مع أهل الضلالة
بِيوم الدِّين	بيوم الحساب والجزاء
أتانا اليقين	جاءنا الموت
حُمُرٌ مُستَنفِرة	مجموعةٌ من حُمُر الوَحشِ شديدةِ النّفور
قَسْوَرَة	أَسَد
صُحُفًا مُنَشّرَة	كُتُبًا مفتوحة منشورة
أهلُ التقوى	المستحِقّ لِأَن يُتّقى ويُطاع
وأهلُ المغفرة	الجدير بأن يغفر ذنوب من آمن به وأطاعه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المدثر ٣٨-٥٦

(كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين):

«قال ابن زيد، في قول الله: (كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين) أصحاب اليمين لا يُرتهنون بذنوبهم، ولكن يغفرها الله لهم، وقرأ قول الله: (إلا عباد الله المخلَصين) قال: لا يؤاخذهم الله بسيئ أعمالهم، ولكن يغفرها الله لهم، ويتجاوز عنهم كما وعدهم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٥).

(وكنا نخوض مع الخائضين):

«عن قتادة قوله: (وكنا نخوض مع الخائضين) قال: يقولون: كلما غوى غاوٍ غوينا معه». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٧).

«وقال ابن زيد: نخوض مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم. وهو قولهم- لعنهم الله- كاهن، مجنون، شاعر، ساحر». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٨٧).

(وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين):

قال ابن القيم: «الله عز وجل أمره -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- وأمر سائر رسله بعبادته إلى حين انقضاء آجالهم، فقال: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} وهو الموت بالإجماع، كما قال في الآية الأخرى عن الكفار: {وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين}.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه)، قاله لما مات عثمان.

وقال المسيح صلى الله على نبينا وعليه وسلم: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا}، فهذه وصية الله تعالى للمسيح عليه السلام، وكذلك لجميع أنبيائه ورسله وأتباعهم.

قال الحسن رضي الله عنه: لم يجعل الله لعبادة المؤمن أجلا دون الموت». «مدارج السالكين» (١/ ٢٥٣).

(فما تنفعهم شفاعة الشافعين):

قال البغوي: «قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: {قالوا لم نك من المصلين} إلى قوله: {بيوم الدين}.
قال عمران بن حصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٧٣).

وقال ابن عطية: «أخبر تعالى أن شفاعة الشافعين لا تنفعهم، فتقرر من ذلك أن ثم شافعين، وفي صحة هذا المعنى أحاديث:
قال صلى الله عليه وسلم: «يشفع الملائكة، ثم النبيون، ثم العلماء، ثم الشهداء، ثم الصالحون، ثم يقول الله تعالى: (شفع عبادي، وبقيت شفاعة أرحم الراحمين)، فلا يبقى في النار من كان له إيمان.
وروى الحسن أن الله تعالى يُدخل الجنة بشفاعة رجل من هذه الأمة مثل ربيعة ومضر. وفي رواية أبي قلابة: أكثر من بني تميم.
وقال الحسن: كنا نتحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٩٩).

وقال ابن تيمية: «وحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى: {واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل}، وبقوله: {ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة}، وبقوله: {مِن قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة}، وبقوله: {ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع}، وبقوله: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين}.
وجواب أهل السنة أن هذا يراد به شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين، كما قال تعالى في نعتهم: {ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين}، فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا.

والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع: من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدْر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض، فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة، وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة. فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يُتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة. فأنكر الله هذه الشفاعة، فقال تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}، وقال: {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}». «مجموع الفتاوى» (١/ ١٤٩).

(كأنهم حمر مستنفرة * فرّت من قسورة):

قال ابن الجوزي: «وفي «القسورة» سبعة أقوال:

أحدها: أنه الأسد، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس، وبه قال أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه. قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم هربوا منه، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، والزجاج. قال ابن قتيبة: كأنه من القسر والقهر. والأسد يقهر السباع.

والثاني: أن القسورة: الرماة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، وابن كيسان.

والثالث: أن القسورة: حبال الصيادين، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والرابع: أنهم عصب الرجال، رواه أبو حمزة عن ابن عباس...

والخامس: أنه ركز الناس، وهذا في رواية عطاء أيضا عن ابن عباس. وركز الناس: حسهم وأصواتهم.
والسادس: أنه الظلمة والليل، قاله عكرمة.
والسابع: أنه النبل، قاله قتادة». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٦).

وقال ابن القيم: «الله سبحانه وتعالى شبّه أتباع الهوى بأخسّ الحيوانات صورة ومعنى، فشبههم بالكلب تارة كقوله: {ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب}، وبالحمر تارة كقوله تعالى: {كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة}. وقلب صورهم إلى صورة القردة والخنازير تارة». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٦٣٦).

وقال ابن القيم: «قوله تعالى في تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره: {فما لهم عن التذكرة معرضين. كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة}، شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة، ففرت منه. وهذا من بديع القياس التمثيلي، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر، فهي لا تعقل شيئا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور. وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها.
وتحت "المستنفرة" معنى أبلغ من "النافرة"، فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا، وحضه على النفور. فإن في الاستفعال من الطلب قدرا زائدا على الفعل المجرد، فكأنها تواصت بالنفور، وتواطأت عليه. ومن قرأها بفتح الفاء، فالمعنى أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسه وشدته». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٣٣٠).

(بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صُحفًا منشّرة):
قال ابن الجوزي: «فيها ثلاثة أقوال:
أحدها: أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن سرّك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان بن فلان يؤمر فيه باتباعك. قاله الجمهور.

والثاني: أنهم أرادوا براءة من النار أن لا يعذبوا بها، قاله أبو صالح.
والثالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوبا إذا أصبح في رقعة، فما بالنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفراء». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٦٦).

وقال ابن تيمية: «من أراد أن يعرف ما أخبرت به الرسل بعقله، كان شبيهـاً بمن قال الله تعالى فيه: {وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته}، وقال: {بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة}». «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٣٢٧).

وقال السعدي: «{يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة} نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا». «تفسير السعدي» (ص٨٩٨).

(كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره):
قال الطبري: «(كلا إنه تذكرة) ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه، ذكّرهم به». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٤).

وقال ابن تيمية: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله. كما قال الله تعالى: {كلا إنه تذكرة. فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله} الآية. وقال تعالى: {إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا. وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما}، وقال: {إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٥٩).

(وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة):

قال القرطبي: «(هو أهل التقوى وأهل المغفرة): في الترمذي وسنن ابن ماجه عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) قال: قال الله تبارك وتعالى: (أنا أهل أن أتّقى، فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له). لفظ الترمذي، وقال فيه: حديث حسن غريب.

وفي بعض التفسير: هو أهل المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار، وأهل المغفرة أيضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٠).

وقال ابن تيمية: «{هو أهل التقوى وأهل المغفرة} فهو سبحانه أهل التقوى، ولم يقل سبحانه: أهل للتقوى. بل قال: {أهل التقوى}، فهو وحده أهل أن يتّقى فيعبد دون ما سواه، ولا يستحق غيره أن يتّقى، كما قال: {وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون}، وقال: {ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون}.

وهو أهل المغفرة، ولا يغفر الذنوب غيره، كما قال تعالى: {ومن يغفر الذنوب إلا الله}، وفي غير حديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٩٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المدثر ٣٨-٥٦

١- ذنوبك ومعاصيك وسيئاتك قد تحبسك يوم القيامة عن دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، وقد تقودك إلى النيران -والعياذ بالله-، فاحرص على السلامة من الذنوب حتى تكون من أصحاب اليمين، فتتنعّم في جنات النعيم (كلّ نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين).

٢- احذر من ترك الصلاة، أو التهاون بأدائها في وقتها، أو الإخلال بشروطها وأركانها وواجباتها، حتى تنجو من النار يوم القيامة (ما سلككم في سقر * قالوا لم نكُ من المصلّين).

٣- احرص على إطعام المساكين والإحسان إليهم حتى يلين قلبك، وتنجو من عذاب النار (ولم نكُ نُطعم المسكين).

٤- كثُر الخائضون في مسائل الدين بالباطل والسخرية والاستهزاء والشبهات، وخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي، فاحذر أن تخوض معهم، أو تستمع إلى خوضهم وباطلهم، حتى لا تخسر إيمانك الذي هو أغلى ما تملك، وقُل: اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورًا، أو أغشى فجورًا (وكنّا نخوض مع الخائضين).

٥- إذا نزل بك الموت فجأة، فهل أنت مستعدٌّ لما بعده؟ وهل أعمالك ستبيّض وجهك غدا إذا وقفت بين يدي الله؟ (وكنا نكذّب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين).

٦- إنما تنفع الشفاعة يوم القيامة مَن سلم من الشرك والكفر، فاحرص على السلامة من الشرك والكفر، بل ومن كل وسيلة قد توصل إلى الشرك والكفر، بل ومن كل ما فيه شبهة شرك أو كفر، وادعُ الله دومًا: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم، واعلم أن أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه (فما تنفعهم شفاعة الشافعين).

٧- أقبل على كتاب الله قراءة وتعلّما وتدبّرًا قاصدًا زيادة إيمانك، وتليين قلبك، فإن ذلك علامة التوفيق والإيمان، واحذر من الإعراض عنه، فذلك علامة الشقاء والخسران، واعلم أن دلائل القرآن على مسائل الإيمان كثيرة ومتنوّعة، مَن طلبها بصدق وتجرّد وجدها، وإنما يعمى عنها مَن

أعرض واستكبر، أو مَن غلب عليه الهوى (فما لهم عن التذكرة مُعرضين * كأنهم حمُر مستنفرة * فرّت من قسورة)، (كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره).

٨- أكثر مِن تذكّر اليوم الآخر، وما فيه من أهوال عظيمة، ووقوف للحساب بين يدي الجبار، ثم جنة أو نار، ليكون ذلك سببا في انفتاح بصيرتك، وسلامتك من الهوى والعناد، والإعراض والاستكبار (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صُحفا منشّرة * كلا بل لا يخافون الآخرة).

٩- الله سبحانه هو الذي خلقك وأوجدك، وأعدّك بالآلات والأعضاء، وأمدّك بالنعم والآلاء، وسخّر لك ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، فهو أهل لأن يُتّقى وحده، لأنه خلق وحده، ورزق وحده، ودبّر وحده، ومن اتّقاه وحده فهو أهل لأن يُغفر له (وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المدثر

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة المدثر.

أولا: معظم سورة المدثر عبارة عن آيات قصيرة، والوقف على رؤوس الآيات سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما عدا رؤوس الآيات فإن الوقف فيها في مواضع محدودة من سورة المدثر.

أولها: **الوقف على (كلا)**: جاءت (كلا) في سورة المدثر في فاتحة أربع آيات، والقاعدة في (كلا):

أنها إن جاءت بمعنى النفي للكلام الذي قبلها صحّ الوقف عليها.

وإن جاءت بمعنى (ألا) الاستفتاحية التي تكون فاتحة للجملة التي بعدها لم يصحّ الوقف عليها.

وتختلف وجهة نظر العلماء في بعض المواضع التي جاءت فيها (كلا)، هل هي للنفي والزجر أو هي للاستفتاح؟ فمن رجّح أنها للنفي والزجر صحّح الوقف عليها، ومن رجّح أنها للاستفتاح لم يصحّح الوقف عليها.

وبعض المواضع ظاهرة في المراد منها أنها إما للنفي والزجر أو أنها للاستفتاح.

وبعض المواضع مشكلة، حتى إن بعض العلماء أجاز الوجهين فيها، فأجاز أن تكون نافية زاجرة، وأن تكون استفتاحية.

ومن تأمل هذه المواضع تبين له أن السياق يوضح المراد بـ(كلا)، هل هي نافية زاجرة أو هي استفتاحية؟ دَعُونا نطبّق هذا في المواضع التي جاءت فيها (كلا) في سورة المدثر.

أول هذه المواضع: في الآية السادسة عشرة: (كلا إنه كان لآياتنا عنيدا)، سُبقت بقوله: (ثم يطمع أن أزيد)، (كلا)، فالظاهر من السياق أنها نافية، أي: ليس الأمر كما طمع، ولن أزيده. ثم قال: (إنه كان لآياتنا عنيدا) جملة مستفتَحة بـ(إنّ)، فدل على أن الوقف على (كلا) هنا صحيح، وأنّ (كلا) هنا بمعنى النفي والزجر، وهو الذي ذهب إليه عامة علماء الوقف والابتداء.

الموضع الثاني: في الآية الثانية والثلاثين: (كلا والقمر)، قال قبلها: (وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر)، (كلا والقمر)، الظاهر من السياق أن (كلا) هنا لا تحتمل أن تكون نافية زاجرة، إلا إذا أعدنا الكلام إلى ما ورد في بداية الآية، أي: ليس الأمر كما ظن المشركون من أن التسعة عشر ضعاف

يستطيعون أن يغلبوهم، لكن هذا بعيد عن السياق، لأن هذا الاحتمال بعيد عن تصوّر القارئ والمستمع، فالأقرب أن تكون (كلا) هنا بمعنى: (ألَا)، أو (حقًّا) والقمر، فهي استفتاحية، فلا يصح الوقف عليها، كما ذهب إليه عامة علماء الوقف والابتداء.

الموضع الثالث: في الآية الثالثة والخمسين في قوله تعالى: (كلا بل لا يخافون الآخرة)، بعد قوله: (بل يريد كل امرئ منهم أن يُؤتى صحفا منشَّرة)، (كلا) أي: لن يؤتوا صحفا منشَّرة، فظاهر من السياق أنها نافية زاجرة، فيصحّ الوقف هنا، كما نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء.

الموضع الرابع: في الآية الرابعة والخمسين في قوله: (كلا إنه تذكرة)، بعد أن قال: (كلا بل لا يخافون الآخرة)، (كلا إنه تذكرة)، هل تحتمل (كلا) هنا أن تكون نافية؟ تنفي ماذا؟ قال: (بل لا يخافون الآخرة)، (كلا) أي: كلا يخافون الآخرة؟ هذا غير محتمل، لذلك لم يصحّح أحد من علماء الوقف والابتداء الوقف على (كلا) هنا، وإنما جعلوها استفتاحية بمعنى (ألَا) إنه تذكرة.

بقي الكلام عن الوقف والابتداء في آيتين:

الآية الطويلة، وهي قوله تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة).

والآية الأخيرة، وهي قوله: (وما يذكرون إلا أن يشاء الله).

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن جملة النفي التي جاء بعدها استثناء قد انتهت هنا، لم نجعل أصحاب النار إلا ملائكة، يعني: أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه لم يجعلهم بشرا ولا جنا ولا غير ذلك. ثم جاءت بعدها جملة نفي أخرى بعدها استثناء كذلك، في قوله: (وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا)، وكل جملة من هاتين الجملتين قائمة بنفسها، فيصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنة للذين كفروا)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، لماذا؟ لقوله بعدها: (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب)، واللام هنا لام (كي) التعليلية، أي لم نجعل عدَّتهم إلا فتنة للذين كفروا لكي يستيقن الذين أوتوا الكتاب، ولا يُوقف قبل التعليل؛ لأن التعليل من تمام الكلام.

قال: (ليستيقنَ الذين أوتوا الكتاب)، وأكمل التعليل: (ويزدادَ الذين آمنوا إيمانا)، جملة منصوبة معطوفة على (ليستيقنَ)، أتمّ التعليل فقال: (ولا يرتابَ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون)، جملة منصوبة معطوفة

على (يستيقنَ)، وأتمّ التعليل فقال: (وليقولَ الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا)، جملة معطوفة منصوبة إكمالا للتعليل، فلا وقف بين هذه الجمل كلها.

ولا وقف إلا على قوله: (ماذا أراد الله بهذا مثلا) هنا انتهت جمل التعليل، وقد نصّ على الوقف هنا عامة علماء الوقف والابتداء، لأنه جاء بعدها: (كذلك يُضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء)، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى (يُضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء)، فهي جملة قائمة بنفسها، فصحّ الوقف قبلها والابتداء بها، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (كذلك يُضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة نفي بعدها في قوله: (وما يعلم جنود ربك إلا هو)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وما يعلم جنود ربك إلا هو)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة النفي مع الاستثناء الذي جاء بعدها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة نفي أخرى مع استثنائها في قوله: (وما هي إلا ذكرى للبشر)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

بقي الكلام عن الوقف في الآية الأخيرة من سورة المدثر في قوله: (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة النفي مع الاستثناء الذي جاء بعدها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (هو أهل التقوى وأهل المغفرة)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة المدثر. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المزمل ١-٩ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة المزمل: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان الأسباب المعينة على القيام بأعباء الدعوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾

يا أيها المُتَلَفِّف بثيابه (يعني: النبي صلى الله عليه وسلم).

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾

صلِّ بالليل إلا قليلًا منه.

﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣﴾

صلِّ نصفه إن شئت، أو صلِّ أقلّ من النصف قليلًا حتَّى تَصِلَ للثلث.

﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾

أو زد عليه حتَّى تبلغ الثلثين، وبيّن القرآن إذا قرأته وتمهّل في قراءته.

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾

إنا سنلقي عليك -أيها الرسول- القرآن، وهو قول ثقيل؛ لما فيه من الفرائض والحدود والأحكام والآداب وغيرها.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾

إن ساعات الليل هي أشد موافقة للقلب مع القراءة وأصوب قولًا.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧﴾

إن لك في النهار تصرّفًا في أعمالك، فتنشغل بها عن قراءة القرآن، فصلِّ بالليل.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾

واذكر الله بأنواع الذكر، وانقطع إليه سبحانه انقطاعًا بإخلاص العبادة له.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾

رب المشرق ورب المغرب، لا معبود بحق إلا هو، فاتخذه وكيلًا تعتمد عليه في أمورك كلها.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• أهمية قيام الليل وتلاوة القرآن وذكر الله والصبر للداعية إلى الله.

• فراغ القلب في الليل له أثر في الحفظ والفهم.

• تحمّل التكاليف يقتضي تربية صارمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المزمل ١-٩

الكلمة	المعنى
المُزّمّل	المتغطّي بثيابه
قُمِ الليل	قُم للصلاة في الليل
ورتِّل القرآن	واقرأ القرآن بتمَهُّل
سنُلقِي عليك	سنُنزل عليك
قَولًا ثقيلًا	قولاً عظيمًا مشتملا على الأوامر والنواهي
ناشِئةَ الليل	العبادةَ التي تنشأ في جوف الليل بعد النوم
أشدُّ وطْأً	أشدُّ تأثيرا في القلب
وأقومُ قيلًا	وأبينُ قولًا
سَبْحًا طويلًا	تقلُّبًا في مصالحك واشتغالا بأعباء الرسالة
وتبتّلْ إليه تَبْتِيلًا	وانقطع إليه انقطاعا تامًّا في عبادتك
فاتّخِذْهُ وَكيلًا	فاعتمد عليه في جميع أمورك

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المزمل ١-٩

(يا أيها المزمل):

قال البغوي: «{يا أيها المزمل} أي: الملتفف بثوبه. وأصله: المتزمل، أدغمت التاء في الزاي، ومثله: المدثر، أي: المتدثر، أدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل وتدثر بثوبه: إذا تغطى به.

وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصلّ.

قال العلماء: كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٤٦).

وقال ابن تيمية: «في باب العبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم علينا أن نفرّق بين مخاطبته وبين الإخبار عنه، فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى، حيث قال: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا}، فلا نقول: يا محمد، يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضـًا، بل نقول: يا رسول الله، يا نبي الله.

والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم، فقال: {يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة}، {يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك}، {يا موسى إني أنا ربك}، {يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ}، ولما خاطبه صلى الله عليه وسلم قال: {يا أيها النبي}، {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر}، {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}، {يا أيها المزمل}، {يا أيها المدثر}، فنحن أحقّ أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كان في مقام الإخبار عنه قلنا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وقلنا: محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه لما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين}، وقال: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا}، وقال: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل}، وقال: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزّل على محمد}. فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل». «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٩٧).

«وقال السهيلي: في ندائه بالمزمل فائدتان:

إحداهما: الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلي: (قم أبا تراب).

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطَب وكلُّ من اتّصف بتلك الصفة». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٢٢).

وقال ابن جُزي: «وفي تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف، والتزمل: الالتفاف في الثياب بضمّ وتشمير، هذا قول عائشة والجمهور.

والثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أن معناه المتزمل للنبوّة، أي: المتشمّر المجدّ في أمرها.

والأول هو الصحيح». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٢٢).

وقال ابن كثير: «يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل، وهو: التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون}، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبا عليه وحده، كما قال تعالى: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٩).

(قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه):

قال القرطبي: «واختلف: هل كان قيامه فرضا وحتما، أو كان ندبا وحضا؟ والدلائل تقوّي أن قيامه كان حتما وفرضا، وذلك أن الندب والحضّ لا يقع على بعض الليل دون بعض، لأن قيامه ليس مخصوصا به

وقتا دون وقت. وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتي.

واختلف أيضا: هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقوال:

الأول: قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب إليه خاصة.

الثاني: قول ابن عباس، قال: كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله.

الثالث: قول عائشة وابن عباس أيضا وهو الصحيح، كما في صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله ... الحديث، وفيه: فقلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: ألست تقرأ: (يا أيها المزمل)؟ قلت: بلى! قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا، وأمسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٤).

وقال القرطبي: «(إلا قليلا) استثناء من الليل، أي صل الليل كله إلا يسيرا منه، لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد. والقليل من الشيء ما دون النصف، فحكي عن وهب بن منبه أنه قال: القليل ما دون المعشار والسدس. وقال الكلبي ومقاتل: الثلث...

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر). ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا، وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مضى شطر الليل - أو ثلثاه- ينزل الله ...) الحديث...

فكانوا يستحبون صلاة آخر الليل على أوله...

وفي الموطأ وغيره من حديث ابن عباس: (بتّ عند خالتي ميمونة، حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام إلى شن معلق فتوضأ وضوءا خفيفا). وذكر

الحديث». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٥).

وقال ابن تيمية: «وإذا كان الله عز وجل قد سمى الصلاة تسبيحا فقد دل ذلك على وجوب التسبيح.
كما أنه لما سماها قياما في قوله تعالى: {قم الليل إلا قليلا} دل على وجوب القيام.
وكذلك لما سماها قرآنا في قوله تعالى: {وقرآن الفجر} دل على وجوب القرآن فيها.
ولما سماها ركوعا وسجودا في مواضع دل على وجوب الركوع والسجود فيها.
وذلك: أن تسميتها بهذه الأفعال دليل على أن هذه الأفعال لازمة لها. فإذا وجدت هذه الأفعال. فتكون من الأبعاض اللازمة، كما أنهم يسمون الإنسان بأبعاضه اللازمة له، فيسمونه رقبة ورأسا ووجها، ونحو ذلك». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٥١).

وقال ابن تيمية: «قوله: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون} هو مفسر في سورة المزمل بقوله: {قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا}، فهذا المستثنى من الأمر هو القليل المذكور في تلك السورة، وهو قليل بالنسبة إلى مجموع الليل والنهار، فإنهم إذا هجعوا ثلثه أو نصفه أو ثلثاه فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يهجعوه من الليل والنهار، وسواء ناموا بالنهار أو لم يناموا...
وقال تعالى: {إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون. تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}. وفي حديث معاذ الذي قال فيه: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: (لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون} حتى بلغ {يعملون}...
وقال تعالى: {أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب}، وقال تعالى: {من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات

الله آناء الليل وهم يسجدون}، وقال تعالى بعد قوله: {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} وقال في سورة المزمل: {قم الليل إلا قليلا} إلى قوله: {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا}... وقال تعالى: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما}، وقوله تعالى: {إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا. فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا. واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا. ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا}». «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٨٥-٨٧).

(ورتل القرآن ترتيلا):

قال ابن كثير: «{ورتل القرآن ترتيلا} أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه:

قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها.

وفي صحيح البخاري، عن أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كانت مدا، ثم قرأ: {بسم الله الرحمن الرحيم} يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

وقال ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة: أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان يقطع قراءته آية آية، {بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين} رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

... عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها)...

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة، كما جاء في الحديث: (زيّنوا القرآن بأصواتكم)، و (ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن)، و (لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود)، يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرا.

وعن ابن مسعود أنه قال: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذّوه هذّ الشعر، قِفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب،

ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٥٠).

(إنا سنُلقي عليك قولا ثقيلا):

قال ابن جُزي: «واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلا لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصّد عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به، وأوحي إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترضّ فخذ زيد، والثقل على هذا حقيقة.

الثاني: أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده.

الثالث: أنه ثقيل في الميزان.

الرابع: أنه كلام له وزن ورجحان.

الخامس: أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٢٣).

وقال ابن القيم: «كان مالك رحمه الله يقول: من سئل عن مسألة فينبغي له من قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب فيها.

وسئل عن مسألة، فقال: لا أدري. فقيل له: إنها مسألة خفيفة سهلة. فغضب، وقال: ليس في العلم شيء خفيف. أما سمعت قول الله عز وجل: {إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا}؟ فالعلم كله ثقيل، وخاصة ما يُسأل عنه يوم القيامة». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٥/ ١٠٥).

(إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً وأقوم قيلا):

قال ابن الجوزي: «قوله عز وجل: (إن ناشئة الليل) قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام الليل بلسان الحبشة. وهل هي في وقت مخصوص من الليل، أم في جميعه؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة. وإلى هذا ذهب

اللغويون...
والثاني: أنها في وقت مخصوص من الليل. وفيه خمسة أقوال:
أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك.
والثاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة، وابن الأعرابي. وقد نصّ عليه الإمام أحمد في رواية المروذي.
والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز.
والرابع: أنها بدء الليل، قاله عطاء، وعكرمة.
والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٥٤).

وقال ابن تيمية: «وناشئة الليل في أصح القولين إنما تكون بعد النوم، يقال: نشأ إذا قام بعد النوم؛ فإذا قام بعد النوم كانت مواطأة قلبه للسانه أشد؛ لعدم ما يشغل القلب، وزوال أثر حركة النهار بالنوم». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٩٥).

وقال ابن جُزي: «(هِيَ أَشَدُّ وَطْأً) يحتمل معنيين:
أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اشدد وطأتك على مضر)، والأثقل أعظم أجرا، فالمعنى: تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر.
الثاني: أشدّ ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى: (وأقوم قيلا)، وقرأ أبو عمرو وابن عامر (وطاء) بكسر الواو على وزن "فعال" ومعناه: موافقةً. أي: يوافق القلب اللسان بحضور الذهن». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٢٤).

وقال السعدي: «{إن ناشئة الليل} أي: الصلاة فيه بعد النوم {هي أشد وطئا وأقوم قيلا} أي: أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن، يتواطأ على القرآن: القلب واللسان، وتقلّ الشواغل، ويَفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود، ولهذا قال: {إن لك في النهار سبحا طويلا} أي:

ترددا على حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام». «تفسير السعدي» (ص٨٩٣).

(إن لك في النهار سَبحا طويلا):

قال ابن جُزي: «(إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا) السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك، وتفرّغ بالليل لعبادة ربك. وقيل: المعنى: إن فاتك شيء من صلاة الليل فأدّه بالنهار، فإنه طويل يسع ذلك». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٢٤).

(واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلا):

قال الطبري: «(وتبتل إليه تبتيلا) يقول: وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره، وهو من قولهم: تبتلت هذا الأمر؛ ومنه قيل لأم عيسى ابن مريم: البتول، لانقطاعها إلى الله، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتّل؛ ومنه الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التبتل -يعني: الانقطاع للعبادة وترك التزوج-». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٨٧).

وقال القرطبي: «صار التبتل مأمورا به في القرآن، منهيا عنه في السنة، ومتعلق الأمر غير متعلق النهي، فلا يتناقضان، وإنما بُعث صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ما نزل إليهم.

فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين).

والتبتل المنهي عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح، والترهب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٤).

وقال ابن القيم: «التبتل يجمع أمرين: اتصالا وانفصالا، لا يصح إلا بهما:

فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه، وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله خوفا منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة وفكرا فيه بحيث يشغل قلبه عن الله تعالى.

والاتصال لا يصح إلا بعد هذا الانفصال، وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له: حبا وخوفا ورجاء وإنابة وتوكلا». «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥١).

(ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتّخذه وكيلا):

قال ابن تيمية: «قال تعالى: (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا. رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا)، وقال تعالى: (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا)، فأمر أن يتخذه وكيلا، ونهى أن يتخذ من دونه وكيلا؛ لأن المخلوق لا يستقلّ بجميع حاجات العبد، والوكالة الجائزة أن يوكل الإنسانَ في فعل يقدر عليه، فيحصل للموكِّل بذلك بعض مطلوبه، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله، وذلك الذي يوكله لا يفعل شيئا إلا بمشيئة الله عز وجل وقدرته، فليس له أن يتوكل عليه وإن وكّله، بل يعتمد على الله في تيسير ما وكّله فيه». «جامع الرسائل لابن تيمية» (١/ ٨٩).

وقال ابن القيم: «فأما التوكل والعبادة، فقد جمع سبحانه بينهما في سبعة مواضع من كتابه:

أحدها: في سورة أم القرآن، فقال: {إياك نعبد وإياك نستعين}.

الثاني: قوله حكاية عن نبيه شعيب أنه قال: {وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب}.

الثالث: قوله حكاية عن أوليائه وعباده المؤمنين أنهم قالوا: {ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير}.

الرابع: قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا. رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا}.

الخامس: قوله تعالى: {ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون}.

السادس: {فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير}.

السابع: قوله: {قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب}.

فهذه السبع مواضع جمعت الأصلين: التوكل وهو الوسيلة، والإنابة وهي الغاية، فإن العبد لا بد له من غاية مطلوبة، ووسيلة موصلة إلى تلك الغاية. فأشرف غاياته التي لا غاية له أجلّ منها: عبادة ربه والإنابة إليه، وأعظم وسائله التي لا وسيلة له غيرها البتة: التوكل على الله والاستعانة به، ولا سبيل له إلى هذه الغاية إلا بهذه الوسيلة. فهذه أشرف الغايات، وتلك أشرف الوسائل». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/ ٥٥٧).

وقال ابن القيم: «تأمّل ورودهما مفردين في سورة المزمل -يعني: المشرق والمغرب- لمّا تقدمهما ذكر الليل والنهار، فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل، ثم أخبره أن له في النهار سبحا طويلا، فلما تقدم ذكر الليل وما أُمر به فيه، وذكر النهار وما يكون منه فيه، عقّب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار، فكان ورودهما مفردَين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع؛ لأن ظهور الليل والنهار بهما واحد، فالنهار أبدا يظهر من المشرق، والليل أبدا يظهر من المغرب». «بدائع الفوائد» (١/ ٢١٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المزمل ١-٩

١- احرص على القيام بين يدي الله في الثلث الأخير من الليل، وعوّد نفسك على طول القيام بين يدي الله في جوف الليل، ولو في بعض الليالي، فبذلك تفتح قلبك لفهم القرآن، وتلمس أثره على صلاح قلبك، وطمأنينة نفسك، وراحة بالك، مع ما تحصّله من الأجر الوفير، ورضا الرحمن، واعلم أن قيامك بين يدي الله في جوف الليل هو البرهان الحقيقي لعلوّ منزلتك في الإيمان، وصدق محبّتك للرحمن، وسموّ همّتك للفوز بالجنان، وهو وسيلتك الكبرى للنجاح في الدعوة والإصلاح (يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)، (إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا * إن لك في النهار سبحا طويلا).

٢- اقرأ القرآن بتمهّل وتؤدة، وحسّن صوتك به ما استطعت دون تكلّف، لتتأثّر به في نفسك، وتؤثّر به على مستمعه (ورتّل القرآن ترتيلا).

٣- القرآن ثقيل بإعجازه، ثقيل بوعده ووعيده، ثقيل بأمره ونهيه، ثم هو ثقيل في الميزان يوم القيامة، ولا يوفّق لحُسن فهمه، وصدق العمل به إلا أصحاب الهمم العالية، فاستعن بالله لتكون منهم (إنا سنُلقي عليك قولا ثقيلا).

٤- إذا شرعت في عبادة فانقطع عن الخلائق كليا، واتّصل بالله وحده، لتحقق العبودية الحقة لله، وتنعم بلذة الخلوة بربك (واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلا).

٥- توكّل على الله في شؤونك كلها، دينية كانت أو دنيوية، ولو كانت أسباب تحقيقها ظاهرة بين يديك، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتّخذه وكيلا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المزمل ١٠-٢٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾

واصبر على ما يقوله المكذبون من الاستهزاء والسبّ، واهجرهم هجرًا لا أذيّة فيه.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾

ولا تهتمّ بشأن المكذبين أصحاب التمتع بملذات الدنيا، واتركني وإياهم، وانتظرهم قليلًا حتَّى يأتيهم أجلهم.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢﴾

إن لدينا في الآخرة قيودًا ثقيلة، ونارًا مُسْتَعِرة.

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾

وطعامًا تغصّ به الحلوق لشدّة مرارته، وعذابًا موجعًا؛ زيادة على ما سبق.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤﴾

ذلك العذاب حاصل للمكذبين يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملًا سائلًا متناثرًا من شدّة هوله.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥﴾

إنا بعثنا إليكم رسولًا شاهدًا على أعمالكم يوم القيامة مثلما أرسلنا إلى فرعون رسولًا هو موسى عليه السلام.

﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾

فعصى فرعون الرسولَ المرسل إليه من ربه فعاقبناه عقابًا شديدًا في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بعذاب النار، فلا تعصوا أنتم رسولكم فيصيبكم ما أصابه.

﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾

فكيف تمنعون أنفسكم وتَقُونها -إن كفرتم بالله، وكذبتم رسوله- يومًا شديدًا طويلًا، يشيب رأس الأولاد الصغار من شدّة هوله وطوله.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾

السماء متشققة من هوله، كان وعد الله مفعولًا لا محالة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾

إنّ هذه الموعظة -المشتملة على بيان ما في يوم القيامة من هول وشدّة- تذكرة، ينتفع بها المؤمنون، فمن شاء اتخاذ طريق موصل إلى ربه اتخذه.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾

إن ربك -أيها الرسول- يعلم أنك تصلّي أقلّ من ثلثي الليل تارة، وتقوم نصفه تارة، وثلثه تارة، وتقوم طائفة من المؤمنين معك، والله يقدر الليل والنهار، ويحصي ساعاتهما، علم سبحانه أنكم لا تقدرون على إحصاء وضبط ساعاته، فيشقّ عليكم قيام أكثره تحرّيًا للمطلوب، فلذلك تاب عليكم، فصلّوا من الليل ما تيسّر، علم الله أن سيكون منكم -أيها المؤمنون- مرضى أجهدهم المرض، وآخرون يسافرون يطلبون رزق الله، وآخرون يقاتلون الكفار ابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمة الله هي العليا، فهؤلاء يشقّ عليهم قيام الليل، فصلّوا ما تيسر لكم من الليل، وائتوا بالصلاة المفروضة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وما تقدّموا لأنفسكم من أيّ خير، تجدوه هو خيرًا وأعظم ثوابًا، واطلبوا المغفرة من الله، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الترف والتوسع في التنعم يصدّ عن سبيل الله.

• المشقة تجلب التيسير.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المزمل ١٠-٢٠

الكلمة	المعنى
واهْجُرهُم هجرًا جميلا	واعتزِلهُم وأعرِض عنهم بدون أذيّة ولا انتقام
وذَرنِي والمكذّبين	واترُكني والمكذّبين فسأكفيكهُم وأنتقمُ منهم
أولي النَّعمة	أصحابَ التنعّم والترَف
ومهّلهُم قليلًا	وأخِّرْهُم زمَنًا قليلا فسيأتيهم العذاب
أنكالًا	قُيودًا ثقيلة
وجَحيمًا	ونارًا مستَعِرة
وطعامًا ذا غُصَّة	وطعامًا ينشبُ في الحلق ولا يُستساغُ لكراهته
ترجُف الأرض	تضطربُ وتتزلزل
كثيبًا	رمْلًا مجتمِعًا
مهيلًا	سائلا متناثرًا
أَخْذًا وَبِيلًا	شديدا
فكيف تتّقون	فكيف تقُون أنفسَكم
يجعلُ الوِلدان شِيبًا	يشيب الأولاد الصغار من هوله وشدّته
السماء مُنفطِرُ به	السماء مُتشقّقّةٌ من هول يوم القيامة
كان وعدُه مفعولًا	كان وعدُ الله واقعًا لا محالة
سبيلًا	طريقا موصلًا إلى رضوان الله
تقوم	تصلّي من الليل
أدنى	أقلّ
والله يُقدّر الليلَ والنهار	والله يعلم مقاديرهما، وما يمضي ويبقى منهما
لن تُحصُوه	لن تُطيقوا قيامه

الكلمة	المعنى
فتابَ عليكم	فخفّف عنكم
فاقرءُوا ما تيسّر من القرآن	فصلّوا ما تيسّر من صلاة الليل
يَضرِبون في الأرض	يُسافرون للتجارة والعمل
يَبتغون من فضلِ الله	يطلبون من رزق الله الحلال
وأقرِضُوا الله	وأنفقوا في وجوه البر والإحسان
قرضًا حسنًا	صدقةً بإخلاص من كسب طيّب وبطِيب نفس
وأعظمَ أجرًا	وأعظم ثوابًا ممّا قدّمتم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المزمل ١٠-٢٠

(واصبر على ما يقولون واهجُرهم هجرا جميلا):

قال ابن تيمية: «هجرة الفجار نوعان: هجرة ترك وهجرة تعزير.

أما الأولى فقد دلّ عليها قوله تعالى: {واهجُرهم هجرا جميلا}، وقوله: {وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره}. ومن هذا الباب هجرة المسلم من دار الحرب. فالمقصود بهذا أن يهجر المسلم السيئات، ويهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة.

وأما هجر التعزير فمثل: هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعبا وأصحابه الثلاثة الذين خلّفوا، وهجر عمر والمسلمين لصبيغ، فهذا من نوع العقوبات. فإذا كان يحصل بهذا الهجر حصول معروف أو اندفاع منكر فهي مشروعة، وإن كان يحصل بها من الفساد ما يزيد على فساد الذنب فليست مشروعة». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢١٦).

وقال السعدي: «أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صادّ، ولا يرده رادّ، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة، الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدالهم بالتي هي أحسن». «تفسير السعدي» (ص٨٩٣).

(إنّ لدينا أنكالا وجحيما):

«قال الشعبي: أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله! ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلت بهم». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٦).

(وطعاما ذا غصّة وعذابا أليما):

«قال خليد بن حسان: أمسى الحسن عندنا صائما، فأتيته بطعام، فعرضت له هذه الآية: (إنّ لدينا أنكالا وجحيما. وطعاما ذا غصّة)، فقال: ارفع طعامك. فلما كانت الثانية أتيته بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعوه. ومثله في الثالثة، فانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكّاء فحدّثهم، فجاءوه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٧).

(يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا):

«قال الكلبي -في قول الله تعالى: (وكانت الجبال كثيبا مهيلا)- هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٦).

وقال ابن كثير: «{وكانت الجبال كثيبا مهيلا} أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض (قاعا صفصفا. لا ترى فيها عوجا) أي: واديا، (ولا أمتا)، أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض، ولا شيء يرتفع». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٥٦).

(إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا):

قال ابن تيمية: «وأما لفظ "الإرسال" فقال في الإرسال الكوني: {ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزا}، وقال تعالى: {وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته}.

وقال في الديني: {إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا}، وقال تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه}، وقال تعالى: {إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا}، وقال تعالى: {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٦٩).

وقال ابن تيمية: «الله شرع من عذاب الكفار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين في الجهاد ما لم يكن قبل ذلك، حتى إنه قيل: لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم، كما قال تعالى: (ولقد آتينا موسى

الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون). فإنه قبل ذلك قد أهلك قوم فرعون وشعيبٍ ولوطٍ وعادٍ وثمود وغيرهم، ولم يُهلك الكفار بجهاد المؤمنين، ولما كان موسى أفضل من هؤلاء وكذلك محمد، وهما الرسولان المبعوثان بالكتابين العظيمين، كما قال تعالى: (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا)، وقال تعالى: (قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل)، إلى قوله: (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه). وأمر الله هذين الرسولين بالجهاد على الدين، وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل، فلهذا كان الجهاد في أمته أعظم منه في غيرهم». «جامع الرسائل لابن تيمية» (٢/ ٣٣٦).

وقال ابن تيمية: «الأنبياء يشهدون على أممهم، كما قال المسيح عليه السلام: {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم}، وقال تعالى: {إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا}، وقال تعالى: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}، وقال تعالى: {ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء}». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٣٧٧).

(فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا):

قال القرطبي: «قال المهدوي: ودخلت الألف واللام في الرسول لتقدم ذكره، ولذلك اختير في أول الكتب: سلام عليكم، وفي آخرها: السلام عليكم». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٨).

(فكيف تتّقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شِيبا):

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله -أو قال: ينزل الله- مطرا كأنه الطل أو الظل -نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، (وقفوهم إنهم مسئولون)، قال: ثم يقال: أخرجوا بعث

النار، فيقال: مِن كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق)». «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٥٨).

وقال البغوي: «{فكيف تتقون إن كفرتم} أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا، يعني: لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟

وقيل: معناه: كيف تتقون العذاب يوم القيامة، وبأي شيء تتحصّنون منه إذا كفرتم؟». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٦).

وقال القرطبي: «والولدان: الصبيان. وقال السدي: هم أولاد الزنا. وقيل: أولاد المشركين. والعموم أصح، أي يشيب فيه الصغير من غير كبَر. وذلك حين يقال: (يا آدم قم فابعث بعث النار)... قال القشيري: ثم إن أهل الجنة يغيّر الله أحوالهم وأوصافهم على ما يريد.

وقيل: هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم، وهو مجاز، لأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان، ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة.

ويقال: هذا وقت الفزع وقبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق، فالله أعلم». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠).

(السماء منفطر به كان وعده مفعولا):

قال ابن الجوزي: «(السماء منفطر به) قال الفراء: السماء تذكّر وتؤنّث. وهي هاهنا في وجه التذكير. قال الشاعر: فلو رفع السماء إليه قوما ... لحقنا بالسماء مع السحاب

قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين:

أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف.

والثاني: على قولهم: امرأة مرضع، على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انفطار، كما أن المرضع ذات الرضاع». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٥٦).

وقال ابن كثير: «{السماء منفطر به} قال الحسن، وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله. ومنهم من يعيد الضمير على الله عز وجل. وروي عن ابن عباس ومجاهد، وليس بقوي؛ لأنه لم يجر له ذكر هاهنا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٥٧).

(إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك):

قال الطبري: «اختلفت القراء في قراءة ذلك:

فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بالخفض: (ونصفِه وثلثِه)، بمعنى: وأدنى من نصفه وثلثه، إنكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل، فقوموا أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه.

وقرأ ذلك بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة بالنصب، -(ونصفَه وثلثَه)- بمعنى: أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٩٧).

وقال ابن تيمية: «العبادة إذا سميت بما يفعل فيها دل على أنه واجب فيها، كقوله: {وقرآن الفجر}، وقوله: {قم الليل}، و {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل}، {واركعي مع الراكعين}، {وكن من الساجدين}، {وسبح بحمد ربك}. ويقال: صليت ركعتين وسجدتين». «شرح عمدة الفقه» (٥/ ٢٧١).

وقال ابن تيمية: «روي عن عبيدة السلماني: أن قيام الليل واجب لم ينسخ ولو كحلب شاة. وهذا إذا أريد به ما يتناول صلاة الوتر فهو قول كثير من العلماء. والدليل عليه: أن في حديث ابن مسعود لما قال: (أوتروا يا أهل القرآن)، قال أعرابي: ما يقول رسول الله؟ فقال: إنها ليست لك ولا لأصحابك، فقد خاطب أهل القرآن من قيام الليل بما لم يخاطِب به غيرهم، وعلى هذا قوله: {فاقرءوا ما تيسر منه} فسّر بقراءته بالليل لئلا ينساه. وقال صلى الله عليه وسلم: (نظرت في سيئات أمتي، فوجدت فيها الرجل يؤتيه الله آية فينام عنها حتى ينساها)، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله): أي الصبح مع العشاء. فهذا يدل على

أنهما ليسا من قيام الليل، ولكن فاعلهما كمن قام الليل. قال تعالى: {إن المتقين في جنات وعيون. آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون} وقال: {الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار}». «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٨٤-٨٥).

وقال ابن عاشور: «وافتتاح الكلام بـ (إن ربك يعلم أنك تقوم) يشعر بالثناء عليه لوفائه بحق القيام الذي أمر به، وأنه كان ينبسط إليه ويهتم به، ثم لم يقتصر على القدر المعين فيه: النصف أو أنقص منه قليلا أو زائد عليه، بل أخذ بالأقصى، وذلك ما يقرب من ثلثي الليل، كما هو شأن أولي العزم». «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٢٨٠).

(والله يقدّر الليل والنهار):

قال ابن كثير: «{والله يقدّر الليل والنهار} أي: تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، أو هذا من هذا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٥٨).

(علم أن لن تُحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن):

«عن السدي، في قوله: (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) قال: مئة آية...

عن الحسن، قال: من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجه القرآن...

عن كعب، قال: من قرأ في ليلة مئة آية كتب من العابدين». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٩٨).

قال البغوي: «عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر)...

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ القرآن في كل شهر)، قال: قلت: إني

أجد قوة، قال: (فاقرأه في كل عشرين ليلة)، قال: قلت: إني أجد قوة، قال: (فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك)». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٧).

وقال ابن عطية: «قوله تعالى: (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) إباحة، هذا قول الجمهور.
وقال ابن جبير وجماعة: هو فرض لا بد منه، ولو خمسين آية.
وقال الحسن وابن سيرين: قيام الليل فرض، ولو قدر حلب شاة، إلا أن الحسن قال: من قرأ مائة آية لم يحاجه القرآن، واستحسن هذا جماعة من العلماء.
قال بعضهم: والركعتان بعد العتمة مع الوتر مدخلتان في حكم امتثال هذا الأمر، ومن زاد زاده الله ثوابا».
«تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٩٠).

وقال ابن كثير: «{فاقرءوا ما تيسر من القرآن} أي: من غير تحديد بوقت، أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر. وعبر عن الصلاة بالقراءة، كما قال في سورة سبحان: {ولا تجهر بصلاتك} أي: بقراءتك، {ولا تخافت بها}.
وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- بهذه الآية، وهي قوله: {فاقرءوا ما تيسر من القرآن} على أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن، ولو بآية أجزأه؛ واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين: (ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن).
وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت، وهو في الصحيحين أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)، وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج، غير تمام)».
«تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٥٨).

وقال ابن كثير: «عن أبي رجاء محمد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد

الصالح: {وإنه لذو علم لما علّمناه}، {وعُلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}. قلت: يا أبا سعيد، قال الله: {فاقرءوا ما تيسر من القرآن}؟ قال: نعم، ولو خمس آيات. وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري: أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل؛ ولهذا جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال: (ذاك رجل بال الشيطان في أذنه). فقيل: معناه: نام عن المكتوبة. وقيل: عن قيام الليل. وفي السنن: (أوتروا يا أهل القرآن). وفي الحديث الآخر: (من لم يوتر فليس منا)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٥٨-٢٥٩).

(علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسّر منه):

قال القرطبي: «سوّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٥).

وقال ابن تيمية: «قال تعالى لما أمرهم بقيام الليل: {علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله}، فجعل المسلمين أربعة أصناف: صنفا أهل القرآن والعلم والعبادة، وصنفا يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وصنفا يجاهدون في سبيل الله، والرابع المعذورون». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٣٣).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: {فاقرءوا ما تيسر منه}، فليس المراد به القراءة المفروضة في الصلاة، بدليل قوله بعد ذلك: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}، ولأن هذه السورة نزلت بمكة في أول الأمر قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وكان وجوب الفاتحة بالمدينة، وإنما المراد به -والله أعلم- التلاوة المأمور بها عوضا عن قيام الليل، فإن حافظ القرآن ينبغي له أن يتلوه، وإذا نسيه فإنه يجب عليه أن يتلوه بحيث لا ينساه. وسياق الآية يدل على هذا، حيث قال: {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه} إلى

قوله: {علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى} إلى قوله: {فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}.

وقد قيل: إن المراد به قراءة ما تيسر بعد الفاتحة، كما قال أبو سعيد: أمرنا نبينا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر. رواه أحمد». «شرح عمدة الفقه» (٢/ ٧٤٢).

وقال الشوكاني: «ذكر سبحانه ها هنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص، ورفْع وجوب قيام الليل، فرفعه عن جميع الأمة لأجل هذه الأعذار التي تنوب بعضهم». «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٣٨٦).

(وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا):

عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإنّ ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر». «صحيح البخاري» (٨/ ٩٣).

وقال الطبري: «يقول: وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هو خيرا لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابا: أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدمتموه». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٧٠٠).

وقال البغوي: «{وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا} تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم {وأعظم أجرا} من الذي أخرتم ولم تقدموه.

ونصب (خيرا وأعظم) على المفعول الثاني، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٨).

وقال السعدي: «{وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا} الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار يقابله أضعاف أضعاف الدنيا وما عليها في دار النعيم المقيم من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا مادة الخير والبر في دار القرار وبذره وأصله وأساسه، فواأسفاه على أوقات مضت في الغفلات، وواحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها. فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك». «تفسير السعدي» (ص٨٩٤).

(واستغفروا الله إن الله غفور رحيم):

قال ابن تيمية: «وقد أمر الله سبحانه عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثا، ويقول: (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام)، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه. وقد قال تعالى: {والمستغفرين بالأسحار}، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار. وكذلك ختم سورة المزمل وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى: {واستغفروا الله إن الله غفور رحيم}... فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائما». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٥٣-٢٥٥).

وقال ابن القيم: «وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية، ولا رضيها لسيده.

وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات، وهو أجلّ المواقف وأفضلها، فقال: {فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين. ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم}.

وقال تعالى: {والمستغفرين بالأسحار}. قال الحسن -رضي الله عنه-: مدّوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل...

وأمره الله سبحانه بالاستغفار بعد أداء الرسالة، والقيام بما عليه من أعبائها، وقضاء فرض الحج والجهاد، واقتراب أجله، فقال في آخر ما أنزل عليه: {إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}. ومن هاهنا فهم عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- أن هذا أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعلمه به، فأمره أن يستغفره عقيب أداء ما عليه، فكان إعلامه بأنك قد أديت ما عليك، ولم يبق عليك شيء، فاجعل خاتمته الاستغفار، كما كان خاتمة الصلاة والحج وقيام الليل، وخاتمة الوضوء أيضا إذ يقول بعد فراغه: (اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين). فهذا شأن من عرف ما ينبغي لله ويليق بجلاله من حقوق العبودية، وشرائطها، لا جهل أصحاب الدعاوى وشطحاتهم». «مدارج السالكين» (١/ ٢٦٨).

وقال ابن عاشور: «وجملة: (إن الله غفور رحيم) تعليل للأمر بالاستغفار، أي: لأن الله كثير المغفرة شديد الرحمة. والمقصود من هذا التعليل: الترغيب والتحريض على الاستغفار بأنه مرجوّ الإجابة. وفي الإتيان بالوصفين الدالّين على المبالغة في الصفة إيماء إلى الوعد بالإجابة». «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٢٩٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المزمل ١٠-٢٠

١- اعلم أنك في دعوتك إلى الله وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وسعيك في إصلاح الناس ستواجه طعنا ولمزا وهمزا وسخرية واستهزاء ونكيرا، حتى من بعض المنتسبين للعلم والدعوة، فاصبر وصابر واحتسب لوجه الله عز وجل، وأعرض عمّا يقولون، ولا تجعل ذلك عائقا يمنعك من المضيّ قدُما في إصلاحك، واستحضِر دوما أن الأنبياء المؤيّدين بالآيات والبراهين قد أوذوا كثيرا فصبروا (واصبر على ما يقولون واهجُرهم هجرا جميلا).

٢- زيادة النعيم في الدنيا يصدّ أكثر الناس عن الإيمان، لشعورهم بالاستغناء عن الله، وبئس الشعور، وبئس النعيم، فلا تلهينّك الدنيا بزينتها، ولا تغرنّك بزخرفها، ولا يغرّنّك تقلّب الذين كفروا في البلاد، فإنما هو متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد (وذرني والمكذّبين أولي النَّعمة ومهّلهم قليلا).

٣- أهوال يوم القيامة شديدة عظيمة مخيفة، فالأرض والجبال تتزلزل وتضطرب، والجبال الصمّ الصلاب تصير رملا متناثرا، والولدان الصغار يصيرون شيبا، والسماء تتشقق وتتصدّع، ويجاء يومئذ بجهنم، فيها القيود والجحيم، والزقوم والعذاب الأليم، يومئذ يتذكّر الإنسان وأنى له الذكرى، فيا فوز من تذكّر في هذه الدنيا قبل لقاء الله يوم القيامة (إنّ لدينا أنكالا وجحيما * وطعاما ذا غصّة وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا)، (فكيف تتّقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شِيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا * إن هذه تذكرة فمن شاء اتّخذ إلى ربه سبيلا).

٤- إنما أرسل الله إلينا الرسول صلى الله عليه وسلم لنطيعه ونتّبعه، فمن أطاعه فقد أطاع الله وفاز بالنعيم المقيم، ومن عصاه فقد عصى الله وعاقبته العذاب الوبيل (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعونُ الرسول فأخذناه أخذا وبيلا).

٥- عليك بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين من قبلك، وقربة إلى ربك، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد، واحرص على القيام وقت الأسحار لتفوز بلذة مناجاة ربك، في خلوة تُحيي قلبك، وتُنسيك همومَك، وتُنزل عليك السكينة والطمأنينة، فإن لم تقدر على ذلك

كل ليلة فلا أقل من ليلة كل أسبوع، فإن الله أمر المعذورين بالمرض والجهاد والسفر بأن يقوموا ما تيسّر من الليل، فإن لم تكن معذورا مثلهم فارتقِ بهمّتك، ليزداد إيمانك (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدّر الليل والنهار علم أن لن تُحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسّر منه).

٦- تأمّل رحمة الله بنا وتيسيره علينا في نسخ وجوب قيام الليل للأعراض التي تمرّ ببعض الناس أحيانا، فالحمد لله على رحمته وفضله وكرمه (علم أن لن تُحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسّر منه).

٧- بادر بالأعمال الصالحات، مسلمًا وجهك لله، وأنت محسن، لترى ثوابها يوم القيامة أضعاف ما عملت، فإن الله شكور كريم، يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة (وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا).

٨- أدم الاستغفار في كل أحوالك، وجميع أوقاتك، فإنك لا تخلو من فعل سيئة، أو تقصير في حسنة، أو إخلال بشكر نعمة، أو إساءة إلى مسلم، وما يخفى عليك من معاصيك أكثر مما تعلم منها، فاستغفر الله، ولا تملّ من الاستغفار، وأكثر من الكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام من ربه حين عصى ربه: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين)، وداوِم على سيّد الاستغفار الوارد في السنة: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المزمل

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة المزمل.

سأذكر الآيات التي فيها احتمالية وقف فقط، أما الآيات التي توصل من أولها إلى آخرها ولا وقف فيها فإني لن أذكرها بإذن الله تعالى.

أولا: في الآية الرابعة قوله تعالى: (أو زد عليه) بعد أن قال: (يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الأمر بقيام الليل مع تحديد مقداره قد انتهى هنا، ثم جاء أمر جديد في جملة معطوفة مستقلة قائمة بنفسها في قوله: (ورتّل القرآن ترتيلا)، فمن نظر إلى هذا صحّح الوقف على قوله: (أو زد عليه).

ومن نظر إلى أن الأمر بترتيل القرآن إنما هو أمر بترتيله في قيام الليل فهو جزء من الأمر الأول، لم يصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة: قوله تعالى: (ربُّ المشرق والمغرب) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله: (ربُّ المشرق والمغرب) خبرُ مبتدأ محذوف تقديره: هو رب المشرق والمغرب. ثم قال بعدها: (لا إله الا هو)، وهذا خبر ثان للمبتدأ المقدّر (هو)، وفيه كذلك ضمير راجع على ما قبله في قوله: (إلا هو)، ولم يقل: إلا الله. فلو قال: لا إله الا الله لكان للوقف قبلها وجه صحيح، لكن لما قال: (لا إله إلا هو)، وكانت هذه الجملة خبرا ثانيا للمبتدأ المقدّر لم يصحّ الوقف هنا.

وهنا ملحظ آخر كذلك، وهو أن قوله: (لا إله إلا هو) أي: فإذا كان هو سبحانه ربَّ المشرق والمغرب فلا تعبدوا أحدا غيره، وهذا مما يكثر الاستدلال به في القرآن، وهو الاستدلال بربوبية الله على وجوب إفراده بالعبادة سبحانه. فبمجموع هذا نقول: الأصحّ عدم الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وفي نفس الآية هل يصح الوقف على قوله: (لا إله إلا هو) قبل قوله: (فاتخذه وكيلا)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله: (فاتّخذه وكيلا) أمر بعد خبر، وهذا الأمر يحتمل أن يكون مستأنفا، وبالتالي يصحّ الوقف قبله.

ويحتمل أن يكون مترتبا على ما قبله، أي: فإذا كان هو سبحانه ربَّ المشرق والمغرب، وهو الذي لا إله إلا هو، فاتخذه وكيلا دون غيره.

فمن نظر إلى كونها جملة مستأنفة وكونها أمرا بعد خبر صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أنها كالنتيجة لما ذُكر قبلها لم يصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها، وهي الآية العاشرة: هل يصحّ الوقف على قوله: (واصبر على ما يقولون)؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنه قال بعدها: (واهجُرهم هجرا جميلا)، وهو أمر مستقلّ في جملة معطوفة، عُطفت على قوله: (واصبر على ما يقولون)، فهما أمران مستقلان، وكل أمر منهما قائم بنفسه، فمن نظر إلى هذا صحّح الوقف بينهما.

ومن نظر إلى أن الهجر من جملة الصبر، وإنما ذُكر لبيان الإعراض عنهم حتى لا يؤثر كلامهم فيه، فإنه اعتبر الأمر الثاني من تتمة الأمر الأول، وبالتالي لم يصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية عشرة: (وذرني والمكذبين أولي النّعمة) هل يصحّ الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ومهّلهم قليلا) هو من تتمة التهديد الوارد في الجملة الأولى في قوله: (وذرني والمكذبين أولي النعمة). والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة عشرة: (يوم ترجُف الأرض والجبال) هل يصحّ الوقف هنا؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا حسن، ولم ينصّ بقية علماء الوقف والابتداء على وقف هنا، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (وكانت الجبال كثيبا مهيلا)، جملة: (وكانت) جملة معطوفة على: (ترجف)، وتقديرها: وتكون الجبال كثيبا مهيلا، يعني: يوم القيامة. فجملة: (وكانت الجبال) مرتبطة بالظرف الوارد في أول الآية: (يوم ترجُف الأرض والجبال)، أي: ويوم تكون الجبال كثيبا مهيلا.

فقراءة: (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) لوحدها يفصلها عن الظرف، وهو يوم القيامة، وقد يوهم أن الجبال كانت سابقا كثيبا مهيلا، لا أنها ستكون يوم القيامة كثيبا مهيلا، فلذلك الأقرب عدم الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة عشرة: (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم)، هل يصحّ الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) تشبيه لإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال موسى عليه السلام إلى فرعون، ولا يوقف قبل التشبيه. والله تعالى أعلم.

الآية السادسة عشرة: (فعصى فرعون الرسول) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (فأخذناه أخذا وبيلا) هو من تتمة بيان عاقبة عصيان الرسول، وأنها أخذه أخذا وبيلا، وأن سبب ذلك أنه عصى الرسول الذي أُرسل إليه، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة عشرة: (فكيف تتقون إن كفرتم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، وإن كان قد نصّ على الوقف هنا الإمام نافع رحمه الله، إلا أن عامة علماء الوقف والابتداء خالفوه في ذلك. وذلك أنه اعتبر جملة: (يوما يجعل الولدان شيبا) على تقدير: يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا، وهذا التقدير بعيد، كما نص عليه عامة علماء الوقف الابتداء.

وذلك أن تقدير الآية: فكيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم، فـ(يوما) منصوب بـ(تتقون)، ولا يفصل بين الناصب وما نُصب به، فالصحيح عدم الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة عشرة: (السماء منفطر به) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ما ورد من أهوال يوم القيامة قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(كان) في قوله: (كان وعده مفعولا) لبيان أن وعد الله سبحانه وتعالى بيوم القيامة حق واقع لا محالة، فصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة عشرة: (إن هذه تذكرة) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنه سبحانه قال بعدها: (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) وهذه جملة شرطية، فمن نظر إلى أنها جملة شرطية صحّح الابتداء بها والوقف قبلها. ومن نظر إلى أن هذه الجملة الشرطية قد دخلت عليها الفاء التي هي فاء النتيجة والعاقبة لمَا ذُكر قبلها من كون هذه السورة تذكرة، رأى أن الجملة الشرطية مرتبطة بما قبلها، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (إنّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (وطائفة من الذين معك) معطوف على فاعل (تقوم)، أي: تقوم أنت وطائفة من الذين معك أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، فلا يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وطائفة من الذين معك)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الخبر عن علم الله سبحانه وتعالى بقيامهم في الليل ومقدار ذلك قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة معطوفة مستقلة قائمة بنفسها في قوله: (والله يقدّر الليل والنهار)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (والله يقدّر الليل والنهار)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة التي تضمنت إخبار الله سبحانه وتعالى عن نفسه أنه يقدّر الليل والنهار قد انتهت هنا، ثم جاء ذكر التخفيف عنهم في وجوب قيام الليل بجملة مستأنفة في قوله: (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن نسخ وجوب قيام الليل قد انتهى هنا، ثم جاء أمْر بأن يتطوعوا بما يتيسر لهم في قوله: (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بالتطوع بصلاة الليل قد انتهى هنا، ثم جاء إخبار عن علمه سبحانه وتعالى بحالهم وظروفهم التي تعرض لهم في قوله: (علم أن سيكون منكم مرضى...) إلى آخر ما ذَكر، فصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (علم أن سيكون منكم مرضى)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، لماذا؟ لأنّ قوله بعدها: (وآخرون) معطوف على قوله: (مرضى)، والتقدير: علم الله أنه سيكون منكم مرضى، وأنه سيكون منكم آخرون يضربون في الأرض، فقوله: (وآخرون) معطوف على كلمة: (مرضى)، فلم يصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله)؟

نصّ الأشموني وحده على أن الوقف هنا حسن، وعلّل ذلك بأنه للفصل بين المسافرين للتجارة وبين المسافرين للجهاد، يعني أن قوله: (يقاتلون في سبيل الله) معطوف على: (يبتغون من فضل الله). والتقدير: وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يضربون في الأرض يقاتلون في سبيل الله، فذكر للضاربين في الأرض بالسفر عذرين: عذر التجارة وابتغاء فضل الله، وعذر القتال في سبيل الله، وأراد الفصل بينهما.

لكن عامة علماء الوقف والابتداء لم ينصّوا على وقف هنا، بل نصّ السجاوندي رحمه الله على المنع من الوقف هنا للعطف.

والصحيح والله أعلم أن قوله: (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) معطوف كذلك على: (مرضى)، وتقدير الجملة: علم الله أن سيكون منكم مرضى، وعلم سبحانه أن سيكون منكم آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وعلم سبحانه أن سيكون منكم آخرون يقاتلون في سبيل الله، وكله عُطف على: (مرضى)، فلم يصحّ الفصل بينها. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وآخرون يقاتلون في سبيل الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ذِكر الأعذار التي خفّف الله عنهم بسببها قد انتهى هنا، ثم جاء أمر بالتطوع بما تيسّر حتى مع وجود الأعذار في قوله: (فاقرؤوا ما تيسر منه)، فصحّ الفصل بين الأمر والخبر. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (فاقرؤوا ما تيسر منه)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بالتطوع بقيام الليل حتى مع وجود الأعذار قد انتهى هنا، ثم جاء أمر ببعض الواجبات في قوله: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، وهذه الأوامر في جمل تحتمل أن تكون عطف جمل، وتحتمل أن تكون مستأنفة. وفي كلا الحالين يصح الوقف قبلها؛ لأنها إن كانت مستأنفة فللاستئناف، وإن كانت معطوفة عطف جمل فإنها جمل مستقلة قائمة بنفسها، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي، وجعله الأشموني جائزا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الأمر بالواجبات قد انتهى هنا، وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبة، ثم جاءت جملة جديدة

في أمر جديد، وهو أمر مستحب بإقراض الله قرضا حسنا، فمن نظر الى أنها كلها أوامر بالطاعات لم يصحّح الفصل بينها.

ومن نظر إلى أن الأمر الأخير أمر بشيء مستحب وما قبله أمر بأمور واجبة صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأقرضوا الله قرضا حسنا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأوامر كلها قد انتهت هنا، ثم بين الله سبحانه وتعالى أن من قدّم الطاعات لنفسه فإنه سيجد ثوابه خيرا وأعظم أجرا عند الله سبحانه وتعالى. فكأن هذا الخبر ختام للأوامر التي جاءت في الآية، فصحّ الوقف قبله والابتداء به. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (خيرا وأعظم أجرا) منصوب بالفعل (تجدوه)، أي: تجدوا ما قدمتموه خيرا وأعظم أجرا، ولا يُفصل بين الناصب وما نُصب به. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأعظم أجرا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة التي تضمنت الإخبار عن أن ثواب الله سبحانه وتعالى أعظم من الأعمال قد انتهت هنا، ثم جاء أمر عام باستغفار الله سبحانه وتعالى، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (واستغفروا الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بالاستغفار قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إن الله غفور رحيم)، وهذه الجملة وإن تضمنت الحث على الاستغفار إلا أنها جملة قائمة بنفسها، فصحّ الوقف قبلها. والله تعالى أعلم.

هذا ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة المزمل. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الجن ١-١٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الجن: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] إبطال دين المشركين ببيان حال الجنّ وإيمانهم بعد سماع القرآن.

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾

قل -أيها الرسول- لأمتك: أوحى الله إليّ أنَّه استمع إلى قراءتي للقرآن جماعة من الجن ببطن نَخْلة، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إنا سمعنا كلامًا مقروءًا مُعْجِبًا في بيانه وفصاحته.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾

هذا الكلام الَّذي سمعناه يدلّ على الصواب في الاعتقاد والقول والعمل، فآمنا به، ولن نشرك بربنا الَّذي أنزله أحدًا.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾

وآمنّا بأنه -تعالت عظمة ربنا وجلاله- ما اتخذ زوجة ولا ولدًا كما يقول المشركون.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤﴾

وأنه كان إبليس يقول على الله قولًا منحرفًا من نسبة الزوجة والولد إليه سبحانه.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥﴾

وأنا حَسِبْنا أن المشركين من الإنس والجنّ لا يقولون الكذب حين كانوا يزعمون أن له صاحبة وولدًا، فصدّقنا قولهم تقليدًا لهم.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾

وأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن عندما ينزلون بمكان مَخُوف، فيقول أحدهم: أعوذ بسيّد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه، فازداد رجال الإنس خوفًا ورعبًا من رجال الجنّ.

﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧﴾

وأن الإنس ظنوا كما ظننتم -أيها الجن- أن الله لن يبعث أحدًا بعد موته للحساب والجزاء.

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨﴾

وأنا طلبنا خبر السماء، فوجدنا السماء مُلِئت حرسًا قويًّا من الملائكة يحرسونها من استراق السمع الَّذي

كنا نقوم به، ومُلِئت نارًا مشتعلة يُرْمى بها كل من يقرب السماء.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩﴾

وأنا كنا في السابق نتخذ من السماء مواقع نستمع منها ما يتداوله الملائكة، فنخبر به الكهنة من أهل الأرض، وقد تغير الأمر، فمن يستمع منا الآن يجد نارًا مشتعلة معدة له، فإذا اقترب أرسلت عليه فأحرقته.

﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾

وأنَّا لا نعلم ما سبب هذه الحراسة الشديدة؛ أأريد شر بأهل الأرض، أم أن الله أراد بهم خيرًا، فقد انقطع عنا خبر السماء.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• تأثير القرآن البالغُ فيمَنْ يستمع إليه بقلب سليم.

• الاستغاثة بالجن من الشرك بالله، ومعاقبةُ فاعله بضد مقصوده في الدنيا.

• بطلان الكهانة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

• من أدب المؤمن ألا يَنْسُبَ الشرّ إلى الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الجن ١-١٠

الكلمة	المعنى
نفرٌ	جماعةٌ
قُرآنًا عجَبًا	قرآنا بديعا في بلاغته وأحكامه وأخباره
يهدي إلى الرُّشد	يَدعُو إلى الحق والهدى
تعالى جَدُّ ربّنا	علا وارتفع جلال ربّنا وعظمته
صاحبةً	زوجة
سَفيهُنا	أحمقنا وجاهلنا، وهو إبليس
شَطَطًا	قولا بعيدا عن الحق والصواب
يعُوذون	يستجيرون
فزادُوهم رهَقًا	فزاد الجنُّ الإنسَ خوفا، أو: فزاد الإنسُ الجنَّ طغيانا
وأنّهم ظنّوا	وأنّ كفار الإنس حَسِبُوا
لَمَسْنَا السّماء	أردنا الوصولَ إلى السماء لاستِماع كلام أهلها
وشُهُبًا	ونارًا مُحرِقة ترجُم الشياطين
مقاعِدَ للسّمع	مواضعَ نستمع منها إلى أخبار السماء
رَصَدًا	مترقّبًا مُعَدًّا لِيُحرقه
رَشَدًا	خيرًا وصلاحًا ورحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الجن ١-١٠

(قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا):

عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن، وما رآهم، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة -وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر- فلما سمعوا القرآن استمعوا له. وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا (إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا). فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن). «صحيح البخاري» (١/ ١٥٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٣٣١).

وقال القرطبي: «اختلف أهل العلم في أصل الجن:

فروى إسماعيل عن الحسن البصري: أن الجن ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب. فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الجن هم ولد الجان، وليسوا بشياطين، وهم يؤمنون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس، لا يموتون إلا مع إبليس». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥).

وقال ابن تيمية: «المراد هنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الثقلين: الإنس والجن، وقد أخبر الله في القرآن أن الجن استمعوا القرآن، وأنهم آمنوا به، كما قال تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن

يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا} إلى قوله: {أولئك في ضلال مبين}، ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى: {قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا} إلخ، فأمره أن يقول ذلك ليُعلم الإنس بأحوال الجن، وأنه مبعوث إلى الإنس والجن؛ لما في ذلك من هدي الإنس والجن لما يجب عليهم من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وما يجب من طاعة رسله، ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم، كما قال في السورة: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا}». «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٣٣).

(يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا):

قال الشوكاني: «وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم، حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله، وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس -لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم- بسماعه مرات متعددة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة، مع كون الرسول منهم، ويتلوه عليهم بلسانهم». «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٣٦٤).

وقال السعدي: «{يهدي إلى الرشد} والرشد: اسم جامع لكل ما يُرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، {فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا} فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى المتضمنة لترك الشر، وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آيةٌ عظيمة، وحجة قاطعة لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة». «تفسير السعدي» (ص٨٩٠).

(وأنه تعالى جد ربنا ما اتّخذ صاحبة ولا ولدا):

قال ابن عطية: «قال جمهور المفسرين معناه: عظمته.

وروي عن أنس أنه قال: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا، أي: عظم...

فهذا هو من الجد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»...

ومن هذا قول اليهودي حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة: «يا بني قيلة! هذا جدكم الذي تنتظرون» أي: حظكم من الخيرات وبختكم». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٧٩).

(وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا):

قال ابن كثير: «قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي: {سفيهنا} يعنون: إبليس، {شططا} قال السدي، عن أبي مالك: {شططا} أي: جورا. وقال ابن زيد: ظلما كبيرا.

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: {سفيهنا} اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا. ولهذا قالوا: {وأنه كان يقول سفيهنا} أي: قبل إسلامه {على الله شططا} أي: باطلا وزورا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٩).

(وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا):

قال السعدي: «{وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا} أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرّنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنّا بهم الظن، وظننّاهم لا يتجرأون على الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق رجعنا إليه وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهدى». «تفسير السعدي» (ص٨٩٠).

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا):

قال ابن تيمية: «والجن يسمون رجالا. كما قال الله تعالى: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا}، والإنس سموا إنسا لأنهم يؤنَسون، أي: يُرَون. كما قال تعالى: {إني آنست نارا}، أي: رأيتها، والجن سموا جنا لاجتنانهم، يجتنّون عن الأبصار، أي: يستترون. كما قال تعالى: {فلما جنّ عليه الليل} أي: استولى عليه فغطّاه وستره». «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٦٥).

وقال ابن القيم: «المستعاذ به وهو الله وحده، رب الفلق، ورب الناس، ملك الناس، إله الناس، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستعيذين، ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره. وقد أخبر الله تعالى في كتابه عمن استعاذ بخلقه، أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا، فقال حكاية عن مؤمني الجن: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا}». «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٠٨).

وقال ابن جُزي: «(فَزادُوهُمْ رَهَقًا) ضمير الفاعل للجن، وضمير المفعول للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم.

وقيل: ضمير الفاعل للإنس، وضمير المفعول للجن: والمعنى: أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم، حتى كان الجن يقول: أنا سيد الجن والإنس». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٨).

وقال ابن كثير: «{وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا} أي: كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، {فزادوهم رهقا} أي: خوفا وإرهابا وذعرا، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم، كما قال قتادة: {فزادوهم رهقا} أي: إثما، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة...

عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم. فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا}...

عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذُكر رسول

الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم. فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، جارك. فنادى منادٍ لا نراه، يقول: يا سرحان، أرسله. فأتى الحمل يشتدّ حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة. وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا}...

وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل -وهو ولد الشاة- كان جنيا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به، ليضله ويهينه، ويخرجه عن دينه، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٩-٢٤٠).

(وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا):

قال ابن جُزي: «(وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً) الضمير في: (ظنوا) لكفار الإنس، و (ظننتم) خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل، أو البعث من القبور». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٨).

(وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا):

«قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال، فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك أصلا». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣٩).

(وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا):

قال ابن تيمية: «ومن آيته الظاهرة -يعني: آية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم- التي في القرآن ما ذكره من أن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا، بخلاف ما كانت العادة جارية به، قال تعالى: {قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا} إلى قوله: {وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن

يجد له شهابا رصدا. وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}، وقال تعالى: {وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون}. وهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه على الناس، وهم يقرؤونه، ولم ينكره أحد، ولا ارتاب به مؤمن، ولا احتجّ به عليه كافر، فدل أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن، من أن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا، وأنهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع. ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم، فإن امتلاء السماء بالشهب أمر يراه الناس كلهم، فلو لم يكن كذلك لكان الناس يكذّبون بهذا، مؤمنهم وكافرهم، فإن الجماعة العظيمة الذين لم يتواطؤوا يمتنع اتفاقهم على الكذب، وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب، وعلى كتمان ما يعلمونه، وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب.

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة، أدركوا مبعثه، وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هذا موجودا –مع أن عامتهم كانوا مكذبين له، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت– فلما لم ينكر ذلك أحد، بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب الذي لم يعهد مثله، حتى صاروا يشكون: هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها؟ وقالوا: إن كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم، فلما رأوه فيما دونها، علموا أنه لأمر حدث...

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الملائكة تنزل في العنان –وهو السحاب– فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه، فتوحيه إلى الكهّان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم).

وفي صحيح البخاري أيضا عن أبي هريرة قال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله: كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: {الحق وهو العلي الكبير}، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا، بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة، فيلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ الكلمة التي سمعت من السماء، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).

ورواه محمد بن إسحاق، عن الزهري، وقال في آخره: «ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع

بهذه النجوم، فانقطعت الكهانة فلا كهانة».
ورواه معمر، عن الزهري، وقال: فقلت للزهري: أوَ كان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: يقول الله {وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع} الآية. قال: غلّظت واشتد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم».
«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ٥٧-٦٢).

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا، وحُفظت من سائر أرجائها، وطُردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يُدرى من الصادق. وهذا من لطف الله بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: {وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مُرصَدا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٠).

(وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا):
قال القرطبي: «قيل: هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. أي: لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد إليهم، فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه، كما هلك من كذّب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا، فالشر والرشد على هذا: الكفر والإيمان، وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحي.
وقيل: لا، بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي: لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهل الأرض بما آمنا به أم يؤمنون؟». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٤).

وقال ابن تيمية: «الشر المخلوق لا يضاف إلى الله مجردا عن الخير قط، وإنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة:

إما مع إضافته إلى المخلوق، كقوله: {من شر ما خلق}.

وإما مع حذف الفاعل، كقوله تعالى: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}...

وإما أن يدخل في العموم، كقوله: {خالق كل شيء}». «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٤٠٩).

وقال ابن القيم: «الطريقة المعهودة في القرآن، وهي: أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى، فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يبني الفعل معها للمفعول، فإذا جاء إلى أفعال العدل والجزاء والعقوبة: حذف الفاعل، وبنى الفعل معها للمفعول = أدبا في الخطاب، وإضافة إلى الله أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية؛ فإنه لما ذكر النعمة أضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول، فقال: {المغضوب عليهم}، وقال في الإحسان: {الذين أنعمت عليهم}.

ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: {الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين}، فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله، ولما جاء إلى ذكر المرض، قال: {وإذا مرضت} ولم يقل: أمرضني، وقال: {فهو يشفين}.

ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}، فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب، وحذفوا فاعل إرادة الشر، وبنوا الفعل للمفعول.

ومنه قول الخضر عليه السلام في السفينة: {فأردت أن أعيبها} فأضاف العيب إلى نفسه. وقال في الغلامين: {فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما}». «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٢٠).

وقال ابن القيم: «معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك)، وأن معناه أجل وأعظم من قول من قال: والشر لا يتقرّب به إليك، وقول من قال: والشر لا يصعد إليك، وأن هذا الذي قالوه إنما يتضمن تنزيهه: عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه، لا يتضمن تنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر، بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدّق، فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، وإن دخل في مخلوقاته». «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الجن ١-١٠

١- المؤمن يصدّق بوجود الجن، وبأنهم مكلّفون، وأنّ منهم مؤمنين وكافرين، وسعداء وأشقياء، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الإنس والجنّ كافّة (سورة الجن).

٢- أكثر من الاستماع إلى القرآن، متفكرا في معانيه، متدبرا أحكامه، متبصرا في قصصه، ليزداد إيمانك، ويقوى يقينك، وقل: اللهم اجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي وغمّي (قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا).

٣- الله سبحانه هو الرب العظيم الكبير الجليل الواسع الغني القوي المتين الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر، فهو سبحانه منزّه عن أن يكون له زوجة أو ولد، تعالى وتقدّس عما يقول الظالمون علوا كبيرا (وأنه تعالى جَدّ ربنا ما اتّخذ صاحبة ولا ولدا).

٤- الكافر والمشرك والملحد هو السفيه حقا، وإن كان في أمور الدنيا من أذكى الناس وأعقلهم، والمؤمن الموحّد المستسلم لأمر الله هو العاقل حقا، وإن كان في أمور الدنيا من أبلد الناس وأضعفهم (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا).

٥- الكذب على الله من أعظم الذنوب وأشنعها وأقبحها وأرذلها، ولا يجرؤ عليه إلا من بلغ الغاية في الجهل والسفاهة وانعدام الديانة والحياء (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا).

٦- الاستعاذة بغير الله جهل بحق الله وذل أمام المخلوقين، فاجعل استعاذتك دوما بالله سبحانه وتعالى وحده، ولا تعلّق قلبك بغيره سبحانه خوفا أو رجاء، فذاك سبيل تحقيق الإيمان، واطمئنان القلب، والعزة في الدنيا والآخرة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا).

٧- من كمال رحمة الله أنه أرسل الرسل إلى الناس ليوقظوا فطرهم، ويذكّروهم بربهم وخالقهم ورازقهم، فيعبدوه وحده لا شريك له، ولتقوم الحجة عليهم بذلك، ومن تمام عدله سبحانه أنه سيبعث الناس ليوم لا ريب فيه ليحاسبهم على أعمالهم، ويجازيهم عليها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا).

٨- من كمال حفظ الله لدين الإسلام أنه حمى السماء بالحرس الشديد والشهب، حتى لا يسترق الجن شيئا من القرآن الذي يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيلقوه على الكهان، فيختلط النبي الصادق بالكاهن الكاذب، فالحمد لله الذي حفظ القرآن عند تنزيله، ثم حفظه بعد نزوله إلى يومنا هذا (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا).

٩- الله سبحانه خالق كل شيء، وكل ما خلقه فلحكمة عظيمة، لكنّ الشرّ لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى تأدّبا معه، ولأن الشرّ إنما خلقه الله لحكم عظيمة من ابتلاء الناس به، ومعرفة المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، وليعلم الناس حال الدنيا وحقيقتها (وأنا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الجن ١١-١٧ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ١١﴾

وأنا -معشر الجنّ-: منّا المتقون الأبرار، ومنّا من هم كفار وفساق؛ كنّا أصنافًا مختلفة وأهواء متباينة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ١٢﴾

وأنَّا أيقنا أنا لن نفوت الله سبحانه إذا أراد بنا أمرًا، ولن نفوته هربًا لإحاطته بنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا ١٣﴾

وأنَّا لما سمعنا القرآن الَّذي يهدي للتي هي أقوم آمنّا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصًا لحسناته، ولا إثمًا يضاف إلى آثامه السابقة.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا ١٤﴾

وأنَّا منا المسلمون المنقادون لله بالطاعة، ومنا الجائرون عن طريق القصد والاستقامة، فمن خضع لله بالطاعة والعمل الصالح فأولئك الذين قصدوا الهداية والصواب.

﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥﴾

وأما الجائرون عن طريق القصد والاستقامة فكانوا لجهنّم حطبًا توقَدُ به مع أمثالهم من الإنس.

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦﴾

وكما أوحى إليه أنَّه استمع نفر من الجن أوحى إليه أنَّه لو استقام الجنّ والإنس على طريق الإسلام، وعملوا بما فيه، لسقاهم الله ماء كثيرًا، وأمدَّهم بنعم متنوعة.

﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾

لنختبرهم فيه أيشكرون نعمة الله أم يكفرونها؟ ومن يُعْرِض عن القرآن، وعما فيه من المواعظ، يدخله ربه عذابًا شاقًّا لا يستطيع تحمّله.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الجَوْر سبب في دخول النار.

• أهمية الاستقامة في تحصيل المقاصد الحسنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الجن ١١-١٧

الكلمة	المعنى
ومِنّا دُون ذلك	ومِنّا كفّار وفسّاق
طَرَائِقَ قِدَدًا	أهواءً وفِرَقًا مختلفة
وأنا ظننّا	وأنا أيقنّا
لن نُعجِزَ الله	لن نفُوتَ اللهَ ولن نُفلِت منه
سمعنا الهدى	سمعنا القرآن
بخْسًا	نقصًا لحسناته
ولا رَهَقًا	ولا ظلما بزيادةٍ في سيّئاته
القاسِطُون	الجائرون الظالمون المنحرفون
تحرَّوا رَشَدًا	قَصَدُوا الوصول إلى الحق
حطَبًا	وَقودًا تُوقَد بهم
وألّوِ استَقامُوا	وأنّه لو استقام الجنّ والإنس
على الطريقة	على طريق الإسلام
غَدَقًا	كثيرًا
لِنَفتِنَهُم فيه	لِنَختَبِرَهُم: أيَشكرون أم يكفرون؟
يُعرِضْ عن ذِكرِ ربّه	يُعرِضْ عن طاعة ربه وتدبُّر القرآن
يَسلُكْه	يُدخِلْه
عذابًا صَعَدًا	عذابًا شديدًا شاقًّا لا يُطيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الجن ١١-١٧

(وأنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قِدَدًا):

قال القرطبي: «قال المسيب: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وقال السدي في قوله تعالى: (طرائق قددا) قال: في الجن مثلكم: قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية.

وقال قوم: أي: وإنا بعد استماع القرآن مختلفون: منا المؤمنون، ومنا الكافرون، أي: ومنا الصالحون، ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح.

والأول أحسن، لأنه كان في الجن من آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا: (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه)، وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوهم إلى الإيمان». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥).

وقال ابن تيمية: «فيهم -يعني: الجن- الكفار والفساق والعصاة، وفيهم مَن فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الإنس، وكل نوع من الجن يميل إلى نظيره من الإنس، فاليهود مع اليهود، والنصارى مع النصارى، والمسلمون مع المسلمين، والفساق مع الفساق، وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع». «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٨٧).

وقال ابن جُزيّ: «(وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ) أي: منا قوم دون ذلك، فحذف الموصوف، وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن (دون) قد تكون بمعنى أقل، أو بمعنى غير». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٨).

وقال ابن كثير: «قال الأعمش: يروح إلينا جني، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز. قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا. فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرّنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال:

هذا إسناد صحيح إلى الأعمش.
وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد: قلوب براها الحب حتى تعلّقت * مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله، والله ربها * معلقة بالله دون الخلائق». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٢).

(وأنّا ظننّا أن لن نُعجِز الله في الأرض ولن نُعجِزه هَرَبًا):

قال القرطبي: «(وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض) الظن هنا بمعنى العلم واليقين، وهو خلاف الظن في قوله تعالى: (وأنا ظننا أن لن تقول...)، (وأنهم ظنوا...)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦).

(وأنّا لمّا سمعنا الهدى آمنّا به):

قال القرطبي: «(وأنا لما سمعنا الهدى) يعني: القرآن (آمنا به) وبالله، وصدّقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته. وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى الإنس والجن. قال الحسن: بعث الله محمدا صلى عليه وسلم إلى الإنس والجن، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن، ولا من أهل البادية، ولا من النساء، وذلك قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى)... وفي الصحيح: (وبعثت إلى الأحمر والأسود) أي: الإنس والجن». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦).

وقال ابن القيم: «أجمع المسلمون على أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- بعث إلى الجن والإنس، وأنه يجب على الجن طاعته، كما تجب على الإنس. وأما قبل نبينا -صلى الله عليه وسلم- فقوله تعالى: {ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار} يدل على أن الأمم الخالية من كفار الجن في النار، وذلك إنما يكون بعد إقامة الحجة عليهم بالرسالة.
وقد دلّت سورة الرحمن على تكليفهم بالشرائع كما كلف الإنس، ولهذا يقول سبحانه في إثر كل آية: {فبأي آلاء ربكما تكذبان}، فدلّ ذلك على أن السورة خطاب للثقلين معا. ولهذا قرأها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الجن قراءة تبليغ، وأخبر أصحابه أنهم كانوا أحسن ردا منهم، فإنهم جعلوا يقولون

كلما قرأ عليهم: {فبأي آلاء ربكما تكذبان}: لا نكذب بشيء من آلائك ربنا فلك الحمد». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/ ٩٠٩).

(فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخْسًا ولا رهَقًا):

قال ابن القيم: «الله سبحانه أخبر -وهو الصادق الوفي- أنه إنما يعامل الناس بكسبهم، ويجازيهم بأعمالهم، ولا يخاف المحسن لديه ظلما ولا هضما، ولا يخاف بخسا ولا رهقا، ولا يُضيع عمل محسن أبدا، ولا يُضيع على العبد مثقال ذرة ولا يظلمها، {وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما}، وإن كان مثقال حبة من خردل جازاه بها ولا يُضيّعها عليه، وأنه يجزي بالسيئة مثلها، ويحبطها بالتوبة والندم والاستغفار والحسنات والمصائب، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها، ويضاعفها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة». «الفوائد لابن القيم» (١/ ٢٣٦).

(وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون):

قال البغوي: «{ومنا القاسطون} الجائرون العادلون عن الحق. قال ابن عباس: هم الذين جعلوا لله ندا، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٤٠).

(فمَن أسلم فأولئك تَحرَّوا رشَدًا):

قال ابن عطية: «وإنما هذا التقسيم ليذكر حال الطريقين من النجاة والهلكة، ويرغّب في الإسلام من لم يدخل فيه، فالوجه أن يكون (فمن أسلم) مخاطبة من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم، ويؤيده ما بعده من الآيات.

و(تحرّوا): معناه: طلبوا باجتهادهم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٨٢).

وقال ابن القيم: «تضمنت هذه الآيات انقسامهم -يعني: الجن- إلى ثلاث طبقات: صالحين، ودون

الصالحين، وكفار. وهذه الطبقات بإزاء طبقات بني آدم، فإنها ثلاثة: أبرار، ومقتصدون، وكفار. فالصالحون بإزاء الأبرار، ومن دونهم بإزاء المقتصدين، والقاسطون بإزاء الكفار.

وهذا كما قسّم سبحانه بني إسرائيل إلى هذه الأقسام الثلاثة في قوله: {وقطّعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك}. فهؤلاء الناجون منهم. ثم ذكر الظالمين، وهم خلف السوء الذين خلفوا بعدهم.

ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولا ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر ليس شيء منها للجن، وهم: الرسل، والأنبياء، والمقرّبون. فليس في الجن صنف من هؤلاء، بل غايتهم الصلاح». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/ ٩٠٦).

وقال ابن جُزي: «وأما قوله: (فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشدا) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم، أو يكون ابتداء كلام الله تعالى، وهو الذي اختاره ابن عطية، وأما قوله: (وأن لّو استقاموا) فهو من كلام الله باتفاق، وليس من كلامهم». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٩).

(وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبًا):

قال ابن تيمية: «كافرهم -يعني: الجن- معذب في الآخرة باتفاق العلماء. وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه في الجنة، وقد روي: "أنهم يكونون في ربض الجنة، تراهم الإنس من حيث لا يرونهم". وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد. وقيل: إن ثوابهم النجاة من النار، وهو مأثور عن أبي حنيفة. وقد احتجّ الجمهور بقوله: {لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ} قالوا: فدل ذلك على تأتّي الطَّمْث منهم؛ لأن طَمْث الحور العين إنما يكون في الجنة». «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٣٨).

(وأن لّوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهُم ماءً غدَقًا * لنفتنهم فيه):

«قال عمر رضي الله عنه في قوله: (وأن لّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) قال: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٦٣).

وقال القرطبي: «الطريقة معرفة بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقة الهدى، ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى. وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا) قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: (بركات الأرض...) وذكر الحديث. وقال عليه السلام: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٩).

وقال ابن كثير: «اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها، {لأسقيناهم ماء غدقا} أي: كثيرا. والمراد بذلك سعة الرزق. كقوله تعالى: {ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم}، وكقوله: {ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض}، وعلى هذا يكون معنى قوله: {لنفتنهم فيه} أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: {لنفتنهم} لنبتليهم، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية؟...

والقول الثاني: {وأن لو استقاموا على الطريقة} الضلالة {لأسقيناهم ماء غدقا} أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا، كما قال: {فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون}، وكقوله: {أيحسبون أنما نُمدّهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٢).

(ومن يُعرضْ عن ذكر ربّه يَسلكْه عذابًا صَعَدًا):

قال البغوي: «{عذابا صعدا} قال ابن عباس: شاقا، والمعنى ذا صعد أي: ذا مشقة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. وقال الحسن: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على الناس». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٤١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الجن ١١-١٧

١- اعلم أنّ الناس يدينون بأديان مختلفة، ويعتقدون آراءً متنوّعة، ويتفرّقون فرقًا متضادّة، فكُن مسلمًا صادقًا، ومؤمنًا صالحًا، وسُنيًّا سلفيًّا مُتّبِعًا، وأبشر بكرم الله وإحسانه، فإن الله لا يُضيع أجر مَن أحسن عملا، بل يجازي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة (وأنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قِدَدًا)، (وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحرّوا رَشَدًا)، (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهَقًا).

٢- اعلم أنّ الله لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه قادرٌ على كل شيء، وأنّه لا حول لك ولا قوة إلا به، ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، فاعبده وحده، وتوكّل عليه وحده، واعتصم به وحده (وأنّا ظننّا أن لّن نُعجز الله في الأرض ولن نُعجزه هرَبا).

٣- أكثر من سماع القرآن طالبًا هداية قلبك به، فإن الله جعل القرآن هدًى للمتّقين، وادعُ الله دومًا أن يجعل القرآن ربيع قلبك، ونور صدرك، وجلاء حزنك، وذهاب همّك وغمّك (وأنّا لمّا سمعنا الهدى آمنّا به).

٤- الله سبحانه رزّاق وهّاب كريم، يُعطي أهل الاستقامة على دينه العطاء الأوفى، في الدنيا قبل الأخرى، فاستقِم على دين الله كما أُمرت، وادعُ إلى الاستقامة ما استطعت، لتحيا حياة طيّبة، واعلم أنّ إنعام الله على عبده في الدنيا ابتلاء واختبار له: أيشكُر أم يكفُر؟ فمن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، فاللهمّ اجعلنا من عبادك الشاكرين (وأن لّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا * لنفتنهم فيه).

٥- احذر من الإعراض عن ذكر الله وعبادته، وعن تلاوة القرآن وتدبّره، فتلك صفات القاسطين الجائرين المنحرفين، الذين سيكونون لجهنّم حطَبا، وسيقاسون عذابًا شديدا، أعاذنا الله منه (وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطَبًا)، (ومن يُعرض عن ذكر ربه يسلكْه عذابًا صَعَدًا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الجن ١٨-٢٨ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾

وأن المساجد له سبحانه لا لغيره، فلا تدعوا مع الله فيها أحدًا، فتكونوا مثل اليهود والنصارى في كنائسهم وبِيَعهم.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾

وأنه لما قام عبد الله محمد - صلى الله عليه وسلم - يعبد ربه ببطن نَخْلة، كاد الجن يكونون مُتَراكِمين عليه من شدة الزحام عند سماعهم قراءته للقرآن.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ٢٠﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما أدعو ربي ولا أشرك به غيره في العبادة كائنا من كان.

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١﴾

قل لهم: إنّي لا أملك لكم دفع ضرّ قدّره الله عليكم، ولا أملك جلب نفع منعكم الله إياه.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ٢٢﴾

قل لهم: لن ينجيني من الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه مُلْتَجأً ألجأ إليه.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾

لكن الَّذي أملكه أن أبلّغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ورسالته التي بعثني بها إليكم، ومن يعص الله ورسوله فإن مصيره دخول نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها، لا يخرج منها أبدًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ٢٤﴾

ولا يزال الكفار على كفرهم حتَّى إذا عاينوا يوم القيامة ما كانوا يوعدون به في الدنيا من العذاب، حينئذ سيعلمون مَن أضعف ناصرًا، وسيعلمون مَن أقلّ أعوانًا.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ٢٥﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث: لا أدري أقريب ما توعدون من العذاب، أم أن له أجلًا لا يعلمه إلا الله.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾

هو سبحانه عالم الغيب كله، لا يخفى عليه منه شيء، فلا يُطْلِعُ على غيبه أحدًا، بل يبقى مختصًّا بعلمه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾

إلا من ارتضاه سبحانه من رسول، فإنه يُطلعه على ما شاء، ويرسل مِن أمام الرسول ومِن خلفه حرسًا من الملائكة يحفظونه حتَّى لا يطّلع غير الرسول على ذلك.

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾

رجاء أن يعلم الرسول أن الرسل من قبله قد بلَّغوا رسالات ربهم التي أمرهم بتبليغها لِمَا أحاطها الله به من العناية، وأحاط الله بما لدى الملائكة والرسل علمًا، فلا يخفى عليه من ذلك شيء، وأحصى عدد كل شيء، فلا يخفى عليه سبحانه شيء.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• حُفِظ الوحي من عبَث الشياطين.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الجن ١٨-٢٨

الكلمة	المعنى
وأنّ المساجدَ لله	وأنّ المساجدَ بُنِيَت لعبادة الله وحده
كَادُوا	قارَبُوا
لِبَدًا	جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض من شِدّة ازدِحامهم لسماع القرآن
ولا رَشَدًا	ولا نفْعًا
لن يُجِيرَني	لن يُنقِذَني
مُلْتَحَدًا	مكانًا أَلجأُ إليه
إلا بلاغًا من الله	لكني أملك أن أبلّغكم ما أمرني الله بتبليغه
وأقلُّ عددًا	وأقلُّ جُندًا
إنْ أدْري	لا أعلَم
ما تُوعَدون	العذابَ الذي توعَدون به
أمَدًا	مدةً طويلة
فلا يُظهِر	فلا يُطلِع
يَسلُكُ	يُرسِلُ
مِن بين يدَيه	مِن أمامِه
رَصَدًا	حَرَسًا من الملائكة يحفظُونه
وأَحَاطَ بِما لَدَيهِم	وعَلِم الله بكلّ ما عِندَهُم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الجن ١٨-٢٨

(وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا):

قال البغوي: «{وأن المساجد لله} يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، {فلا تدعوا مع الله أحدا} قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يُخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد.

وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقال سعيد بن جبير: قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف لنا أن نأتي المسجد وأن نشهد معك الصلاة ونحن ناءون؟ فنزلت: (وأن المساجد لله).

وروي عن سعيد بن جبير أيضا: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان، وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان؟ يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره...

فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجِد بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجَد بفتح الجيم». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٤٢).

وقال القرطبي: «المساجد وإن كانت لله ملكا وتشريفا فإنها قد تنسب إلى غيره تعريفا، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق.

وتكون هذه الإضافة بحكم المحلية كأنها في قبلتهم، وقد تكون بتحبيسهم، ولا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر، وإن اختلفوا في تحبيس غير ذلك...

ومع أن المساجد لله لا يذكر فيها إلا الله، فإنه تجوز القسمة فيها للأموال، ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء أكل، ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير والنوم فيها،

وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عري عن الباطل». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢١).

وقال القرطبي: (فلا تدعوا مع الله أحدا) هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام... وقيل: المعنى: أفردوا المساجد لذكر الله، ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا، ولا طرقا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا. وفي الصحيح: (من نشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تُبن لهذا)». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٢).

وقال ابن تيمية: «المساجد فضيلتها بكونها بيوت الله التي بنيت لعبادته، قال تعالى: {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا}، وقال تعالى: {قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد}، وقال تعالى: {ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر} إلى قوله: {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين}، وقال تعالى: {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار. ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب}». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٦٤).

(وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدًا):

قال ابن الجوزي: في معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من إخبار الله تعالى عن الجن يحكي حالهم. والمعنى: أنه لما قام يصلي كاد الجن لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضا، حرصا على سماع القرآن، رواه عطية عن ابن عباس.

والثاني: أنه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع، والسجود، فكأنهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدا.

وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس.

والثالث: أن المعنى: لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة تلبّدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به، قاله الحسن وقتادة وابن زيد». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٤٩).

وقال الطبري: «أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعا في إطفاء نور الله.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب لأن قوله: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) عقيب قوله: (وأن المساجد لله) وذلك من خبر الله، فكذلك قوله: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه).

وأخرى: أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: (فلا تدعوا مع الله أحدا) فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوّين وسرعتهم إلى الإجابة». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٦٨).

وقال ابن القيم: «ذكره سبحانه -يعني: النبي صلى الله عليه وسلم- باسم العبودية في أشرف مقاماته، وأفضل أحواله، كمقام الدعوة والتحدي والإسراء وإنزال القرآن، فقال: {وأنه لما قام عبد الله يدعوه}، {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا}، {سبحان الذي أسرى بعبده}، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده}، فأثنى عليه، ونوّه به بعبوديته التامّة له. ولهذا يقول أهل الموقف حين يطلبون الشفاعة: (اذهبوا إلى محمد، عبدٍ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر)». «شفاء العليل» (٢/ ٢٦٣).

(قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رَشدا. قل إني لن يُجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلتَحدًا. إلا بلاغا من الله ورسالاته):

قال البغوي: «{إلا بلاغا من الله ورسالاته} ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن.

قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني التبليغ.

وقال قتادة: (إلا بلاغا من الله) فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه.

وقيل: لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، لكن أبلغ بلاغا من الله، فإنما أنا مرسل به، لا أملك إلا ما مُلّكت». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٤٣).

قال ابن تيمية: «والرشد: العمل الذي ينفع صاحبه. والغَيّ: العمل الذي يضرّ صاحبه. فعمل الخير رشد، وعمل الشر غَي؛ ولهذا قالت الجن: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}، فقابلوا بين الشر وبين الرشد، وقال في آخر السورة: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا}، ومنه "الرشيد" الذي يسلّم إليه ماله، وهو الذي يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٦٩).

وقال ابن تيمية: «أمر تعالى أفضل الخلق أن يقول: إنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا يملك لغيره ضرا ولا رشدا، فقال تعالى: {قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله}، وقال: {قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا. إلا بلاغا من الله ورسالاته}، يقول: لن يجيرني من الله أحد إن عصيته، كما قال تعالى: {قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم}.
{ولن أجد من دونه ملتحدا} أي: ملجأ ألجأ إليه. {إلا بلاغا من الله ورسالاته} أي: لا يجيرني منه أحد إلا طاعته أن أبلغ ما أرسلت به إليكم، فبذلك تحصل الإجارة والأمن. وقيل أيضا: {لا أملك لكم ضرا ولا رشدا} لا أملك إلا تبليغ ما أرسلت به منه». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٣٢).

وقال السعدي: «{قل إني لن يجيرني من الله أحد} أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق لا يملك ضرا ولا رشدا، ولا يمنع نفسه من الله شيئا إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى». «تفسير السعدي» (ص٨٩١).

(ومن يعصِ الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا):
قال ابن جُزي: «والآية في الكفار... والدليل على أنها في الكفار وجهان:

أحدهما: أنها مكية، والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٢٠).

وقال السعدي: «{ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا} وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة. وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة». «تفسير السعدي» (ص٨٩١).

(حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقلّ عددا):

قال القرطبي: «(حتى إذا رأوا ما يوعدون) حتى هنا مبتدأ، أي: حتى إذا رأوا ما يوعدون من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر، فسيعلمون حينئذ من أضعف ناصرا أهم أم المؤمنون؟». «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٧).

(قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا):

قال ابن جُزي: «(إن) هنا نافية. والمعنى: قل: لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد، وعبّر عن بُعده بقوله: (أم يجعل له ربي أمدا)». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٢٠).

وقال ابن كثير: «كان صلى الله عليه وسلم يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدّى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)، ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد، متى الساعة؟ قال: (ويحك. إنها كائنة، فما أعددت لها؟). قال: أما إني لم أعدّ لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. قال: (فأنت مع من أحببت). قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٦).

(عالمُ الغيب فلا يُظهِر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلكُ من بين يديه ومن خلفه رَصَدًا):

قال البغوي: «{فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا} ذِكر بعض الجهات دلالة على جميعها. (رصدا) أي: يجعل بين يديه وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة.

قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره، فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان، فاحذره. وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٤٤).

وقال القرطبي: «لما تمدّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم.

وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك والسوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم، فعمّهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم قبحه الله: إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبدا في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم. وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حَكم المنجم أن طالع مولدي * يقضي عليّ بميتة الغرق

قل للمنجم صُبحة الطوفان: هل * ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقرب؟ فقال رضي الله عنه: فأين قمرهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له علي رضي الله عنه: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم، ولا لنا من بعده -في كلام طويل يحتجّ فيه بآيات من التنزيل- فمن صدّقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك. ثم قال للمتكلم: نكذّبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إياكم وتعلّم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، وإنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلّدنك في الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمنّك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها، ولقي القوم فقتلهم، وهي وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان، ثم قال: يا أيها الناس! توكلوا على الله وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه. «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨-٢٩).

وقال ابن تيمية: «غيبه الذي اختصّ به لا يُظهر عليه أحدا إلا من ارتضى من رسول، والملائكة لا يعلمون غيب الرب الذي اختصّ به. وأما ما أظهره لعباده فإنه يعلمه من شاء، وما تتحدث به الملائكة فقد تسترق الشياطين بعضه؛ لكن هذا ليس من غيبه وعلم نفسه الذي يختصّ به، بل هذا قد أظهر عليه من شاء من خلقه». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٩٧).

وقال ابن القيم: «الأمور الغائبة عن الحس نسبة المحسوس إليها كقطر في بحر، ولا سبيل إلى العلم بها إلا

بخبر الصادق، وقد اصطفى الله من خلقه أنبياء، نبأهم من هذا الغيب بما يشاء، وأطلعهم منه على ما لم يُطلع عليه غيرهم، كما قال تعالى: {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء}، وقال تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا}، وقال تعالى: {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير}.

فهو سبحانه يصطفي من يُطلعه من أنباء الغيب على ما لم يُطلع عليه غيره، ولذلك سمي نبيا من الإنباء وهو الإخبار؛ لأنه مخبَر من جهة الله، ومخبر عنه، فهو منبّأ ومنبئ. وليس كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون خبرهم، بل ولا أكثره». «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١/ ٥٣٢).

وقال ابن كثير: «{عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول} هذه كقوله تعالى: {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}، وهكذا قال هاهنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يطّلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه؛ ولهذا قال: {فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول} وهذا يعم الرسول الملكي والبشري». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤٧).

(ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كلّ شيء عددًا):

قال ابن الجوزي: (ليعلم...) فيه خمسة أقوال:

أحدها: ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن جبرائيل قد بلغ إليه، قاله ابن جبير.

والثاني: ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم، وأن الله قد حفظها فدفع عنها، قاله قتادة.

والثالث: ليعلم مكذبو الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، قاله مجاهد.

والرابع: ليعلم الله عز وجل ذلك موجودا ظاهرا يجب به الثواب، فهو كقوله عز وجل: (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم). قاله ابن قتيبة.

والخامس: ليعلم النبي أن الرسل قد أتته، ولم تصل إلى غيره، ذكره الزجاج. «زاد المسير في علم التفسير»

(٤/ ٣٥١).

فوائد عامة في سورة الجن:

قال السعدي: «وفي هذه السورة فوائد كثيرة:

منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون، ومكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

ومنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلّغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأُزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يُقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يُظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، ويفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتراكمهم عليه.

ومنها: أن هذه السورة قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبيّنت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم، إذا كان لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا، بل ولا يملك لنفسه، عُلم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط اتخاذ مَن هذا وصفه إلها آخر مع الله.

ومنها: أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصّه بعلم شيء منها». «تفسير السعدي» (ص٨٩٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الجن ١٨-٢٨

١- أخلص العبادة لله وحده لا شريك له، واحذر من الشرك كبيره وصغيره، واحرص على إزالة كل مظاهر الشرك ووسائله من المساجد خاصة؛ لأنها إنما بُنيت لتعظيم الله وحده، وإفراده سبحانه بالعبادة (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا * وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبدا * قل إنما أدعوا ربي ولا أُشرك به أحدا).

٢- اعلم أن النبيّ محمدا صلى الله عليه وسلم -وهو أكرم الخلق على الله وأفضلهم وخيرهم وسيّدهم- لا يملك لك ولا لغيرك من الخلق ضرا ولا نفعا، وإنما يملك لنا أن يبلّغنا ما أوحى الله إليه من الشريعة والدين، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى لا يملكون لك ضرا ولا نفعا، فعلّق قلبك بالله وحده، واعلم أن من وقع في الشرك فإنه لن يُنقذه أحد من عذاب الله، ولو كان نبيا مرسلا، أو وليا صالحا، أو ملَكا مقرّبا، بل مصيره النار خالدا مخلّدا فيها أبدا، أعاذنا الله منها (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رَشدا * قل إني لن يُجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعصِ الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا).

٣- عندما يرى الناس العذاب تزول عنهم الغشاوة، وتستيقظ فيهم الفطرة، ويعرفون ما كانوا ينكرون، ويعلمون ما كانوا يجهلون، أما المؤمن فإن فطرته متيقّظة دائما، وإيمانه حاضر أبدا، ولو كان في رخاء ونعيم، فكُن كذلك (حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا)

٤- لا يعلم الغيب كله إلا الله وحده، فلا يعلمه ملَك مقرّب ولا نبيّ مرسل، وإنما يُطلع الله على بعض غيبه من شاء من أنبيائه ورسله، ليؤيّدهم بذلك، ويُظهر صدقهم، وإذا أراد الله أن يوحي بشيء من غيبه الكوني أو الشرعي لأحد من أنبيائه حرس هذا الغيب بملائكة يمنعون الشياطين من الزيادة فيه أو النقصان منه، ومن استراقه وإيحائه إلى الكهنة، حتى يبقى دين الله محفوظا من الزيادة والنقصان والتبديل، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه (قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا * عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة الجن

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة الجن.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) هذه فاء النتيجة، أي: أن نتيجة استماعهم إلى تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن كانت أنهم قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، فلا يصح الوقف هنا. والله أعلم.

الآية الثانية: (يهدي إلى الرشد فآمنَّا به) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنه سبحانه قال بعدها على لسان الجن أنهم قالوا: (ولن نشرك بربنا أحدا)، وهذا القول منهم فيه عدول في الخطاب عن الماضي في قولهم: (سمعنا)، (آمنَّا)، إلى المستقبل في قولهم: (ولن نشرك بربنا أحدا) يعني في المستقبل، فمن نظر إلى هذا صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أنه من تتمة بيان حقيقة إيمانهم بالقرآن، وذلك أن إيمانهم لا يكون صحيحا إلا بأن لا يشركوا بالله أحدا، لم يصحّح الوقف هنا. والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

ثم لا وقف في الآية الثالثة والرابعة والخامسة.

ثم في الآية السادسة: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (فزادوهم رهقا) هو نتيجة لما قبله، فكانت نتيجة استعاذتهم بالجن أنهم زادوهم رهقا فلا وقف هنا.

ثم لا وقف في الآية السابعة ولا الثامنة.

في الآية التاسعة: (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) هل يصح الوقف هنا؟

صحَّح الوقف هنا السجاوندي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، ووضعت هنا علامة الوصل أولى (صلى) في مصحف المدينة.

وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) جملة شرطية فيها انتقال من الماضي

في قولهم: (كنا نقعد) إلى الحاضر في قولهم: (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)، وبناء عليه يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية العاشرة: (وأنا لا ندري أَشَرٌّ أريد بمن في الأرض) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (أم أراد بهم ربهم رشدا) هو من تتمة الاستفهام الذي بُدئ بقوله: (أَشَرٌّ أريد بمن في الأرض)، ولا يوقف قبل انتهاء الجملة الاستفهامية، والله تعالى أعلم.

الآية العاشرة: (وأنَّا منا الصالحون ومنا دون ذلك) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي والسجاوندي دون بقية علماء الوقف والابتداء، ووضعت هنا علامة الوصل أولى (صلى) في مصحف المدينة.

وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (كنا طرائق قددا) هذه جملة (كان)، وجملة (كان) يصح الابتداء بها غالبا في القرآن، فمن نظر إلى أن هذه الجملة لها استقلالية في الخبر عن حال الجن قبل استماعهم إلى القرآن صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن هذه الجملة هي من تتمة بيان أن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وأن قوله: (كنا طرائق قددا) أي: صالحون وغير صالحين، اعتبَر هذه الجملة من تتمة بيان الجملة الأولى فلم يصحح الوقف هنا. والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية عشرة: (وأنا ظننا أن لن نُعجز الله في الأرض) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ولن نُعجزه هربا) هو من تتمة بيان ما استيقنوه، لأن (ظننَّا) هنا بمعنى أيقنَّا، فهم أيقنوا أنهم لن يعجزوا الله في الأرض ولن يعجزوه هربا يعني في السماء. فهذه الجملة من تتمة بيان ما أيقنوه من كونهم لا يعجزون الله لا في الأرض ولا في السماء، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة عشرة: (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي والسجاوندي دون غيرهما من علماء الوقف والابتداء، ووضعت هنا علامة الوصل أولى (صلى) في مصحف المدينة.

وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى قال بعدها: (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا)، وهذه جملة شرطية تضمنت عاقبة الإيمان بالله، وهذه العاقبة عامة لكل مؤمن، وقد جاءت هذه الجملة بعد إخبار الجن

أنهم لما سمعوا القرآن آمنوا به، ففَرْق بين إخبارهم عن حالهم وبين نتيجة الإيمان لكل مؤمن، وبناء عليه يصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة عشرة: (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي والسجاوندي دون غيرهما من علماء الوقف والابتداء كذلك، ووضعت كذلك هنا علامة الوصل أولى (صلى) في مصحف المدينة.

وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (فمن أسلم فأولئك تحرَوْا رشدا) جملة شرطية تضمنت بيان عاقبة الإسلام، ثم جاء بعدها بيان عاقبة الكفر في قوله: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)، وقد جاء هذا بعد إخبار الجن عن حالهم وأنهم منهم المسلمون ومنهم القاسطون، وفَرْق بين الإخبار عن حالهم وبين نتيجة الإسلام لكل من أسلم في جملة شرطية عامة، وبناء عليه يصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة عشرة والسادسة عشرة لا وقف فيهما.

ثم الآية السابعة عشرة: (لنفتنهم فيه) بعد أن قال تعالى: (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. لنفتنهم فيه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة (لو) بفعلها في قوله: (استقاموا على الطريقة)، وجوابها في قوله: (لأسقيناهم ماء غدقا)، والتعليل الذي ارتبط بها: (لنفتنهم فيه) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية مستأنفة في بيان عقوبة من يعرض عن ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله: (ومن يُعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة عشرة: (وأن المساجد لله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فلا تدعو مع الله أحدا) هو لبيان المراد من كون المساجد لله، من أنه لا يدعى مع الله أحد فيها، والفاء هنا رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: فإذا كانت -يعني المساجد- كذلك فلا تدعو مع الله أحدا، والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة عشرة لا وقف فيها.

الآية العشرون: (قل إنما أدعو ربي) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ولا أشرك به أحدا) معطوف على: (أدعو ربي)، وهو داخل فيما أُمر بقوله، وفي الحصر بقوله: (إنما)، فقد أُمر عليه الصلاة والسلام أن

يقول: (إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا). وهذه الجملة كذلك من تتمة بيان أنه إنما يدعو الله وحده، إذ لا يتحقق دعاء الله وحده إلا بعدم الإشراك به، فصارت جملة: (ولا أشرك به أحدا) من تتمة: (إنما أدعو ربي). والله تعالى أعلم.

الآية الحادية والعشرون لا وقف فيها.

الآية الثانية والعشرون: (قل إني لن يجيرني من الله أحد) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ولن أجد من دونه ملتحدا):

أولا: هو مما أُمر بقوله عليه الصلاة والسلام.

وثانيا: معطوف على خبر (إنّ)، (إني) خبرها: (لن يجيرني من الله أحد)، وعُطف عليه: (ولن أجد من دونه ملتحدا)، وتقدير الجملة: قل يا محمد عليه الصلاة والسلام: إني لن يجيرني من الله أحد وإني لن أجد من دونه ملتحدا، فلا وقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة والعشرون: (إلا بلاغا من الله ورسالاته) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الاستثناء قد انتهى هنا في قوله: (إلا بلاغا من الله ورسالاته)، وهو استثناء إما من قوله: (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا)، أو من قوله: (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا)، وعلى كلا الاحتمالين فالجملة باستثنائها قد انتهت هنا، ثم جاء شرط مستأنف في بيان عقوبة من يعصِ الله ورسوله في قوله: (ومن يعص الله ورسوله فإنّ له نار جهنم خالدين فيها أبدا)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة والعشرون: (حتى إذا رأوا ما يوعدون) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن جواب (إذا) لم يأتِ بعد، (حتى إذا رأوا ما يوعدون) ما الذي سيحصل؟ الجواب في قوله: (فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا)، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة والعشرون: (قل إن أدري أقريب ما توعدون) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن الاستفهام لم ينته بعد، بُدئ الاستفهام بقوله: (أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا)، فلم ينتهِ الاستفهام إلا في نهاية الآية، فلا وقف إلا في نهايتها. والله تعالى أعلم.

الآية السادسة والعشرون: (عالمُ الغيب) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فلا يُظهِر على غيبه أحدا) جملة معطوفة على ما قبلها بفاء

النتيجة والعاقبة، أي: فالله سبحانه وتعالى عالم الغيب كله وحده، فلذلك لا يظهر على غيبه كاملا أحدا، فلم يصح الوقف على قوله (عالمُ الغيب). والله تعالى أعلم.

الآية السابعة والعشرون: (إلا من ارتضى من رسول) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأنصاري والأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) فيه بيان حفظه سبحانه وتعالى للغيب حين إعلام الرسول به، حتى لا يتعداهم الغيب إلى غيرهم. وهذا لبيان ما استثناه من إطلاع بعض رسله على غيبه، فلا يصح الوقف على قوله: (إلا من ارتضى من رسول). والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم) هل يصح الوقف هنا؟

جوَّز الوقف هنا الأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن جملة التعليل في قوله: (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قد انتهت هنا، ثم عطف عليها قوله: (وأحاط بما لديهم)، وهذا إخبار عن شيء عام بأن الله سبحانه قد أحاط بما لدى رسله، فمن نظر إلى هذا جوّز الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن جملة: (وأحاط بما لديهم) فيها تقدير، أي: وأحاط الله بما لديهم، لم يصحح الابتداء بها لوحدها، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأحاط بما لديهم)؟

جوَّز الوقف هنا الأشموني كذلك، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الإخبار عن إحاطة الله بما لديهم قد انتهى هنا، ثم أخبر الله أنه أحصى كل شيء عددا في جملة معطوفة على الجملة السابقة.

فمن نظر إلى أن هذه الجملة قد تضمنت خبرا عن أمر مستقلّ صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن جملة: (وأحصى كل شيء عددا) بحاجة إلى تقدير: وأحصى الله كل شيء عددا، لم يصحح قراءتها لوحدها، فمنع الوقف هنا. والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة الجن. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة نوح ١-١٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة نوح: مكية.

مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: بيان منهج الدعوة للدعاة، من خلال قصة نوح.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾

إنا بعثنا نوحًا إلى قومه يدعوهم ليخوّف قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجع بسبب ما هم عليه من الشرك بالله.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾

قال نوح لقومه: يا قوم، إني لكم مُنْذِرٌ بَيِّنُ الإنذار من عذاب ينتظركم إن لم تتوبوا إلى الله.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾

ومقتضى إنذاري لكم أن أقول لكم: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتقوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما آمركم به.

﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾

إنكم إن تفعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويُطِلْ أمد أمّتكم في الحياة إلى وقت محدد في علم الله، تعمرون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥﴾

قال نوح: يا رب، إني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيدك، ليلًا ونهارًا باستمرار.

﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾

فلم تزدهم دعوتي لهم إلا نفورًا وبُعْدًا مما أدعوهم إليه.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧﴾

وإني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم؛ من عبادتك وحدك ومن طاعتك وطاعة رسولك سدّوا

آذانهم بأصابعهم؛ ليمنعوها من سماع دعوتي، وغطّوا وجوههم بثيابهم حتَّى لا يروني، واستمرّوا على ما هم عليه من الشرك، وتكبّروا عن قبول ما أدعوهم إليه، والإذعان له.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨﴾

ثم إني -يا رب- دعوتهم علانية.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾

ثم إني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسررت إسرارًا خفيًّا، ودعوتهم بصوت منخفض؛ منوّعًا لهم أسلوب دعوتي.

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠﴾

فقلت لهم: يا قوم، اطلبوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه سبحانه كان غفارًا لذنوب من تاب إليه من عباده.

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾

فإنكم إن فعلتم ذلك ينزل الله عليكم المطر متتابعًا كلما احتجتم إليه، فلا يصيبكم قحط.

﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾

ويعطيكم بكثرةٍ أموالًا وأولادًا، ويجعل لكم بساتين تأكلون من ثمارها، ويجعل لكم أنهارًا تشربون منها وتسقون زروعكم ومواشيكم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• عبادة الله وتقواه سبب لغفران الذنوب.

• الاستمرار في الدعوة وتنويع أساليبها حق واجب على الدعاة.

• الاستغفار سبب لنزول المطر وكثرة الأموال والأولاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة نوح ١-١٢

الكلمة	المعنى
أَنذِرْ قومَك	خوّف قومَك من عذاب الله إن لم يُؤمنوا
نذيرٌ مُبين	مُنذِر واضح الإنذار
إلى أجلٍ مُسمًّى	إلى وقت محدّد في علم الله
أجلَ الله	عذاب الله، أو: الموت
واستَغْشَوا ثيابَهُم	وتغطّوا بثيابهم
يُرسلِ السماء	يُنزلِ المَطَر
مِدرارًا	كثيرًا مُتتابعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة نوح ١-١٢

(قال يا قوم إني لكم نذير مبين):

قال البغوي: «{نذير مبين} أنذركم وأبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٢٧).

وقال السعدي: «{يا قوم إني لكم نذير مبين} أي: واضح النذارة بيّنها، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي شيء تحصل النجاة، بيّن جميع ذلك بيانا شافيا». «تفسير السعدي» (ص٨٨٨).

(أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون):

قال ابن تيمية: «الرسل كلهم -نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم- يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده، وحق الرسل طاعتهم. قال نوح عليه السلام: {يا قوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون}. وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم: {يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}، وقال تعالى: {كذبت قوم نوح المرسلين. إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون. إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون}، وكذلك قال سائر الرسل -هود وصالح ولوط وشعيب- كل يقول: {فاتقوا الله وأطيعون}، وكذلك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: {ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون}، فجعل الطاعة لله والرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده». «الإخنائية» (ص٤٨٦).

(يغفر لكم من ذنوبكم):

قال الطبري: «قوله: (يغفر لكم من ذنوبكم) يقول: يغفر لكم ذنوبكم.

فإن قال قائل: أو ليست "من" دالة على البعض؟

قيل: إن لها معنيين وموضعين:

فأما أحد الموضعين فهو الموضع الذي لا يصح فيه غيرها. وإذا كان ذلك كذلك لم تدل إلا على البعض، وذلك كقولك: اشتريت من مماليكك، فلا يصح في هذا الموضع غيرها، ومعناها: البعض، اشتريت بعض

مماليكك، ومن مماليكك مملوكا.

والموضع الآخر: هو الذي يصلح فيه مكانها "عن" فإذا صلحت مكانها "عن" دلت على الجميع، وذلك كقولك: وجع بطني من طعام طعمته، فإن معنى ذلك: أوجع بطني طعام طعمته، وتصلح مكان "من" عن، وذلك أنك تضع موضعها "عن" فيصلح الكلام، فتقول: وجع بطني عن طعام طعمته، ومن طعام طعمته، فكذلك قوله: (يغفر لكم من ذنوبكم) إنما هو: يصفح لكم، ويعفو لكم عنها». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٣٠).

وقال ابن عطية: (من ذنوبكم)

قال قوم: "من" زائدة، وهذا نحو كوفي، وأما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادتها في الواجب.

وقال قوم: هي لبيان الجنس، وهذا ضعيف؛ لأنه ليس هنا جنس يبيّن.

وقال آخرون: هي بمعنى "عن". وهذا غير معروف في أحكام "من".

وقال آخرون: هي لابتداء الغاية، وهذا قول يتّجه، كأنه يقول: يبتدئ الغفران من هذه الذنوب العظام التي لهم.

وقال آخرون: هي للتبعيض، وهذا عندي أبين الأقوال، وذلك أنه لو قال: «يغفر لكم ذنوبكم» لعمّ هذا اللفظ ما تقدّم من الذنوب وما تأخّر عن إيمانهم، والإسلام إنما يجُبّ ما قبله، فهي بعض من ذنوبهم، فالمعنى: يغفر لكم بعض ذنوبكم.

وقال بعض المفسرين: أراد: يغفر لكم من ذنوبكم المهم الموبق الكبير لأنه أهم عليهم، وبه ربما كان اليأس عن الله قد وقع لهم، وهذا قول مضمنه أن "من" للتبعيض». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٧٢).

(ويؤخّرْكم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون):

قال البغوي: «{ويؤخركم إلى أجل مسمى} أي: يعافيكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم، {إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون} يقول: آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب، فإن أجل الموت إذا جاء لا يؤخر، ولا يمكنكم الإيمان». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٢٧).

وقال الشوكاني: «(إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر) أي: ما قدّره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب

إذا جاء وأنتم باقون على الكفر (لا يؤخر) بل يقع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة.

وقيل: المعنى: (إن أجل الله) وهو الموت (إذا جاء) لا يمكنكم الإيمان.

وقيل: المعنى: إذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب». «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٣٥٦).

(قال ربّ إني دعوت قومي ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعائي إلا فرارا):

«عن قتادة، في قوله: (فلم يزدهم دعائي إلا فرارا) قال: بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يُغوينّك، فأراني قد ذهب بي أبي إليه، وأنا مثلك، فحذّرني كما حذّرتك». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٣١).

(وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا):

قال ابن كثير: «{وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم} أي: سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه. كما أخبر تعالى عن كفار قريش: {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون}.

{واستغشوا ثيابهم} قال ابن جريج، عن ابن عباس: تنكّروا له لئلا يعرفهم.

وقال سعيد بن جبير، والسدي: غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٢).

(ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا):

قال البغوي: «{وأسررت لهم إسرارا} قال ابن عباس: يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بيني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣٠).

(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا):

قال القرطبي: في هذه الآية والتي في "هود" -يعني قوله تعالى: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم)- دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار.

قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا، فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يُستنزل بها المطر، ثم قرأ: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا).

وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: (ما على المحسنين من سبيل)، وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله. وقال له آخر. ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئا، إن الله تعالى يقول في سورة نوح: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)».

«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٢).

وقال ابن القيم: «وأما الاستغفار، فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة.

فالمفرد: كقول نوح عليه السلام لقومه: {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا}، وكقول صالح لقومه: {لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون}، وكقوله تعالى: {واستغفروا الله إن الله غفور رحيم}، وقوله: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}.

والمقرون: كقوله تعالى: {استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله}، وقول صالح لقومه: {فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب}، وقول شعيب: {واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود}.

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة نفسها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهي محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن

الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم. وحقيقتها: وقاية شر الذنب، ومنه المِغفَر، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية.

وهذا الاستغفار الذي يمنع العذاب في قوله: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، فإن الله لا يعذب مستغفرا، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب.

فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق. وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى، فالاستغفار: طلب وقاية شره. وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

وأيضا: فإن المذنب بمنزلة من قد ارتكب طريقا تؤديه إلى هلاكه ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي توصله وفيها فلاحه.

فها هنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره. فخصّت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين. ولهذا -والله أعلم- جاء الأمر بهما مرتبا بقوله: {استغفروا ربكم ثم توبوا إليه} فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة طريق الباطل.

وأيضا: فالاستغفار من باب طلب إزالة الضرر، والتوبة: طلب جلب المنفعة. فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد الوقاية ما يحبه، فكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده. والله أعلم». «مدارج السالكين» (١/ ٤٧٤-٤٧٦).

وقال ابن كثير: «ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية. «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة نوح ١-١٢

١- لم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه ليكون أبلغ في إيصال رسالة الله إليهم، وتوضيح طريق الهداية لهم، وإقامة الحجة عليهم، وإنذارهم من العذاب الأليم (إنا أسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين).

٢- إذا أردت مغفرة ذنوبك، والبركة في عمرك، والسلامة من عذاب الله في الدنيا والآخرة فاعبد الله مخلصا له الدين، واتّق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطع الرسول صلى الله عليه وسلم في أوامره ونواهيه (أن اعبدوا الله واتّقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون).

٣- عليك في دعوتك إلى الله أن تنوّعَ الوسائل والأساليب، وتبذلَ الأسباب المتنوّعة، وتترفّق بالمدعوّين، وتصبر على أذاهم وإعراضهم (قال ربّ إني دعوت قومي ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائي إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا).

٤- أكثر من الاستغفار، واجعله على لسانك دائما، مستحضرا ذنوبك الدقيقة والجليلة، والقديمة والحديثة، والعامّة والخاصّة، وأبشر بمغفرة الرب الرحيم الغفار، وبسعة الرزق والأموال والأولاد، وبزوال الفقر والعُقم والأحزان (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة نوح ١٣-٢٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾

ما شأنكم -يا قوم- لا تخافون عظمة الله حيث تعصونه دون مبالاة؟!

﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾

وقد خلقكم طَوْرًا بعد طَوْر من نُطْفة فَعَلَقة فمُضْغة.

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥﴾

ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات، سماء فوق سماء؟!

﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾

وجعل القمر في السماء الدنيا منهن ضياء لأهل الأرض، وجعل الشمس مضيئة.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾

والله خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم من تراب، ثم أنتم تتغذون بما تُنْبته لكم.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾

ثم يعيدكم فيها بعد موتكم، ثم يخرجكم للبعث منها إخراجًا.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩﴾

والله جعل لكم الأرض مبسوطة مهيَّأة للسُّكْنى.

﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾

رجاء أن تسلكوا منها طرقًا واسعة سعيًا للكسب الحلال.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة نوح ١٣-٢٠

الكلمة	المعنى
لا تَرجُون لله وَقارًا	لا تخافون عظَمة الله
خَلَقكُم أطوارًا	خلقكم على مراحلَ متدرّجة طَورًا بعد طَوْر
طِباقًا	متطابقةً بعضها فوقَ بعض
سِراجًا	مِصباحًا مُضيئًا
أنبَتَكُم مِن الأرض	خلق أباكم آدم من تُربة الأرض
يُعيدكم فيها	يَدفِنُكُم فيها بعد الموت
بِسَاطًا	مبسوطةً مُمَهّدة
سُبُلا فِجَاجًا	طُرُقًا واسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة نوح ١٣-٢٠

(ما لكم لا ترجُون لله وقارا):

قال ابن القيم: «الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل خائف راج. ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف؛ قال تعالى: {ما لكم لا ترجون لله وقارا}، قال كثير من المفسرين: المعنى: ما لكم لا تخافون لله عظمة؟ قالوا: والرجاء بمعنى الخوف. والتحقيق: أنه ملازم له، فكل راج خائف من فوات مرجوه، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط. وقال تعالى: {قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله}، قالوا في تفسيرها: لا يخافون وقائع الله بهم، كوقائعه بمن قبلهم من الأمم». «مدارج السالكين» (٢/ ٢٨٢).

وقال ابن القيم: «من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره؛ فإنك توقّر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقّر الله أن يراك عليها!

قال تعالى: {ما لكم لا ترجون لله وقارا}؛ أي: لا تعاملونه معاملة من توقّرونه، والتوقير: العظمة، ومنه قوله تعالى: {وتوقّروه}؛ قال الحسن: ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرونه؟! وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم. وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة. وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته.

وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله وعرفوا حق عظمته وحّدوه وأطاعوه وشكروه؛ فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب.

ولهذا قال بعض السلف: لِيَعظُم وقارُ الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يُستحيى من ذكره، فيقرن اسمه به؛ كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن، ونحو ذلك! فهذا من وقار الله.

ومن وقاره: أن لا تعدل به شيئا من خلقه، لا في اللفظ بحيث تقول: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت.

ولا في الحب والتعظيم والإجلال.

ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم؛ كما عليه أكثر الظلمة والفجرة.

ولا في الخوف والرجاء؛ ويجعله أهون الناظرين إليه.

ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة.

ولا يجعله على الفضلة، ويقدم حق المخلوق عليه.

ولا يكون الله ورسوله في حد وناحية، والناس في ناحية وحد، فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله.

ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه.

ولا يجعل مراد نفسه مقدما على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب، ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإن وقّروه مخافة شره؛ فذاك وقار بغض، لا وقار حب وتعظيم.

ومن وقار الله: أن يستحيي من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره.

ومن وقاره: أن يستحيي منه في الخلوة أعظم مما يستحيي من أكابر الناس.

والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟!

القرآن والعلم وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم صلات من الحق وتنبيهات وروادع وزواجر واردة إليك، والشيب زاجر ورادع وموقظ قائم بك؛ فلا ما ورد إليك وعظك، ولا ما قام بك نصحك، ومع هذا تطلب التوقير والتعظيم من غيرك!! فأنت كمصاب لم تؤثر فيه مصيبته وعظا وانزجارا، وهو يطلب من غيره أن يتعظ وينزجر بالنظر إلى مصابك؛ فالضرب لم يؤثر فيه زجرا، وهو يريد الانزجار ممن نظر إلى ضربه!». «الفوائد» (١/ ٢٧٢-٢٧٤).

(وقد خلقكم أطوارا):

«عن قتادة: (وقد خلقكم أطوارا) طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت به الشعر، فتبارك الله أحسن الخالقين». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٣٦).

وقال السعدي: «{وقد خلقكم أطوارا} أي: خلقا من بعد خلق، في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم في سن

الطفولة، ثم التمييز، ثم الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم». «تفسير السعدي» (ص٨٨٩).

(ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا):

قال ابن تيمية: «الله أخبر أنا نرى السموات بقوله: {الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}. وقال: {أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج}، وأمثال ذلك من النصوص الدالة على أن السماء مشاهدة؛ والمشاهد هو الفلك؛ فدل على أن أحدهما هو الآخر». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٩٣).

(وجعل القمر فيهنّ نورا وجعل الشمس سراجا):

قال البغوي: «{وجعل القمر فيهن نورا} قال الحسن: يعني في السماء الدنيا، كما يقال: أتيت بني تميم، وإنما أتى بعضهم. وفلان متوار في دور بني فلان، وإنما هو في دار واحدة». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣١).

وقال ابن تيمية: «لفظ النور يقع على الجواهر المنيرة، وعلى الأعراض القائمة بالمستنير بها أخرى، قال تعالى: {وجعل القمر فيهن نورا}، فجعل القمر نفسه نورا، وهو جوهر قائم بنفسه، ويقال لضوئه وضوء الشمس: نور». «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٤٨٩).

(والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا):

قال ابن عطية: «(أنبتكم من الأرض نباتا) استعارة من حيث أخذ آدم عليه السلام من الأرض، ثم صار الجميع نباتا منه.

وقوله تعالى: (نباتا) مصدر جار على غير المصدر، التقدير: فنبتّم نباتا.

والإعادة فيها: هي بالدفن فيها الذي هو عُرف البشر.

والإخراج: هو البعث يوم القيامة لموقف العرض والجزاء». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٧٥).

(والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلا فجاجا):

قال ابن كثير: «وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة نوح ١٣-٢٠

١- عظّم الله حقّ تعظيمه، واتّق الله حقّ تُقاته، واستحْيِ من الله حقّ الحياء، وذلك بأن تحفظ الرأس وما وعى، فلا تعتقد غير الحق، ولا تفكّر في حرام، وتحفظ البطن وما حوى، فلا تأكل الحرام، وتذكُرَ الموت والبِلى، فتستعدّ لذلك، وتعلم أن من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا (ما لكم لا ترجُون لله وقارا).

٢- تأمّل في كيفية خلقِك، فقد خلقك الله من نطفة، ثم صرت علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأك خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم لما خرجت من بطن أمك جعلك طفلا، ثم شابا، ثم كهلا، ثم شيخا، فالقادر على ذلك كله قادر على بعثك بعد موتك للحساب والجزاء (وقد خلقكم أطوارا).

٣- تفكّر في خلق السماوات، وكيف أحكم الله خلقها، وأتقن صُنعها، وجعلها طبقة فوق طبقة، وجعل فيها القمر لنعلم عدد السنين والحساب، وجعل فيها الشمس لتحقيق مصالحنا المعيشيّة، فالحمد لله رب العالمين (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا * وجعل القمر فيهنّ نورا وجعل الشمس سراجا).

٤- خلق الله أبانا آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، ثم نُدفن بعد موتنا في الأرض، ثم نخرج بعد ذلك من الأرض للحساب والجزاء، فاللهم اجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين (والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا).

٥- من نعم الله أن هيّأ الأرض لمصالحنا، فجعلها مبسوطة لتسهيل انتقالاتنا فيها، بل سخّر لنا ما في الأرض جميعا منه، فاللهم أوزعنا أن نشكر نعمتك (والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلا فجاجا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة نوح ٢١-٢٨ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾

قال نوح: يا رب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من توحيدك وعبادتك وحدك، واتبع السفلةُ منهم رؤساءَهم الذين أنعمت عليهم بالمال والولد، فلم يزدهم ما أنعمت به عليهم إلا ضلالًا.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾

ومكر الأكابر منهم مكرًا عظيمًا بتحريشهم أسافلَهم على نوح.

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾

وقالوا لأتباعهم: لا تتركوا عبادة آلهتكم؛ ولا تتركوا عبادة أصنامكم وَدٍّ ولا سُوَاعٍ ولا يَغُوث ولا يَعُوق ولا نسْر.

﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾

وقد أضلّوا بأصنامهم هذه كثيرًا من الناس، ولا تزد -يا رب- الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر والمعاصي إلا ضلالًا عن الحق.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾

بسبب خطيئاتهم التي ارتكبوها أغْرِقوا بالطوفان في الدنيا، فأُدْخِلوا النار بعد موتهم مباشرة، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارًا ينقذونهم من الغرق والنار.

﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾

وقال نوح لما أخبره الله أنَّه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن: يا رب، لا تترك على الأرض من الكافرين أحدًا يدور أو يتحرك.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾

إنك -ربنا- إن تتركهم وتمهلهم يضلّوا عبادك المؤمنين، ولا يلدوا إلا صاحبَ فجورٍ لا يطيعك، وشديدَ كفرٍ لا يشكرك على نعمك.

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾

ربّ اغفر لي ذنوبي، واغفر لوالديَّ، واغفر لمن دخل بيتي مؤمنًا، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي إلا هلاكًا وخسرانًا.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• دَور الأكابر في إضلال الأصاغر ظاهر مُشَاهَد.

• الذنوب سبب للهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة نوح ٢١-٢٨

الكلمة	المعنى
إلا خَسَارًا	إلا ضلالًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة
مكرًا كُبّارًا	مكرًا عظيمًا
لا تَذَرُنّ آلهتكم	لا تتركُنّ عبادةَ آلهتِكم
وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغوث ويَعوق ونَسرًا	أسماءُ أصنامِ قوم نوح
إلا ضلالًا	إلا بُعدًا عن الحق
ممّا خطيئاتهم	بسبب ذنوبِهم وكُفرِهم
لا تَذَرْ	لا تَترُكْ
دَيّارًا	أحدًا حيًّا على الأرض يدور ويتحرّك
فاجرًا كَفّارًا	شديدَ العصيان والكفر
تَبارًا	دَمارًا وهلاكًا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة نوح ٢١-٢٨

(قال نوح ربِّ إنهم عصوني واتّبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا):

قال القرطبي: «قال أهل التفسير: لبث فيهم -يعني: نوحا عليه السلام- ألف سنة إلا خمسين عاما داعيا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم. قال ابن عباس: رجا نوح عليه السلام الأبناء بعد الآباء، فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم، وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشَوا». «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٦).

وقال البقاعي: «البسط لهم في الدنيا بذلك -يعني: بالمال والولد- كان سبباً لطغيانهم وبطرهم واتباعهم لأهوائهم، حتى كفروا واستغووا غيرهم فغلبوا عليهم، فكانوا سبباً في شقائهم وخسارتهم بخسارتهم، وكان عندهم أنها زادتهم رفعة». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٠/ ٤٤٧).

(ومكروا مكرا كُبّارا):

قال البغوي: «واختلفوا في معنى مكرهم. قال ابن عباس: قالوا قولا عظيما. وقال الضحاك: افتروا على الله وكذّبوا رسله. وقيل: منَع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح، وحرّضوهم على قتله». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣٢).

(وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرُنّ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا):

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود: كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسّخ العلم عبدت». «صحيح البخاري» (٦/ ١٦٠).

وقال القرطبي: «قال محمد بن كعب: كان لآدم عليه السلام خمس بنين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا عبّادا، فمات واحد منهم، فحزنوا عليه، فقال الشيطان: أنا أصوّر لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه، قالوا: افعل. فصوّره في المسجد من صُفر ورصاص، ثم مات آخر فصوّره، حتى ماتوا كلهم فصوّرهم. وتنقصت الأشياء كما تُنتقص اليوم إلى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئا؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا ترون في مصلاكم؟ فعبدوها من دون الله، حتى بعث الله نوحا فقالوا: (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا) الآية...

قلت: وبهذا المعنى فسّر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة تسمى مارية فيها تصاوير، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٧).

وقال ابن تيمية: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما فعلوا. قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدا. وفي صحيح مسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس: (إنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك). وفي صحيح مسلم أيضا أنه قال: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها).

فنهى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد، وعن الصلاة إليها، ولعن اليهود والنصارى لكونهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ لأن هذا كان هو أول أسباب الشرك في قوم نوح، قال الله تعالى عنهم: {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا. وقد أضلوا كثيرا} قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم. فهو صلى الله عليه وسلم لكمال نصحه لأمته حذّرهم أن يقعوا فيما وقع فيه المشركون وأهل الكتاب، فنهاهم عن اتخاذ القبور مساجد، وعن الصلاة إليها؛ لئلا يتشبهوا بالكفار، كما نهاهم عن الصلاة

وقت طلوع الشمس ووقت غروبها؛ لئلا يتشبهوا بالكفار». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٢٦).

(وقد أضلّوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا):

قال ابن الجوزي: «(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً) فيه قولان:

أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيراً من الناس، أي: ضلوا بسببها.

والثاني: وقد أضلَّ الكبراء كثيراً من الناس». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٤٤).

وقال ابن كثير: «{وقد أضلوا كثيرا} يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم. وقد قال الخليل -عليه السلام- في دعائه: {واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام. ربّ إنهن أضللن كثيرا من الناس}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٦).

(مما خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا):

قال البغوي: «{أغرقوا} بالطوفان {فأدخلوا نارا} قال الضحاك: هي في حالة واحدة في الدنيا، يغرقون من جانب، ويحترقون من جانب. وقال مقاتل: {فأدخلوا نارا} في الآخرة». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣٣).

(وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا):

«عن قتادة، في قوله: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)، أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)، فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح، فقال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)، ثم دعاه دعوة عامة فقال: (ربّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) إلى قوله: (تبارا)». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٤٢).

وقال ابن جُزي: «(ديّارا) من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديّار، أي: ما فيها أحد،

ووزنه: فيعال، وكان أصله ديوار، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. وليس وزنه: فعال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: دوار؛ لأنه مشتق من الدور أو من الدار». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٦).

وقال ابن كثير: «استجاب الله له، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: {سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين}... ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح -عليه السلام- وهم الذين أمره الله بحملهم معه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٦).

(إنك إن تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّارا):

قال السعدي: «{إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا} أي: بقاؤهم مفسدة محضة لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح -عليه السلام- ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم». «تفسير السعدي» (ص٨٨٩).

(ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا):

«عن مجاهد، قال: كانوا يضربون نوحًا حتى يُغْشَى عليه، فإذا أفاق قال: ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٤٣).

وقال ابن الجوزي: «(بيتيَ) بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: منزله، قاله ابن عباس.

والثاني: مسجده، قاله الضّحّاك.

والثالث: سفينته، حكاه الثّعلبيّ». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٤٥).

وقال ابن جُزي: «(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ) يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدّم الإنسان الدعاء لنفسه على

الدعاء لغيره.

وكان والدا نوح عليه السلام مؤمنين. قال ابن عباس: لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام...

(وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ) هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك، خلافا لمن قال من المتأخرين: إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة. قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٦).

وقال ابن كثير: «{وللمؤمنين والمؤمنات} دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يعم الأحياء منهم والأموات؛ ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح -عليه السلام- وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة نوح ٢١-٢٨

١- اعلم أن كثرة الأموال والأولاد تُطغي كثيرا من الناس، وتمنعهم من تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى الذي أنعم عليهم بالأموال والأولاد، فيخسرون بذلك دنياهم وآخرتهم، فاسأل الله السلامة من حالهم (قال نوح ربِّ إنهم عصوني واتّبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا).

٢- أهل الكفر والزندقة والإلحاد اليوم يمكرون بالمسلمين مكرا عظيما كثيرا متنوّعا، لتشكيكهم في دينهم، وزعزعة إيمانهم، وطمس هويّتهم، فاحذر كيدَهم، وكُن مُعتزّا بإيمانك، شامخًا بعقيدتك، فخورًا بتعاليم دينك، فالشموخ والثبات في زمن الخضوع والضياع يرفعك عند الله درجات (ومكروا مكرا كُبّارا).

٣- اعلم أن من أوجب الواجبات عليك بيان حقيقة الشرك للناس، وتحذيرهم من الوقوع فيه، وصيانة عقائدهم من لوثته، ومنعهم من ارتكاب الوسائل المؤدّية إليه، وسؤال الله السلامة والعافية منه (وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرُنّ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا. وقد أضلّوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا).

٤- احذر وحذّر الناس مِن حولِك من التساهل في ارتكاب الخطايا والآثام والمجاهرة بها، وأعظمها على الإطلاق الكفر بالله وبرسله وأنبيائه وملائكته وكتبه واليوم الآخر، فإن أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمةٌ أليم شديد (مما خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا).

٥- تحلَّ بالصبر في دعوة الناس، اقتداءً بنوح عليه السلام، فإنه صبر على دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ولم يَدعُ عليهم بالهلاك العامّ إلا بعد ما أوحى الله إليه أنه لن يؤمن مِن قومك إلا مَن قد آمن، فاجتهِد في الدعوة إلى الله، واصبر وصابر واصطبر، ولا تستعجل الدعاء على من لا يستجيب لدعوتك (وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا. إنك إن تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّارا).

٦- احرص على الدعاء لوالديك وأقاربك وجيرانك وللمؤمنين والمؤمنات، مبتدئا بنفسك (ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة نوح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة نوح.

أبدأ بالآية الأولى في السورة وهي قول الله تعالى: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (أن أنذر قومك) جملة مفسِّرة لما أُرسل به نوح عليه السلام، فتقدير الجملة: إنا أرسلنا نوحا إلى قومه بأن أنذر قومك، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها لا وقف فيها: (قال يا قومِ إني لكم نذير مبين).

الآية الثالثة: (أن اعبدوا الله واتقوه) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا جائز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (وأطيعون) هو في بيان حق الرسول بعد أن بيَّن حق الله سبحانه وتعالى المطلوبِ منهم أداؤه، فقال: (أن اعبدوا الله واتقوه)، وهذان حقان خالصان لله سبحانه، ثم قال: (وأطيعون) وهذا حق للرسول، فمن نظر إلى هذا صحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن هذه الحقوق الثلاثة مرتبطة ببعضها، فلا تحقيق لعبادة الله وتقواه إلا بطاعة الرسول، فإنه لم يصحح الوقف هنا.

والأمر في هذا محتمل، والأولى عدم الوقف. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة: (يغفر لكم من ذنوبكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ويؤخرْكم إلى أجل مسمًّى) جملة معطوفة على جملة: (يغفرْ) مجزومة مثلها، وهي من تتمة بيان ثوابهم إذا هم عبدوا الله واتقوه وأطاعوا رسوله، فلا يوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ويؤخرْكم إلى أجل مسمًّى)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى هنا ذكر ثواب عبادة الله وتقواه وطاعة نبيه، ثم جاءت جملة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر)؟

نصّ السجاوندي رحمه الله على أن الوقف هنا لازم، وجعله الأشموني جائزا، ووُضعت هنا علامة الوقف الجائز في مصحف المدينة، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء.

وإذا تأملنا فإنه تعالى قال بعدها: (لو كنتم تعلمون)، و(لو) هنا جوابها محذوف تقديره: لو كنتم تعلمون لما كفرتم، أو لآمنتم، أو لبادرتم إلى عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله.

فمن نظر إلى أن جواب (لو) دل عليه سياق الآيات جملةً صحّح الوقف قبلها.

ومن نظر إلى أن جواب (لو) إنما يدل عليه ما قبله، فلو وُصل بما قبله لتبيّن الجواب المراد، فإنه لا يصحح الوقف هنا.

والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وأما نص السجاوندي رحمه الله على أن الوقف هنا لازم، فإنه نظر إلى أنه لو وُصل قوله تعالى: (إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر) بقوله: (لو كنتم تعلمون)، لأوهم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر إذا كانوا يعلمون – يعني في هذه الحالة فقط–، أما إن لم يكونوا يعلمون فإنه قد يؤخّر، فحتى لا يوهم بوصله هذا المعنى جعل الوقف لازما. لكن هذا المعنى بعيد جدا، ولا يطرأ على بال أحدٍ يفهم اللغة العربية ويفهم سياق الكلام، فالتنصيص على لزومه فيه نوع بعد. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة لا وقف فيها: (قال ربّ إني دعوت قومي ليلا ونهارا).

وكذلك الآية السادسة: (فلم يزدهم دعائي إلا فرارا).

الآية السابعة: (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن جواب (كلّما) لم يأت بعد. (كلّما) لها فعل وجواب، فعلها: (دعوتهم لتغفر لهم)، وجوابها: (جعلوا أصابعهم في آذانهم)، ثم عُطف على جوابها: (واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا). فهذا كله من تتمة بيان ما يفعلونه عندما يدعوهم نوح عليه السلام ليغفر الله لهم ما سلف من ذنوبهم، فلا وقف إلا في نهاية الآية.

الآية الثامنة لا وقف فيها: (ثم إني دعوتهم جهارا).

وكذلك الآية التاسعة: (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا).

وكذلك الآية العاشرة: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا).

وكذلك الآية الحادية عشرة: (يرسل السماء عليكم مدرارا).

الآية الثانية عشرة: (ويمددكم بأموال وبنين) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ويجعل لكم جنات) جملة معطوفة مجزومة، عُطفت على (يرسل) في قوله: (يرسل السماء عليكم مدرارا)، فهي من تتمة بيان ثواب الاستغفار، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وكذلك لا يصح الوقف على قوله: (ويجعل لكم جنات) لذات السبب، فإن قوله: (ويجعل لكم أنهارا) جملة مجزومة معطوفة على قوله: (يرسل)، وهي من تتمة بيان ثواب الاستغفار.

الآية الثالثة عشرة لا وقف فيها: (ما لكم لا ترجون لله وقارا).

وكذلك الآية الرابعة عشرة: (وقد خلقكم أطوارا).

وكذلك الآية الخامسة عشرة: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا).

وكذلك الآية السادسة عشرة: (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا).

وكذلك الآية السابعة عشرة: (والله أنبتكم من الأرض نباتا).

وكذلك الآية الثامنة عشرة: (ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا).

وكذلك الآية التاسعة عشرة: (والله جعل لكم الأرض بساطا).

وكذلك الآية العشرون: (لتسلكوا منها سبلا فجاجا).

الآية الحادية والعشرون: (قال نوح رب إنهم عصوني) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ الأشموني على أن الوقف هنا جائز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن نوحا عليه السلام ذكر في حكايته لحال قومه أمرين: الأول: أنهم عصوه فيما دعاهم إليه. والثاني: أنهم في المقابل اتبعوا رؤساءهم وكبراءهم، فمن نظر إلى هذا صحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) هي جملة معطوفة على قوله: (عصوني) التي هي خبر (إنّ)، وهي من تتمة بيان حالهم وأنهم قابلوه بعصيانه وباتباع معارضيه، وأنهم إنما عصوه لأنهم اتبعوا رؤساءهم وكبراءهم، فمن نظر إلى هذا لم يصحح الوقف هنا.

والأمر في هذا محتمل، والأولى عدم الوقف. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية والعشرون لا وقف فيها: (ومكروا مكرا كبّارا).

الآية الثالثة والعشرون: (وقالوا لا تذرنّ آلهتكم) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا جائز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنهم نَهوا أتباعهم عن ترك عبادة آلهتهم جملةً، وهذا في قولهم في الجملة الأولى: (لا تذرنّ آلهتكم)، ثم نهوهم نهيا خاصا عن ترك آلهة مخصوصة بتكرار النهي والفعل في قوله: (ولا تذرنّ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)، فمن نظر إلى هذا، وإلى أن الفعل وأداة النهي قد تكررا، صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن النهي عن ترك هذه الآلهة المخصوصة هو من تتمة النهي الأول ومن بيانه بيانا تفصيليا، لم يصحّح الوقف هنا.

والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة والعشرون: (وقد أضلّوا كثيرا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى هنا بيان حال قوم نوح مع رؤسائهم وكبرائهم ومع أصنامهم، ثم جاءت جملة هي من تتمة دعاء نوح عليه السلام على قومه بعد أن بيَّن حالهم، فقال: (قال نوح ربّ إنهم عصوني)، فدعاؤه: (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا). لكنه فصل بين قوله: (ربّ) وبين الدعاء بذكر حالهم، للتوسل إلى الله سبحانه وتعالى حتى يهلكهم جميعا، فصارت جملة: (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) جملة لا علاقة لها بالجملة التي قبلها مباشرة، فصحّ فصلها والابتداء بها. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة والعشرون: (مما خطيئاتهم أُغرقوا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فأُدخلوا نارا) معطوف على قوله: (أُغرقوا)، وهو من تتمة بيان عقوبتهم على خطيئاتهم، فكانت عقوبتهم أنهم أُغرقوا وأنهم أُدخِلوا نارا، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فأُدخلوا نارا)؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا جائز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) بيانٌ لأمر خارجٍ عن أصل عقوبتهم التي عوقبوا بها، فهم عوقبوا بأنهم أُغرقوا فأُدخِلوا نارا، وانتهى ذكر العقوبة هنا، ثم عطف على ذلك بيان أنهم لم يجدوا لهم أحدا ينصرهم من دون الله، فمن نظر إلى هذا صحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن كونهم لم يجدوا من دون الله أنصارا هو من تتمة عقوبتهم، إذ لو وجدوا أنصارا لخُفِّف عنهم العذاب أو أُزيل عنهم، فمن نظر إلى هذا لم يصحح الوقف هنا.

والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

الآية السادسة والعشرون لا وقف فيها: (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا).

الآية السابعة والعشرون: (إنك إن تذرهم يُضلّوا عبادك) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) معطوف على جواب الشرط في قوله: (يُضلّوا عبادك)، فـ(يُضلّوا عبادك) مجزوم لأنه جواب الشرط، وعُطف عليه: (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)، وقوله: (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) هو من تتمة بيان ما سيحصل منهم إن تُركوا أحياء، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن دعاء نوح عليه السلام لنفسه ولمن معه وللمؤمنين والمؤمنات قد انتهى هنا، ثم دعا على الكافرين بقوله: (ولا تزد الظالمين إلا تبارا)، فصحّ الفصل بين دعائه للمؤمنين ودعائه على الكافرين. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة نوح. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المعارج ١-١٨ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة المعارج: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان حال وجزاء الخلق يوم القيامة.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾

دعا داعٍ من المشركين على نفسه وقومه بعذاب إن كان هذا العذاب حاصلًا، وهو سخرية منه، وهو واقع يوم القيامة.

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢﴾

للكافرين بالله، ليس لهذا العذاب من يرده.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾

من الله ذي العلو والدرجات والفواضل والنعم.

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾

تصعد إليه الملائكة وجبريل في تلك الدرجات، في يوم القيامة؛ وهو يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة.

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾

فاصبر -أيها الرسول- صبرًا لا جَزَع فيه ولا شكوى.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦﴾

إنهم يرون هذا العذاب بعيدًا مستحيل الوقوع.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾

ونراه نحن قريبًا واقعًا لا محالة.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾

يوم تكون السماء مثل المُذَاب من النحاس والذهب وغيرهما.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾

وتكون الجبال مثل الصوف في الخِفَّة.

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾

ولا يسأل قريب قريبًا عن حاله؛ لأن كل واحد مشغول بنفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١﴾

يشاهد كل إنسان قريبه لا يخفى عليه، ومع ذلك لا يسأل أحد أحدًا لهول الموقف، يودّ من استحق النار أن يقدم أولاده للعذاب بدلًا منه.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢﴾

ويفتدي بزوجته وأخيه.

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣﴾

ويفتدي بعشيرته الأقربين منه، الذين يقفون معه في الشدائد.

﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾

ويفتدى بمن في الأرض جميعًا من الإنس والجن وغيرهما، ثم يسلّمه ذلك الافتداء، وينقذه من عذاب النار.

﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥﴾

ليس الأمر كما تمنّى هذا المجرم، إنها نار الآخرة تلتهب وتشتعل.

﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾

تفصل جلدة الرأس فصلًا شديدًا من شدة حرّها واشتعالها.

﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾

تنادي من أعرض عن الحق، وأبعد عنه ولم يؤمن به ولم يعمل.

﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾

وجَمَع المال، وضنّ بالإنفاق منه في سبيل الله.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الصبر الجميل الذي يحتسب فيه الأجر من الله ولا يُشكى لغيره.

• شدة عذاب النار حيث يود أهل النار أن ينجوا منها بكل وسيلة مما كانوا يعرفونه من وسائل الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المعارج ١-١٨

الكلمة	المعنى
سأَل سَائِل	دَعا داعٍ من المشركين على نفسِه وقومِه
بِعذابٍ واقع	بنزول العذاب عليهم، وهو واقعٌ بهم لا محالة
ليس له دافِع	ليس له مانعٌ يمنعُه من الله
ذِي المعارِج	صاحبِ العلوِّ والجلالِ والعظمة
تعرُجُ الملائكة	تَصعدُ الملائكة
والرُّوحُ	جبريلُ عليه السلام، أو: الأرواحُ كلّها
صبرًا جميلًا	صبرًا لا جزَع فيه ولا شكوى منه لغير الله تعالى
كالمُهْل	سائلةً كالنحاسِ المذاب، أو: كحُثالةِ الزيت
كالعِهْن	كالصّوفِ المنفُوش
حَمِيمٌ	قريبٌ
يُبصَّرُونهم	يُشاهد بعضُهم بعضًا ويَعرِفُه ولا يُكلِّمه
يَوَدّ	يتمنّى
يَفتدِي	يُخلّصُ نفسَه بشيءٍ يُقدّمه بدلًا عن العذاب
وصاحبتِه	وزوجتِه
وفصيلتِه	وعشيرتِه
الّتي تُؤوِيه	الّتي تضُمُّه في النسب، وتقفُ معه عند الشدائد
إنّها لَظَى	إنها جهنّم تلتهبُ نارُها
نزّاعةً للشَّوَى	تنزعُ بشدّةِ حرّها جِلدَ الرأسِ وسائرِ البدن
وجَمَع فأَوعَى	وجمع المالَ فأمسكه بُخلا به

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المعارج ١-١٨

(سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج):

قال ابن جُزي: «(سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ): من قرأ: (سأل) بالهمز احتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء، أي: دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار: (أمطر علينا حجارة من السماء)، وكان الذي قالها النضر بن الحارث.

والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار، أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى "عن"، وتكون الإشارة إلى قوله: (متى هذا الوعد)، وغير ذلك.

وأما من قرأ: (سال) بغير همز فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مخففا من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران.

والثاني: أن يكون من سال السيل إذا جرى، ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس: سال سيل، وتكون الباء على هذا كقولك: ذهبت بزيد، وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شَبّه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.

وثانيهما: أن تكون حقيقة. قال زيد بن ثابت: في جهنم واد يقال له سائل.

فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين، وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

(لِلْكافِرِينَ) يحتمل أن يتعلق بـ(واقع)، وتكون اللام بمعنى على، أو تكون صفة للعذاب، أو يتعلق بـ(سأل) إذا كانت بمعنى دعا، أي: دعا للكافرين بعذاب، أو تكون مستأنفا كأنه قال: هو للكافرين.

(مِنَ اللهِ) يحتمل أن يتعلق بـ(واقع)، أي: واقع من عند الله، أو بـ(دافع) أي: ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة للعذاب، أو مستأنفا». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤٠٩-٤١٠).

وقال السعدي: «العذاب لا بد أن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجَّل لهم في الدنيا، وإما أن يؤَخَّر عنهم إلى الآخرة، فلو عرفوا الله تعالى، وعرفوا عظمته وسعة سلطانه وكمال أسمائه وصفاته لما استعجلوا، ولاستسلموا وتأدّبوا». «تفسير السعدي» (ص٨٨٥).

(تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة):

قال ابن الجوزي: «وفي "الروح" قولان:

أحدهما: أنه جبريل، قاله الأكثرون.

والثاني: أنه روح الميت حين تقبض، قاله قبيصة بن ذؤيب». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٣٦).

وقال ابن الجوزي: «(في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس والحسن وقتادة والقرظي، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق. وفي الحديث: «إنه ليخفّف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة».

وقيل: بل لو ولي حساب الخلق سوى الله عز وجل لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحق يفرغ منه في ساعة من نهار.

وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. فعلى هذا يكون المعنى: ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

وقيل: المعنى: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير.

والثاني: أنه مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٣٦).

وقال ابن جُزي: «والصحيح أنه يوم القيامة؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث مانع الزكاة: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّي زكاتها إلا صفّحت له صفائح من نار، يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد). يعني: يوم القيامة». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤١٠).

وقال ابن تيمية: «دلالة الكتاب والسنة على إثبات صفات الكمال وأنه نفسه فوق العرش أعظم من أن تُحصر؛ كقوله: {إليه يصعد الكلم الطيب}، وقوله: {بل رفعه الله إليه}، وقوله: {تعرج الملائكة والروح إليه}، وقوله: {إن الذين عند ربك}. وقد قيل: إن ذلك يبلغ ثلاثمائة آية، وهي دلائل جلية بينة مفهومة من القرآن، معقولة من كلام الله تعالى». «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٤).

وقال ابن القيم: «أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى: {سبح اسم ربك الأعلى}، وأن لله علو الغلبة، والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل، فثبت بذلك أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة.

وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق= حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق، قال تعالى: {يخافون ربهم من فوقهم}، وقال: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}، {تعرج الملائكة والروح إليه}». «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٩٩).

وقال السعدي: «وتعرج إليه (الروح)، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتَعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتُحيّي ربها وتُسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام.

وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض.

ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأرواح، وأنها تعرج في يوم بما يسّر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلى، فهذا المُلك العظيم، والعالم

الكبير، علويُّه وسفليُّه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره العلي الأعلى، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره ورزقه ما عمّهم وشملهم، وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي، وحكمه الجزائي.

فبؤسا لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم.

هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا.

ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن الله تبارك وتعالى يُظهر لعباده في يوم القيامة من عظمته وجلاله وكبريائه ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة ونازلة بالتدابير الإلهية، والشؤون في الخليقة، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن». «تفسير السعدي» (ص٨٨٥).

(فاصبر صبرا جميلا):

قال القرطبي: «(فاصبر صبرا جميلا) أي: على أذى قومك. والصبر الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله. وقيل: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو. والمعنيان متقاربان». «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٨٤).

(إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا):

قال ابن جُزي: «(إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً) يحتمل أن يعود الضمير على العذاب، أو على اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة، والبعيد يُحتمل أن يراد به بُعد الزمان أو بُعد الإمكان.

وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قُرب الزمان لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت، وقُرب الإمكان لقدرة الله عليه». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤١٠).

(يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن):

قال ابن جُزي: «العهن هو الصوف، شبّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه.

وقيل: هو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان، لأن الجبال منها بيض وسود وحمر». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤١٠).

وقال السعدي: «{تكون السماء كالمهل} وهو الرصاص المذاب من تشققها وبلوغ الهول منها كل مبلغ.

{وتكون الجبال كالعهن} وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذاك هباء منثورا فتضمحلّ، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ أليس حقيقا أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟». «تفسير السعدي» (ص٨٨٦).

(ولا يسأل حميم حميما * يبصّرونهم):

قال ابن جُزي: «الحميم هنا الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شيء. وقيل: لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه.

(يُبَصَّرُونَهُمْ) يقال: بصُر الرجل بالرجل إذا رآه، وبصَّرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه، والضميران يعودان على الحميمين لأنهما في معنى الجمع، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه، ولكنه لا يسأله». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٤١٠).

وقال ابن كثير: «{ولا يسأل حميم حميما. يبصرونهم} أي: لا يسأل القريب عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره.

قال العوفي عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضا، ويتعارفون بينهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول: {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}.

وهذه الآية الكريمة كقوله: {يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق}، وكقوله: {وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى}،

وكقوله: {فإذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}. وكقوله: {يوم يفرّ المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢٤).

(يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعا ثم يُنجيه * كلا):

قال الطبري: «يود الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم (ببنيه. وصاحبته) وهي زوجته، (وأخيه. وفصيلته) وهم عشيرته (التي تؤويه) يعني التي تضمه إلى رحله، وتنزل فيه امرأته، لقربة ما بينها وبينه، وبـ(من في الأرض جميعا) من الخلق، (ثم ينجيه) ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم.

وبدأ جل ثناؤه بذكر البنين، ثم الصاحبة، ثم الأخ، إعلاما منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه لو وجد إلى ذلك سبيلا بأحب الناس إليه كان في الدنيا، وأقربهم إليه نسبا». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٠٦).

(إنها لظى * نزاعة للشوى):

قال ابن الجوزي: «وفي المراد بـ "الشوى" أربعة أقوال:

أحدها: جلدة الرأس، قاله مجاهد.

والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن وأبو العالية.

والثالث: العصب والعقب، قاله ابن جبير.

والرابع: الأطراف: اليدان، والرجلان، والرأس، قاله الفراء والزجاج». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٣٧).

وقال ابن القيم: «في الآية تفسيران مشهوران:

أحدهما: أن الشوى: الأطراف التي ليست مقاتل، كاليدين والرجلين، تنزعها عن أماكنها، ومنه قولهم: "رمى الصيد فأشواه": إذا أصاب أطرافه دون مقاتله، فإن أصاب مقتله فمات موضعه، قيل: "رماه فأصماه"، فإن

حمل السهم وفرّ به ثم مات في موضع آخر، قيل: رماه فأنماه...

والتفسير الثاني: أن الشوى: جمع شواة، وهي جلدة الرأس وفروته». «بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٣١).

(تدعو من أدبر وتولّى):

قال البغوي: «{تدعو} أي: النار إلى نفسها {من أدبر} على الإيمان {وتولى} عن الحق، فتقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق، إليّ إليّ.

قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح، ثم تلتقطهم كما يَلتقط الطير الحب.

وحكي عن الخليل: أنه قال: (تدعو) أي: تعذّب. وقال: قال أعرابي لآخر: دعاك الله، أي: عذّبك الله». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٢٣).

(وجمع فأوعى):

قال ابن كثير: «{وجمع فأوعى} أي: جمع المال بعضه على بعض فأوعاه، أي: أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات، ومن إخراج الزكاة. وقد ورد في الحديث: (ولا توعي فيوعي الله عليك)...

وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا، ويقول: سمعت الله يقول: {وجمع فأوعى}.

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا!». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المعارج ١-١٨

١- استعجال عذاب الله تعالى استهزاء، أو استبعاده استنكارا، جهل بقدرة الله تعالى وقوته وجبروته وسلطانه، ولا يصدر إلا عن شخص بلغ الغاية في الحُمق والسفه، وعذاب الله واقع على الكافرين عاجلا أو آجلا، فمن شاء عاقبه في الدنيا، ومن شاء عاقبه في الآخرة (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج).

٢- الله سبحانه عالٍ فوق خلقه علوا يليق بجلاله وعظمته، تصعد إليه الملائكة وتهبط من عنده، وتصعد إليه الأعمال الصالحة، وتصعد إليه الأرواح الطيّبة عند الموت، فاحرص على فعل الصالحات وترك المنكرات مستحضرا أن أعمالك تُعرض على الله دوما (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).

٣- اصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله، واصبر على أذى الناس لك، واصبر على أقدار الله المؤلمة التي تصيبك في نفسك ومالك وأهلك وولدك، وليكن صبرك بدون أذى لأحد ولا شكوى لأحد غير الله، وأبشر، فإن عاقبة الصبر جميلة (فاصبر صبرا جميلا).

٤- اعلم أن الجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، والنار مثل ذلك، وليس بيننا وبينهما إلا الموت، والموت قد يأتي فجأة، فكن مستعدًّا للانتقال من الدنيا إلى الآخرة، واستكثر من الأعمال الصالحة، فإنك لا تعرف الحسنة التي قد تنجو بها، ولا السيئة التي قد تكون سببا في هلاكك، عافانا الله من غضبه وأليم عقابه (إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا).

٥- تدبّر ما ورد في القرآن من أهوال يوم القيامة بقلب حاضر، لتعلم أنك قادم على يوم عظيم، تنشق فيه السماوات، وتصير الجبال هباء منثورا، ويؤتى بجهنّم يومئذ تتلظّى، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها، فإذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا، وتنادي كلّ من أدبر عن الحق وتولّى عن طاعة الله، وجمع ماله فأوعاه وبخل به، ويمرّ الناس على الصراط من فوقها، فتنخلع القلوب من هول الموقف، ولا يذكر أحد أحدا، ولا يسأل صديق عن صديقه، بل كل أحد يطلب النجاة لنفسه، أما من أيقن أنه سيصلى نار جهنم فإنه يتمنى أن يفتدي بأحب الناس إليه وأقربهم منه حتى ينجو، ولكن هيهات، فاعمل لذلك اليوم، ولا تغرنّك الحياة الدنيا وزينتها، ولا

يغرنّك بالله الغَرور (يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن * ولا يسأل حميم حميما * يبصّرونهم يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعا ثم يُنجيه * كلا إنها لظى * نزّاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولّى * وجمع فأوعى).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المعارج ١٩-٣٥ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾

إن الإنسان خُلِق شديد الحرص.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠﴾

إذا أصابه ضُرٌّ من مرض أو فقر كان قليل الصبر.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾

وإذا أصابه ما يُسَرُّ به من خَصْب وغنًى كان كثير المنع لبذله في سبيل الله.

﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢﴾

إلا المصلّين، فهم سالمون من تلك الصفات الذميمة.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾

الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا ينشغلون عنها، ويؤدونها في وقتها المحدد لها.

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤﴾

والذين في أموالهم نصيب محدد مفروض.

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾

يدفعونه للذي يسألهم وللذي لا يسألهم ممن حُرم الرزق لأي سبب كان.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾

والذين يصدّقون بيوم القيامة، يومَ يجازي الله كلًّا بما يستحقّه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧﴾

والذين هم من عذاب ربهم خائفون، مع ما قدّموا من أعمالهم الصالحة.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨﴾

إن عذاب ربهم مخوف لا يأمنه عاقل.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩﴾

والذين هم لفروجهم حافظون بسَترها وإبعادها عن الفواحش.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾

إلا من زوجاتهم أو ما ملكوا من الإماء، فإنهم غير ملومين في التمتع بهنّ بالوطء فما دونه.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١﴾

فمن طلب الاستمتاع بغير ما ذُكر من الزوجات والإماء، فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢﴾

والذين هم لما ائتمنوا عليه من الأَموال والأسرار وغيرهما، ولعهودهم التي عاهدوا عليها الناس حافظون، لا يخونون أماناتهم، ولا ينقضون عهودهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣﴾

والذين هم قائمون بشهاداتهم على الوجه المطلوب، لا تؤثر قرابة ولا عداوة فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾

والذين هم على صلاتهم يحافظون؛ بأدائها في وقتها، وبطهارة وطمأنينة، لا يشغلهم عنها شاغل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾

أولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات مُكْرَمون؛ بما يلقونه من النعيم المقيم، والنظر إلى وجه الله الكريم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الصلاة من أعظم ما تُكفَّر به السيئات في الدنيا، ويُتوقى بها من نار الآخرة.

• الخوف من عذاب الله دافع للعمل الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المعارج ١٩-٣٥

الكلمة	المعنى
هَلوعًا	شديدَ الجزَع والحِرص
مسَّه الشّرّ	أصابه الضّرّ
جَزُوعًا	كثيرَ الجَزَع والأَسى
مسَّه الخير	أصابه الخير
مَنُوعًا	كثيرَ المنْع والإمساك
دَائِمُون	مُواظِبون على أدائها في أوقاتها
حقٌّ مَعلُوم	نصيبٌ مُعيّنٌ لِذوي الحاجات
والمَحرُوم	والذي يتعفّف عن سؤالِ الناس معَ فقْره فلا يُعطى
بِيوم الدِّين	بيومِ الجزاءِ والحساب
مُشفِقُون	خائفون
غيرُ مأمون	لا ينبغي أن يأمنه أحد
أو ما ملَكت أيمانُهم	أو إمائِهم المملوكاتِ لهم
غيرُ مَلُومِين	غيرُ مُؤَاخَذين
العَادُون	المُتجاوِزون الحلال إلى الحرام
رَاعُون	حافظون
بشهاداتهم قائمون	مُؤدّون للشهادة على وجهها دون تغيير أو كتمان

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المعارج ١٩-٣٥

(إن الإنسان خُلق هَلوعًا * إذا مسّه الشرّ جَزوعًا * وإذا مسّه الخير مَنوعًا):

عن عمرو بن تغلب قال: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال، فأعطى قوما ومنع آخرين، فبلغه أنهم عتبوا، فقال: (إني أعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي، أعطي أقواما لما في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب)، فقال عمرو: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم». «صحيح البخاري» (٩/ ١٥٦).

وقال البغوي: «قال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده، وهو قوله: {إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا} أي: إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصاب المال لم ينفق. قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكرهه، ثم تعبده بإنفاق ما يحب، والصبر على ما يكره.

ثم استثنى فقال {إلا المصلين} استثنى الجمع من الوحدان؛ لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله: {إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا}». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٢٣).

وقال ابن تيمية: «الناس في التقوى -وهي طاعة الأمر الديني-، والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام:

أحدها: أهل التقوى والصبر، وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

والثاني: الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر، مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها، ويتركون المحرمات، لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظُم جزعه، وظهر هلعه.

والثالث: قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى، مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم، كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام؛ والكتّاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها، وكذلك طلاب

الرئاسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس، وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام. وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الأرض أو فسادا من طلاب الرئاسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الأموال بالبغي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة، وغير ذلك، يصبرون على أنواع من المكروهات، ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب: كالمرض والفقر وغير ذلك، ولا يكون فيه تقوى إذا قدر.

وأما القسم الرابع فهو شر الأقسام: لا يتقون إذا قدروا ولا يصبرون إذا ابتلوا؛ بل هم كما قال الله تعالى: {إن الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا}، فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم إذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم إذا قهروا، إن قهرتَهم ذلّوا لك ونافقوك وحابوك واسترحموك، ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤول، وإن قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبا وأقلهم رحمة وإحسانا وعفوا، كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الإيمان أبعد...

والكامل هو من كان لله أطوع، وعلى ما يصيبه أصبر، فكلما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله، وأعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه، وصبرا على ما قدره وقضاه كان أكمل وأفضل. وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك.

وقد ذكر الله تعالى "الصبر والتقوى" جميعا في غير موضع من كتابه، وبين أنه بهما ينتصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين المعاندين والمنافقين، وعلى من ظلمه من المسلمين، ولصاحبه تكون العاقبة، قال الله تعالى: {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين}، وقال الله تعالى: {لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور}». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٧٣-٦٧٦).

وقال ابن تيمية: «الإنسان هو كما وصفه الله بقوله تعالى: {ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه

ليؤوس كفور. ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور}، وقال تعالى: {إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير}. فأخبر أنه عند الضراء بعد السراء ييأس من زوالها في المستقبل، ويكفر بما أنعم الله به عليه قبلها. وعند النعماء بعد الضراء يأمن من عود الضراء في المستقبل، وينسى ما كان فيه بقوله: {ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور} على غيره، يفخر عليهم بنعمة الله عليه.

وقال تعالى: {إن الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا}، فأخبر أنه جزوع عند الشر لا يصبر عليه، منوع عند الخير يبخل به». «جامع الرسائل» (٢/ ٣٥٨).

وقال ابن القيم: «قوله تعالى: {إن الإنسان لفي خسر}، و {إن الإنسان لربه لكنود}، و {إن الإنسان خلق هلوعا}، و {إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى}، و {إن الإنسان لظلوم كفار}، و {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}، فهذا شأن الإنسان من حيث ذاته ونفسه. وخروجه عن هذه الصفات بفضل ربه، وتوفيقه له، ومنته عليه، لا من ذاته؛ فليس له من ذاته إلا هذه الصفات. وما به من نعمة فمن الله وحده، فهو الذي حبب إلى عبده الإيمان، وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وهو الذي كتب في قلبه الإيمان. وهو الذي ثبّت أنبياءه ورسله وأولياءه على دينه، وهو الذي يصرف عنهم السوء والفحشاء. وكان يحدى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم: والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا». «الروح» (٢/ ٣٧٥-٣٧٦).

وقال ابن القيم: «ويضادّ الصبر الهلع، وهو: الجزع عند ورود المصيبة، والمنع عند ورود النعمة، قال تعالى: {إن الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا} وهذا تفسير الهلوع، قال الجوهري: الهلع: أفحش الجزع، وقد هلع بالكسر، فهو هلع وهلوع، وفي الحديث: (شر ما في العبد شح هالع، وجبن خالع)». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٥٣٠).

(إلا المصلّين * الذين هم على صلاتهم دائمون):

قال ابن تيمية: «هذه الآيات تقتضي ذم من ترك شيئا من واجبات الصلاة، وإن كان في الظاهر مصليا، مثل أن

يترك الوقت الواجب، أو يترك تكميل الشرائط والأركان من الأعمال الظاهرة والباطنة، وبذلك فسرها السلف.

ففي تفسير عبد بن حميد... عن قتادة: {والذين هم على صلواتهم يحافظون} على وضوئها ومواقيتها وركوعها.

وروى أبو بكر بن المنذر في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن عن عبد الله قال: قيل لعبد الله: إن الله أكثر ذكر الصلاة في القرآن: {الذين هم على صلاتهم دائمون}، {الذين هم في صلاتهم خاشعون}، {والذين هم على صلاتهم يحافظون}، فقال عبد الله: ذلك على مواقيتها، فقالوا: ما كنا نرى ذلك يا أبا عبد الرحمن إلا الترك. قال: تركها كفر». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٧٢).

وقال ابن جُزي: «استثنى منه المصلين، لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرّها، ولا يبخلون بخيرها... (الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر، والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١١).

وقال ابن كثير: «{الذين هم على صلاتهم دائمون} قيل: معناه يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم. قاله ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم النخعي.

وقيل: المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع، كقوله: {قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون}. قاله عقبة بن عامر. ومنه الماء الدائم، أي: الساكن الراكد.

وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه، كما جاء في الصحيح عن عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ). وفي لفظ: (ما داوم عليه صاحبه)، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا داوم عليه. وفي لفظ: أثبته». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢٦).

(والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم):

قال ابن عطية: «قال قتادة والضحاك: الحق المعلوم هي الزكاة المفروضة.

وقال الحسن ومجاهد وابن عباس: هذه الآية في الحقوق التي في المال سوى الزكاة، وهي ما ندبت الشريعة إليه من المواساة، وقد قال ابن عمر ومجاهد والشعبي وكثير من أهل العلم: إن في المال حقا سوى الزكاة.

وهذا هو الأصح في هذه الآية؛ لأن السورة مكية، وفرض الزكاة وبيانها إنما كان بالمدينة.

و «السائل»: المتكفف، «والمحروم» المحارف الذي قد ثبت فقره ولم تنجح سعاياته لدنياه، قالت عائشة: هو الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٦٨).

وقال ابن جُزي: «ووصْفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا، وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١١).

(والذين هم من عذاب ربهم مُشفقون * إنّ عذاب ربهم غير مأمون):

قال ابن جُزي: «(غَيْرُ مَأْمُونٍ) أي: لا يكون أحد آمنا منه، فإن الأمن من عذاب الله حرام، فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١١).

(والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون):

قال السعدي: «{والذين هم لفروجهم حافظون} فلا يطؤون بها وطأ محرما، من زنا أو لواط، أو وطء في دبر أو حيض، ونحو ذلك. ويحفظونها أيضا من النظر إليها ومسها ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة.

{إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم} أي: سرياتهم {فإنهم غير ملومين} في وطئهن في المحل الذي هو محل الحرث.

{فمن ابتغى وراء ذلك} أي: غير الزوجة وملك اليمين، {فأولئك هم العادون} أي: المتجاوزون ما أحل الله

إلى ما حرم الله.

ودلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين». «تفسير السعدي» (ص٨٨٧).

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون):

قال ابن القيم: أمر الله تعالى بالوفاء بالعقود والعهود كلها، فقال: {وأوفوا بالعهد}، وقال: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}، وقال: {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون}، وقال تعالى: {والموفون بعهدهم إذا عاهدوا}، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}، وقال: {بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين}، وقال: {إن الله لا يحب الخائنين}، وهذا كثير في القرآن.

وفي صحيح مسلم... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر».

وفيه... عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من علامات المنافق ثلاث، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يُرفع لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان».

وفيهما من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج».

وفي سنن أبي داود عن أبي رافع قال: بعثتني قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأيته ألقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، والله إني لا أرجع إليهم أبدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد. ولكن ارجع إليهم، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع». قال: فذهبت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلمت.

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة، ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم».

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتها، فقالت: تعال أعطك. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أردت أن تعطيه؟». فقالت: أعطيه تمرا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة».

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/ ١٦٨-١٧٢).

(والذين هم بشهاداتهم قائمون):

قال ابن جُزي: «(وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ) قال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وقال الجمهور: يعني الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها:

فقيل: هو التحقيق لها، كقوله صلى الله عليه وسلم: (على مثل الشمس فاشهدوا).

وقيل: هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع، فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه، وأما إذا لم يُدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام:

أحدها: حقوق الناس، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك.

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم، كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك دُعي أو لم يُدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم، كالحدود، فهذا ينبغي ستره حتى يُدعى إليه». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٢).

وقال ابن القيم: «حرّم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: {والذين هم بشهاداتهم قائمون}، فيكون قائما بشهادته في ظاهره وباطنه، في قلبه وقالبه. فإن من الناس من تكون شهادته ميتة، ومنهم من تكون نائمة إذا نبهت انتبهت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب. وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن، فروح ميتة، وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن.

وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وَجدت روحه لها روحا).

فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه. وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش. قال تعالى: {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى}.

فالجنة مأواه يوم اللقاء، وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح والرضى به وعنه مأوى روحه في هذه الدار. فمن كانت هذه الجنة مأواه هاهنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد. ومن حُرم هذه الجنة فهو لتلك أشد حرمانا. والأبرار في النعيم وإن اشتد بهم العيش وضاقت عليهم الدنيا. والفجار في جحيم، وإن اتسعت عليهم الدنيا. قال تعالى: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة}، وطيب الحياة جنة الدنيا.

وقال تعالى: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا}. فأي نعيم أطيب من شرح الصدر؟ وأي عذاب أمرّ من ضيق الصدر؟

وقال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم}. فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشا، وأنعمهم بالا، وأشرحهم صدرا، وأسرهم قلبا. وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة». «الداء والدواء» (١/ ٤٥٧-٤٥٩).

وقال السعدي: «{والذين هم بشهاداتهم قائمون} أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص

ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريبا ولا صديقا ونحوه، ويكون القصد بها وجه الله. قال تعالى: {وأقيموا الشهادة لله}، {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين}». «تفسير السعدي» (ص٨٨٧).

(والذين هم على صلاتهم يُحافظون * أولئك في جنات مُكرَمون):

قال ابن كثير: «{والذين هم على صلاتهم يحافظون} أي: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها، كما تقدم في أول سورة: {قد أفلح المؤمنون} سواء؛ لهذا قال هناك: {أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون}، وقال هاهنا: {أولئك في جنات مكرمون} أي: مكرمون بأنواع الملاذ والمسار». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢٧).

وقال السعدي: «وحاصل هذا أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية: كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه أحسن معاملة من إنصافهم وحفظ عهودهم وأسرارهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى». «تفسير السعدي» (ص٨٨٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المعارج ١٩-٣٥

١- الإنسان بطبعه يميل إلى البخل عند النعمة وعدم الصبر عند المصيبة، ولا يسلم من هذه الصفة إلا المصلّون، الذين يداومون على الصلاة في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، فتهذّبهم صلاتهم، وتنهاهم عن الفحشاء والمنكر، فيتحلّون بالكرم عند النعمة، وبالصبر عند المصيبة، فأصلح صلاتك لتكون منهم (إن الإنسان خُلق هَلوعًا * إذا مسّه الشرّ جَزوعًا * وإذا مسّه الخير مَنوعًا * إلا المصلّين * الذين هم على صلاتهم دائمون).

٢- اجعل لنفسك مقدارا محددا من المال تتصدّق به كل فترة، وابحث عن الفقراء المتعفّفين، فحاجتهم أشد، والإحسان إليهم أفضل، والبحث عنهم أصعب، وأجر الصدقة عليهم أكبر (والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم).

٣- احرص على أن تكون في الدنيا خائفا من غضب الله، مُشفقا من عذابه، لا تأمن مكره بك، وترى نفسك مقصّرا في طاعة الله وتقواه ولو عملت من الصالحات ما عملت، واعلم أنك إذا خفت في الدنيا أمنت يوم القيامة، (والذين يصدّقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مُشفقون * إنّ عذاب ربهم غير مأمون).

٤- انتشرت الوسائل المثيرة للشهوات في زماننا هذا انتشارا عظيما، ومن أنجع السبل للسلامة من آثارها: حفظ البصر عن النظر إلى ما حرّم الله، فجاهد نفسك على حفظ بصرك حتى تصون فرْجك، فتكون من الصابرين عن معاصي الله، المجاهدين لتحقيق مرضات الله، فتفوز بالدرجات العُلى من الجنة بإذن الله، واسأل الله دائما أن يعصم بصرك ويحفظ فرجك (والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون).

٥- أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، وأوفِ بالعهود والعقود التي بينك وبين الناس، وأعظمها حرمة عقد الزوجية، واحذر من الغدر والخيانة ونقض العهود (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون).

٦- إذا شهدت لأحد أو على أحد فلتكُن شهادتك لله، وأدّ الشهادة على وجهها بدون كذب أو كتمان أو تدليس، وإياك أن تشهد بالزور أو الباطل ولو على نفسك أو والديك أو أقاربك أو أصدقائك

(والذين هم بشهاداتهم قائمون).

٧- المحافظة على الصلوات، والحرص عليها، وأداؤها على وجهها طريق موصل إلى الكرامة في جنات النعيم، فكُن مواظبا على الصلاة مقيما لها على وجهها (والذين هم على صلاتهم يُحافظون ❋ أولئك في جنات مُكرَمون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المعارج ٣٦-٤٤ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦﴾

فما الَّذي جرّ هؤلاء المشركين من قومك -أيها الرسول- حَوَاليك مسرعين إلى التكذيب بك؟!

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾

محيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات.

﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾

أيأمل كل واحد منهم أن يدخله الله جنة النعيم، يتنعم بما فيها من النعيم المقيم، وهو باقٍ على كفره؟!

﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾

ليس الأمر كما تصوّروا، إنا خلقناهم مما يعرفونه، فقد خلقناهم من ماء حقير، فهم ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يتكبرون؟!

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾

أقسم الله تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغارب للشمس والقمر وسائر الكواكب، إنا لقادرون.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١﴾

على تبديلهم بغيرهم ممن يطيع الله، ونهلكهم، لا نعجز عن ذلك، ولسنا بمغلوبين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢﴾

فاتركهم -أيها الرسول- يخوضوا فيما هم فيه من الباطل والضلال، ويلعبوا في حياتهم الدنيا إلى أن يلاقوا يوم القيامة الَّذي كانوا يوعدون به في القرآن.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣﴾

يوم يخرجون من القبور سراعًا كأنهم إلى عَلَمٍ يتسابقون.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾

ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم الَّذي كانوا يوعدون به في الدنيا، وكانوا لا يبالون به.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خطر الغفلة عن الآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المعارج ٣٦-٤٤

الكلمة	المعنى
قِبَلَك مُهْطِعِين	مُسرِعين نحوَك قد مدُّوا أعناقهم إليك
عِزِين	جماعات متعددة ومتفرّقة
ممّا يعلَمون	من ماء مَهين
فلا أُقسِم	فأُقسم، و (لا) لتأكيد القسَم
المشارقِ والمغاربِ	مشارقِ ومغاربِ الشمس والقمر والكواكب
وما نحن بِمسبُوقين	ولا يَفُوتنا ويُعجِزنا أحد
فذَرهُم	فاترُكهم
الأَجْدَاث	القبور
إلى نُصُب	إلى عَلَم، أو: إلى أصنامهم
يُوفِضُون	يُسرعون
خاشعةً أبصارُهم	ذليلةً منكسرةً لا يرفعونها
تَرهقُهُم ذِلّة	تَغشاهم مَهَانة شديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المعارج ٣٦-٤٤

(فمال الذين كفروا قِبَلك مُهطِعين * عن اليمين وعن الشمال عِزين):

قال البغوي: «نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون؟». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٢٥).

وقال القرطبي: «والمعنى: ما بالهم يسرعون إليك ويجلسون حواليك ولا يعملون بما تأمرهم؟

وقيل: أي: ما بالهم مسرعين في التكذيب لك؟

وقيل: أي: ما بال الذين كفروا يسرعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزؤوا بك؟». «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٩٣).

(أيطمع كلّ امرئ منهم أن يُدخل جنة نعيم * كلا):

قال القرطبي: «قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه، فيكذبونه ويكذبون عليه، ويستهزئون بأصحابه، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنّها قبلهم، ولئن أعطوا منها شيئا لنعطينّ أكثر منه، فنزلت: (أيطمع...) الآية». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٩٤).

(إنا خلقناهم مما يعلمون):

قال القرطبي: «(إنا خلقناهم مما يعلمون) أي: إنهم يعلمون أنهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، كما خلق سائر جنسهم. فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة، وإنما تستوجب بالإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى.

وقيل: كانوا يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم، فقال: إنا خلقناهم مما يعلمون من القذر، فلا يليق بهم هذا التكبر. وقال قتادة في هذه الآية: إنما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله.

وروي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلّب وترك مشيته. نظم الكلام محمود الوراق فقال:

عجبت من معجب بصورته ... وكان في الأصل نطفة مذرة

وهو غدا بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقال آخر:

هل في ابن آدم غيرُ الرأس مكرمة ... وهْو بخمس من الأوساخ مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهِك ... والعين مُرمصة والثغر ملهوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدا ... قصّر فإنك مأكول ومشروب». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٩٤).

وقال ابن جُزي: «(إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) كناية عن المنيّ الذي خلق الإنسان منه، وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

أحدها: تحقير الإنسان والردّ على المتكبرين.

الثاني: الردّ على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم، كقوله: (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى) إلى آخر السورة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٢).

وقال ابن القيم: «ينبه سبحانه الإنسان على مبدأ خلقه الضعيف من الماء المهين، ثم نَقلَه في أطباق خلقه وأطواره من حال إلى حال، حتى جعله بشرا سويا، يسمع ويبصر ويعقل وينطق ويبطش ويعلم، فنسي مبدأه وأوله وكيف كان، ولم يعترف بنعم ربه عليه، كما قال تعالى: {أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم. كلا إنا خلقناهم مما يعلمون}. وأنت إذا تأملت ارتباط إحدى هاتين الجملتين بالأخرى وجدت تحتهما كنزا

عظيما من كنوز المعرفة والعلم، فأشار سبحانه بمبدأ خلقهم: {مما يعلمون} من النطفة وما بعدها إلى موضع الحجة والآية الدال على وجود الله ووحدانيته وكماله وتفرده بالربوبية والإلهية، وأنه لا يحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، وأنه لا يعجِز مع ذلك أن يخلقهم بعدما أماتهم خلقا جديدا، ويبعثهم إلى دار يوفّيهم فيها أعمالهم من الخير والشر، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم يكذبوني، ويكذبون رسلي، ويعدلون بي خلقي، وهم يعلمون من أي شيء خلقتهم؟!». «شفاء العليل» (١/ ١٢٣).

(فلا أُقسم بربّ المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبدّل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين):

قال ابن القيم: «مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين، وتارة مثنيين، وتارة مفردين؛ لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك، فالأول: كقوله تعالى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب}. والثاني: كقوله تعالى: {رب المشرقين ورب المغربين. فبأي آلاء ربكما تكذبان}. والثالث: كقوله تعالى: {ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا}. فتأمل هذه الحكمة البالغة في تغاير هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب مواردها يطلعك على عظمة القرآن وجلالته، وأنه تنزيل من حكيم حميد:

فحيث جُمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة، وهي متعددة، وحيث أفردا كان المراد أفقي المشرق والمغرب، وحيث ثنّيا كان المراد مشرقي صعودها وهبوطها ومغربيهما، فإنها تبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها وارتفاعها، وينشأ منه فصلا الربيع والصيف، ثم ترجع هابطة حتى ترجع إلى غاية حضيضها وانخفاضها، وهذا غاية هبوطها، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء، فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقا واحدا، ومشرق هبوطها بجملته مشرقا واحدا، ويقابلها مغرباها. فهذا وجه اختلاف هذه الألفاظ في الإفراد والتثنية والجمع.

وأما وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه؛ فلم أر أحدا تعرض له ولا فتح بابه، وهو بحمد الله بيّن من السياق، فتأمل وروده مثنى في سورة الرحمن، لما كان مساق السورة مساق المثاني المزدوجات، فذكر أولا نوعى الإيجاد، وهما: الخلق والتعليم، ثم ذكر سراجي العالم ومظهر نوره، وهما: الشمس والقمر، ثم ذكر نوعي النبات؛ ما قام منه على ساق، وما انبسط منه على وجه الأرض، وهما: النجم والشجر، ثم ذكر نوعي

السماء المرفوعة والأرض الموضوعة، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه، ووسط بينهما ذكر الميزان، ثم ذكر العدل والظلم في الميزان، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم، ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض وهما: الحبوب والثمار، ثم ذكر خلق نوعي المكلفين وهما: نوع الإنسان ونوع الجان، ثم ذكر نوعي المشرقين ونوعي المغربين، ثم ذكر بعد ذلك البحرين الملح والعذب. فتأمل حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة وجلالة وروده كذلك. وقدّر موضعهما اللفظ مفردا ومجموعا تجد السمع ينبو عنه، ويشهد العقل بمنافرته للنظم.

ثم تأمل ورودهما مفردين في سورة المزمل لما تقدمهما ذكر الليل والنهار، فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل، ثم أخبره أن له في النهار سبحا طويلا، فلما تقدم ذكر الليل وما أمر به فيه، وذكر النهار وما يكون منه فيه، عقّب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار، فكان ورودهما مفردين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع؛ لأن ظهور الليل والنهار بهما واحد، فالنهار أبدا يظهر من المشرق، والليل أبدا يظهر من المغرب.

ثم تأمل مجيئهما مجموعين في سورة المعارج في قوله تعالى: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون. على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين}، لما كان هذا القسَم في سياق سعة ربوبيته وإحاطة قدرته، والمقسم عليه هو: إذهاب هؤلاء والإتيان بخير منهم: ذكر المشارق والمغارب لتضمنهما انتقال الشمس التي هي أحد آياته العظيمة الكبيرة، ونقله سبحانه لها وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يعجزه أن يبدل هؤلاء، وينقل إلى أمكنتهم خيرا منهم؟!.

وأيضا: فإن تأثير مشارق الشمس ومغاربها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهود، وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببا لتبدّل أجسام النبات وأحوال الحيوانات، وانتقالها من حال إلى غيره، وتبدل الحر بالبرد والبرد بالحر، والصيف بالشتاء والشتاء بالصيف، إلى سائر تبدل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج، وغير ذلك من التبدلات والتغيرات الواقعة في العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها، كل ذلك تقدير العزيز العليم، فكيف لا يقدر -مع ما يشهدونه من ذلك- على أن يبدل خيرا منهم!! وأكّد هذا المعنى بقوله تعالى: {وما نحن بمسبوقين}. فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع.

ثم تأمل كيف جاءت أيضا في سورة الصافات مجموعة في قوله تعالى: {ربُّ السماوات والأرض وما بينهما

ورب المشارق} لما جاءت مع جملة المربوبات المتعددة، وهي السموات والأرض وما بينهما؛ كان الأحسن مجيئها مجموعة لينتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد. ثم تأمل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب لاقتضاء الحال لذلك، فإن المشارق مظهر الأنوار، وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتصرفه ومعاشه وانبساطه، فهو إنشاء مشهود، فقدمه بين يدي الرد على منكري البعث. ثم ذكر تعجب نبيه من تكذيبهم واستبعادهم البعث بعد الموت، ثم قرر البعث وحالهم فيه، فكان الاقتصار على ذكر المشارق هاهنا في غاية المناسبة للغرض المطلوب، والله أعلم». «بدائع الفوائد» (١/ ٢١١-٢١٥).

وقال ابن كثير: «{فلا أقسم برب المشارق والمغارب} أي: الذي خلق السموات والأرض، وجعل مشرقا ومغربا، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام: ليس الأمر كما يزعمون أن لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة. ولهذا أتى ب "لا" في ابتداء القسم ليدل على أن المقسَم عليه نفي، وهو مضمون الكلام، وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات، وسائر صنوف الموجودات؛ ولهذا قال تعالى: {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس}، وقال تعالى: {أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير}، وقال تعالى في الآية الأخرى: {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون}، وقال هاهنا: {فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون. على أن نبدل خيرا منهم} أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه، فإن قدرته صالحة لذلك، {وما نحن بمسبوقين} أي: بعاجزين. كما قال تعالى: {أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوي بنانه}، وقال تعالى: {نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون}. واختار ابن جرير: {على أن نبدل خيرا منهم} أي: أمة تطيعنا ولا تعصينا، وجعلها كقوله: {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}. والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢٩).

(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلاقوا يومهم الذي يُوعدون):

قال القرطبي: «أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، على جهة الوعيد. واشتغل أنت بما أمرت به، ولا يعظمنّ عليك شركهم، فإن لهم يوما يلقون فيه ما وعدوا». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٩٦).

(يوم يخرجون من الأجداث سِراعًا كأنهم إلى نُصُب يوفضون):

قال ابن جُزي: «المعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر، كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤١٢).

وقال ابن القيم: «ومن أعظم مكايده -يعني: الشيطان-: ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام التي هي من عمله، وقد أمر الله تعالى باجتناب ذلك، وعلّق الفلاح باجتنابه، فقال: {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون}.

فالأنصاب: كل ما نصب يعبد من دون الله من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر. وهي جمع، واحدها نصب، كطنب وأطناب...

وأصل اللفظة: الشيء المنصوب الذي يقصده من رآه، ومنه قوله تعالى: {يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون}، قال ابن عباس: إلى غاية أو علم يسرعون، وهو قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن: يعني: إلى أنصابهم أيهم يستلمها أولا.

قال الزجاج: وهذا على قراءة من قرأ {نُصُب} بضمتين، كقوله: {وما ذبح على النُصُب}». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ٣٧٥-٣٧٦).

(خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون):

قال القرطبي: «(ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) أي: يوعدونه في الدنيا أن لهم فيه العذاب. وأخرج الخبر بلفظ الماضي لأن ما وعد الله به يكون ولا محالة». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٩٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المعارج ٣٦-٤٤

١- اعلم أنه لن يدخل الجنة كافر أبدا ولو كان ذا حسب ونسب ومال وجمال وعلم وخلق وأدب، وإنما يدخل الجنة المؤمنون الذين عملوا الصالحات برحمة رب العالمين (فمال الذين كفروا قِبَلك مُهطِعين * عن اليمين وعن الشمال عِزين * أيطمع كلّ امرئ منهم أن يُدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون).

٢- الله سبحانه وتعالى قدير قادر مقتدر، فهو القادر على أن يبعث علينا عذابا من فوقنا أو من تحت أرجلنا أو يلبسنا شيعا ويذيق بعضنا بأس بعض، وهو القادر على أن يُهلكنا ويستبدل بنا من هو خيرٌ منا، وهو القادر على بعثنا بعد الموت للحساب والجزاء، فاللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك (فلا أُقسم بربّ المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبدّل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين).

٣- لا تُلهينّك زهرة الحياة الدنيا، فتنغمسَ فيها لهوا ولعبا، وتنشغل فيها خوضا بالباطل وطعنا في الحق، فما هي إلا أيام وتنقضي، ثم تقف بين يدي الجبار جلّ جلاله للحساب والجزاء، فيا حسرة المقصّرين، ويا ندامة المفرّطين، ويا خزي الكافرين، فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلاقوا يومهم الذي يُوعدون * يوم يخرجون من الأجداث سِراعًا كأنهم إلى نُصُب يوفضون * خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المعارج

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة المعارج.

أكثر آيات سورة المعارج آيات قصيرة، والأصل فيها الوقف على رؤوس الآيات اتباعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسأذكر المواضع التي تحتمل الوقف في غير رؤوس الآيات.

أبدأ بالآية الثانية في قوله تعالى: (للكافرين) بعد قوله في الآية الأولى: (سأل سائل بعذاب واقع)، فهل يصح الوقف على قوله: (للكافرين)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وجعلوا الجار والمجرور في قوله: (للكافرين) متعلقا بقوله: (واقع)، فتقدير الجملة: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين، واللام بمعنى (على)، أي: بعذاب واقع على الكافرين.

ومن لم ينصّ على الوقف هنا جعل الجار والمجرور في قوله: (للكافرين) متعلقا بقوله: (دافع) في قوله: (ليس له دافع)، وتقدير الجملة: ليس له دافع للكافرين، واللام بمعنى (عن)، أي: ليس له دافع عن الكافرين.

فللقارئ أن يقف على رأس الآية: (بعذاب واقع) ثم يقف على رأس الآية الثانية: (ليس له دافع)، أو يقف: (بعذاب واقع)، (للكافرين) ويقف، ثم يقول: (ليس له دافع)، أو يصل رأس الآية – على قول من لم يقف على رأس الآية هنا – فيجعلها: (بعذاب واقع للكافرين).

وهذا كله محتمل، والوقف على رأس الآيتين أولى. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة: (تعرج الملائكة والروح إليه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ظرف متعلق بقوله: (تعرج)، فلا يُفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية عشرة، قال تعالى في الآية العاشرة: (ولا يسأل حميم حميما)، ثم قال: (يُبصَّرونهم)، هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة فعلية مستأنفة في بيان حال المجرم يومئذ وما يودُّه في قوله: (يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة عشرة: (ومَن في الأرض جميعا)، بعد أن قال تعالى: (يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه. وصاحبته وأخيه. وفصيلته التي تؤويه. ومن في الأرض جميعا)، ثم قال: (ثم ينجيه) هل يصح الوقف على قوله: (جميعا)؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه السجاوندي؛ لماذا؟ لأن قوله: (ثم ينجيه) معطوف على: (يودّ)، ومقصود الكلام متصل، وذلك أنه يودّ أن يفتدي بأحد من هؤلاء أو بهم جميعا لينجوَ من عذاب الله، فلا ينتهي مقصود الكلام إلا على رأس الآية في قوله: (ثم ينجيه).

ثم في الآية الخامسة عشرة: (كلا) قبل قوله: (إنها لظى)، هل يصح الوقف على قوله: (كلا)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن (كلا) هنا بمعنى الردع، أي أنه لن يستطيع أن ينجوَ من عذاب الله ولو افتدى بمن في الأرض جميعا، وانتهت الجملة هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في وصف جهنم في قوله: (إنّها لظى)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة والثلاثون، قال تعالى قبلها: (أيطمع كل امرئ منهم أن يُدخل جنة نعيم)، ثم قال: (كلا) هل يصح الوقف هنا؟ وقد قال بعدها: (إنا خلقناهم مما يعلمون).

الجواب: نعم يصحّ الوقف، كما نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، وذلك أن (كلا) هنا بمعنى الردع، أي: لن يدخل أحد منهم جنة نعيم وهو على كفره، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إنا خلقناهم مما يعلمون)، فصحّ الوقف هنا.

على أنه يحتمل أن تكون (كلا) هنا بمعنى (ألا) أو (حقا) الابتدائية، فيكون تقدير الجملة: ألا إنا خلقناهم مما يعلمون، أو: حقا إنا خلقناهم مما يعلمون، وعلى هذا الاحتمال لا يوقف على (كلا)، والاحتمالان واردان. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية والأربعون، قال الله سبحانه وتعالى في الآية التي قبلها: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون) ثم قال: (على أن نبدّل خيرا منهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني؛ لماذا؟ لأن جملة: (وما نحن بمسبوقين)

جملة حالية، تقدير الكلام: إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم والحال أننا لسنا بمسبوقين، فلا يفوتونا ولا يعجزونا، فلم يصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة في السورة: (خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن وصف حال الناس يوم القيامة قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في قوله: (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) إشارة إلى يوم القيامة، فصح الوقف قبلها. والله تعالى أعلم.

هذا خلاصة ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة المعارج. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحاقة ١-١٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الحاقة: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] إثبات أن وقوع القيامة والجزاء فيها حق لا ريب فيه.

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١﴾

يذكر الله ساعة البعث التي تحق على الجميع.

﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢﴾

ثم يعظّم أمرها بهذا السؤال. أيّ شيء هي الحاقة؟

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣﴾

وما أعلمك ما هذه الحاقة؟

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ٤﴾

كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، بالقيامة التي تقرع الناس من شدة أهوالها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥﴾

فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة التي بلغت الغاية في الشدة والهول.

﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦﴾

وأما عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧﴾

أرسلها الله عليهم مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام تفنيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هَلْكَى مصروعين في الأرض، كأنهم بعد إهلاكهم أصول نخل ساقطة على الأرض بالية.

﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨﴾

فهل ترى لهم نفسًا باقية بعد ما أصابهم من العذاب؟!

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩﴾

وجاء فرعون ومن قبله من الأمم، والقرى التي عذبت بقلب عاليها سافلها، وهم قوم لوط، بالأفعال الخاطئة من الشرك والمعاصي.

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠﴾

فعصى كل منهم رسوله الَّذي بعث إليهم وكذبوه، فأخذهم الله أَخْذَة زائدة على ما يتمّ به هلاكهم.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾

إنا لما تجاوز الماء حدَّه في الارتفاع حملنا من كنتم في أصلابهم في السفينة الجارية التي صنعها نوح عليه السلام بأمرنا، فكان حَمْلًا لكم.

﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾

لنجعل السفينة وقصتها موعظة يُسْتدلّ بها على إهلاك أهل الكفر، وإنجاء أهل الإيمان، وتحفظها أذن حافظة لما تسمع.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• تنوع ما يرسله الله على الكفار والعصاة من عذاب دلالة على كمال قدرته وكمال عدله.

• المنة التي على الوالد منة على الولد تستوجب الشكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الحاقة ١-١٢

الكلمة	المعنى
الحاقّة	القيامةُ الواقعةُ حقّا، التي يتحقّق فيها الوعد والوعيد
وما أدراك ما الحاقّة	وما أَعلمَك ما أهوالُ يومِ القيامة؟
ثَمُودُ	قومُ صالحٍ عليه السلام
وعَادٌ	وقومُ هودٍ عليه السلام
بِالقَارِعَة	بالقيامةِ التي تَقرعُ القلوبَ بِأهوالِها
بالطّاغِيَة	بالصيحةِ العظيمةِ التي جاوزت الحدَّ في الشّدّة
بِريحٍ صَرْصَرٍ	بِريحٍ شديدةِ البرودة
عَاتِيَة	قويّةِ الهُبوب
سَخّرَها عليهم	سَلّطَها الله عليهم
حُسُومًا	مُتتابعةً
صَرْعَى	مَوْتَى
كأنّهم أعجازُ نخلٍ خَاوِيَة	كأنهم أصولُ نَخلٍ سَاقِطَةٍ متآكلةٍ بالية
فهَل تَرى لهُم مِن بَاقِيَة	فهَل تَرَى لهم نفْسًا باقيةً دون هلاك
والمُؤتَفِكَاتُ	وأهالي قرى قومِ لوطٍ الذين انقلبت بهم ديارُهم
بِالخَاطِئَة	بالفعلةِ الخاطئةِ من الكفر والشرك والفُحْش
أَخْذَةً رَابِيَة	أَخْذَةً بالغةً في الشدّة
طَغَا الماء	جاوز الماء حدَّه حتى ارتفع فوقَ كلّ شيء
حَملْناكم	حملناكم وأنتم في أصلاب آبائكم
في الجَارِيَة	في سفينة نوحٍ عليه السلام التي تجري في الماء
وتَعِيَها أُذُنٌ وَاعِيَة	وتحفظَها أُذُنٌ تفهمُ وتعقلُ ما تَسمع

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الحاقة ١-١٢

(الحاقة ❁ ما الحاقة ❁ وما أدراك ما الحاقة):

قال البغوي: «{الحاقة} يعني القيامة، سميت حاقة لأنها حقّت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواقّ الأمور وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي: يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقا، قال الله تعالى: (ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين). قال الكسائي: {الحاقة} يوم الحق.

{ما الحاقة} هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها، كما يقال: زيد ما زيد! على التعظيم لشأنه.

{وما أدراك ما الحاقة} أي: أنك لا تعلمها إذ لم تعاينها، ولم تر ما فيها من الأهوال». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٠٤).

(كذّبت ثمود وعاد بالقارعة):

قال ابن الجوزي: «قال ابن عباس: القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة.

قال مقاتل: وإنما سميت بالقارعة، لأن الله تعالى يقرع أعداءه بالعذاب.

وقال ابن قتيبة: القارعة: القيامة لأنها تقرع، يقال: أصابتهم قوارع الدهر.

وقال الزجاج: لأنها تقرع بالأهوال.

وقال غيرهم: لأنها تقرع القلوب بالفزع». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٢٨).

وقال القرطبي: «وثمود قوم صالح، وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز. قال محمد بن إسحاق: وهو وادي القرى، وكانوا عربا.

وأما عاد فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف. والأحقاف: الرمل بين عُمان إلى حضرموت واليمن كله، وكانوا عربا ذوي خلق وبسطة». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥٨).

(فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية):

قال ابن جُزي: «(بِالطَّاغِيَةِ) يعني الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحدّ في الشدة.

وقيل: الطاغية مصدر فكأنه قال: أُهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله: (كذبت ثمود بطغواها).

وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية، والباء على هذين القولين سببية». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٤).

(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية):

«عن ابن عباس، قال: (ما أرسل الله من ريح قط إلا بمكيال، ولا أنزل قطرة قط إلا بمثقال، إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)، وإن الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: (بريح صرصر عاتية)». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٧٢). وأخرج نحوه عن علي رضي الله عنه أيضا.

وقال ابن جُزي: «و (عاتية) أي: شديدة. وسميت بذلك لأنها عتت على عاد.

وقيل: عتت على خزانها، فخرجت بغير إذنهم». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٤).

وقال ابن القيم: «وقد وكل الله سبحانه بالأفلاك والشمس والقمر ملائكة تحركها، ووكل بالرياح ملائكة تصرفها بأمره، وهم خزنتها، قال تعالى: {وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية}. قال غير واحد من السلف: عتت على الخزان فلم يقدروا على ضبطها. ذكره البخاري في صحيحه». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٩٠).

(سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية):

قال القرطبي: «(كأنهم أعجاز) أي أصول. (نخل خاوية) أي بالية، قاله أبو الطفيل. وقيل: خالية الأجواف لا شيء فيها. والنخل يذكر ويؤنث. وقد قال تعالى في موضع آخر: (كأنهم أعجاز نخل منقعر).

فيحتمل أنهم شبهوا بالنخل التي صرعت من أصلها، وهو إخبار عن عظم أجسامهم.

ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع، أي: إن الريح قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخل خاوية، أي: الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف...

ويحتمل أن يكون المعنى: (كأنهم أعجاز نخل خاوية) عن أصولها من البقاع، كما قال تعالى: (فتلك بيوتهم خاوية) أي: خربة لا سكان فيها». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٦١).

وقال ابن جُزي: «(حُسُوماً) قال ابن عباس: معناه كاملة متتابعة لم يتخلّلها غير ذلك.

وقيل: معناه شؤما.

وقيل: هو جمع حاسم من الحسم، وهو القطع. أي: قطعتهم بالإهلاك». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٤).

وقال ابن كثير: «جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرّ ميتا على أم رأسه، فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٠٩).

(وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة):

«عن ابن زيد، في قوله: (وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة) قال: المؤتفكات: قوم لوط ومدينتهم وزرعهم، وفي قوله: (والمؤتفكة أهوى) قال: أهواها من السماء: رمى بها من السماء؛ أوحى الله إلى جبريل عليه السلام، فاقتلعها من الأرض، ربضها ومدينتها، ثم هوى بها إلى السماء؛ ثم قلبهم إلى الأرض، ثم أتبعهم الصخر حجارة، وقرأ قول الله: (حجارة من سجيل منضود. مسومة) قال: المسوّمة: المعدّة للعذاب». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٧٦).

وقال ابن جُزي: «(وَمَنْ قَبْلَهُ) يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم

المراد؛ لأن عادا وثمود قد ذكرا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: (لما طغى الماء حملناكم في الجارية).

وقرأ أبو عمرو والكسائي قبله: بكسر القاف وفتح الباء ومعناه: جنده وأتباعه». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٥).

(فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية):

قال القرطبي: «والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حلّ بهم من العذاب: زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول. ثم منّ عليهم بأن جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله: (حملناكم) أي: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٦٣):

وقال ابن جُزي: «(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) إن عاد الضمير على فرعون وقومه فالرسول موسى عليه السلام، وإن عاد على المؤتفكات فالرسول لوط عليه السلام، وإن عاد على الجميع فالرسول اسم جنس، أو بمعنى الرسالة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٥).

(إنا لمّا طغا الماء حملناكم في الجارية):

«عن سعيد بن جبير، في قوله: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) قال: لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزان، إلا حيث طغى الماء، فإنه قد غضب لغضب الله، فطغى على الخزان، فخرج ما لا يعلمون ما هو». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٧٧).

(لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية):

قال القرطبي: «قال الزجاج: يقال لكل ما حفظته في غير نفسك: "أوعيته" بالألف، ولما حفظته في نفسك "وعيته" بغير ألف». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٦٣).

وقال ابن القيم: {وتعيها أذن واعية}: «الوعي توصف به الأذن كما يوصف به القلب، يقال: «قلب واع، وأذن واعية»؛ لما بين الأذن والقلب من الارتباط، فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب، فهي بابه والرسول الموصل إليه العلم، كما أن اللسان رسوله المؤدّي عنه.

ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها بأن توصف بالوعي؛ فإنها إذا وعت وعى القلب.

وفي حديث جابر في المثل الذي ضربته الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته، وقول الملَك له: (اسمع سمِعت أذنك، واعقِل عَقَل قلبك)، فلما كان القلب وعاء، والأذن مدخل ذلك الوعاء وبابه، كان حصول العلم موقوفا على حسن الاستماع وعقل القلب». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٥٣).

وقال ابن كثير: «{لنجعلها لكم تذكرة} عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه، أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار، كما قال: {وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه}، وقال تعالى: {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون. وخلقنا لهم من مثله ما يركبون}.

وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة. والأول أظهر؛ ولهذا قال: {وتعيها أذن واعية} أي: وتفهم هذه النعمة، وتذكرها أذن واعية». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٠).

وقال السعدي: «{وتعيها أذن واعية} أي: تعقلها أولو الألباب، ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها. وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة، وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله؛ لعدم وعيهم عن الله، وفكرهم بآيات الله». «تفسير السعدي» (ص٨٨٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الحاقة ١-١٢

١- القيامة آتية لا ريب فيها، وسيظهر فيها الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والتقيّ من الشقيّ، والعادل من الظالم، وسيُجازى كل واحد بعمله، ولا ينفعه مال ولا بنون، ولا حسب ولا نسب، ولا جاه ولا شرف، فخُذ أُهبتك لذلك اليوم بعمل صالح ترجو به نيل رحمة أرحم الراحمين (الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة).

٢- اعلم أن الله سبحانه وتعالى يُمهل العاصي والظالم والكافر لعله يتذكر أو يخشى، ولكنه لا يُهمله إذا استمرّ في عصيانه وظلمه وكفره، بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر، فقد أخذ بالعذاب ثمودا وعادا وفرعون وقوم لوط وقوم نوح، فأهلكهم جميعا، ودمّرهم تدميرا، وجعلهم عبرة وآية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فاعتبر بعقوبة من مضى، واقرأ قصص الأمم السابقة، وتعرّف على أسباب هلاكهم، لتحذر وتحذّر منها، فتسلمَ وتنجوَ أنت ومجتمعك من غضب الله وعقابه (كذّبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية).

٣- الله سبحانه وتعالى يُنجي عباده المؤمنين من العقوبات العامة ما داموا يسعون في الإصلاح، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما نجّى نوحا عليه السلام ومن معه من العقوبة التي عمّت أهل الأرض كلّهم (إنا لمّا طغا الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحاقة ١٣-٢٤ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾

فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن نفخة واحدة وهي النفخة الثانية.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾

ورُفِعت الأرض والجبال، فَدُقَّتا دقَّة واحدة شديدة فَرَّقَت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾

فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦﴾

وتشققت السماء يومئذ لنزول الملائكة منها، فهي في ذلك اليوم ضعيفة بعد أن كانت شديدة متماسكة.

﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾

والملائكة على أطرافها وحافَّاتها، ويحمل عرشَ ربك في ذلك اليوم العظيم ثمانية من الملائكة المقربين.

﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾

في ذلك اليوم تُعْرَضون -أيها الناس- على الله، لا تخفى على الله منكم خافية أيًّا كانت، بل الله عليم بها مطّلع عليها.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾

فأما من أُعْطِي كتاب أعماله بيمينه فهو يقول من السرور والبهجة: خذوا اقرؤوا كتاب أعمالي.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾

إني علمت في الدنيا وأيقنت أني مبعوث، وملاقٍ جزائي.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١﴾

فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢﴾

في جنة رفيعة المكان والمكانة.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣﴾

ثمارها قريبة ممن يتناولها.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾

يقال تكريمًا لهم: كلوا واشربوا أكلًا وشربًا لا أذى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الحاقة ١٣-٢٤

الكلمة	المعنى
الصُّورِ	القَرنِ الذي يَنفُخ فيه المَلَك للصعْق ثم البعْث
وحُمِلَتِ الأرضُ والجِبَال	ورُفعت الأرض والجبال عن أماكنها
فدُكَّتا	فكُسِّرتا، أو: فسُوِّيتا
وَقَعتِ الواقِعَة	قَامَتِ القِيَامَة
وَانشَقَّتِ السَّمَاء	وتصدَّعت السماء وتشقَّقَت
وَاهِيَة	ضعيفة مُتراخِيَة
على أَرجائِها	على جوانبها وأطرافها
هَاؤُم	تَعَالَوا
إني ظننت	إني أيقنت
مُلاقٍ حِسَابِيَه	مُجازًى على عملي يوم القيامة
قُطُوفُها دَانِيَة	ثمارُها قريبةٌ سهلةُ التناول
هَنِيئًا	يَهنأ بهما بلا تَنغِيصٍ ولا كدَر
بما أَسْلَفْتُم	بما قَدَّمتُم
في الأيامِ الخاليَة	في الأيام الماضية في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الحاقة ١٣-٢٤

(فإذا نُفخ في الصور نفخة واحدة):

قال ابن كثير: «وقد أكدها هاهنا –يعني: النفخة– بأنها (واحدة) لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١١).

وقال السعدي: «لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسله وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا، وأن الله نجّى الرسل وأتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة. فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة، وأن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل {في الصور} إذا تكاملت الأجساد نابتة {نفخة واحدة} فتخرج الأرواح، فتدخل كل روح في جسدها، فإذا الناس قيام لرب العالمين». «تفسير السعدي» (ص٨٨٣).

(والملَك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية):

قال ابن الجوزي: «فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ثمانية أملاك، وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدّهم الله بأربعة أملاك آخرين. وهذا قول الجمهور.

والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة.

والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين، لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، قاله مقاتل.

وقد روى أبو داود في «سننه» من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أُذن لي أن أحدّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٣١).

وقال ابن تيمية: «وأما "العرش" فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات، وأنه ليس نسبته إلى بعضها

كنسبة بعضها إلى بعض. قال الله تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به} الآية. وقال سبحانه: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية}. فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين...

قال تعالى: {وترى الملائكة حافين من حول العرش} الآية. فذكر هنا أن الملائكة تحفّ من حول العرش، وذكر في موضع آخر أن له حملة، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله، فقال: {الذين يحملون العرش ومن حوله}.

وأيضا فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض، كما قال تعالى: {وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء}». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٥٠).

(يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية):

قال القرطبي: «(لا تخفى منكم خافية) أي: هو عالم بكل شي من أعمالكم. فـ (خافية) على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من أعمالهم، قاله ابن شجرة.

وقيل: لا يخفى عليه إنسان، أي: لا يبقى إنسان لا يحاسب.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر.

وقيل: لا تستتر منكم عورة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يحشر الناس حفاة عراة)». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٦٨).

وقال ابن القيم: «ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نوقش الحساب عُذّب. فقالت عائشة: يا رسول الله: أليس الله يقول: {فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حسابا يسيرا}؟ فقال: بلى، ولكن ذلك العرض، ومن نوقش الحساب عُذّب». فأشكل عليها الجمع بين النصين حتى بيّن لها صلوات الله وسلامه عليه أنه لا تعارض بينهما، وأن الحساب اليسير هو العرض الذي لا بد أن يبين الله فيه لكل عامل عمله، كما قال تعالى: {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}، حتى إذا ظن أنه لن ينجو نجاه الله تعالى بعفوه ومغفرته ورحمته، فإذا ناقشه الحساب عذّبه ولا بدّ». «الصواعق المرسلة» (٢/ ٦٧٩).

وقال ابن كثير: «(تُعرضون) على عالم السر والنجوى، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر؛ ولهذا قال: {لا تخفى منكم خافية}.

... قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخفّ عليكم في الحساب غدا أن تحاسِبوا أنفسكم اليوم، وتزيّنوا للعرض الأكبر: {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}.

... عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله)».

«تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٢-٢١٣).

وقال السعدي: «{لا تخفى منكم خافية} لا من أجسامكم وأجسادكم، ولا من أعمالكم وصفاتكم، فإن الله تعالى عالم الغيب والشهادة، ويحشر العباد حفاة عراة غرلا في أرض مستوية، يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا». «تفسير السعدي» (ص٨٨٣).

(فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه):

قال القرطبي: «ومعنى: (هاؤم) تعالوا، قاله ابن زيد. وقال مقاتل: هلم. وقيل: أي: خذوا، ومنه الخبر في الربا: (إلا هاء وهاء)، أي: يقول كل واحد لصاحبه: خذ.

قال ابن السكيت والكسائي: العرب تقول: هاء يا رجل اقرأ، وللاثنين: هاؤما يا رجلان، وهاؤم يا رجال، وللمرأة: هاء (بكسر الهمزة) وهاؤما وهاؤمن. والأصل ها كم فأبدلت الهمزة من الكاف، قاله القتيبي.

وقيل: إن (هاؤم) كلمة وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٦٩).

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: {هاؤم اقرءوا كتابيه} أي: خذوا اقرؤوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات

محضة؛ لأنه ممن بدّل الله سيئاته حسنات.

قال عبد الرحمن بن زيد: معنى: {هاؤم اقرءوا كتابيه} أي: ها اقرؤوا كتابيه، و "ؤم" زائدة. كذا قال. والظاهر أنها بمعنى: هاكم.

وقد قال ابن أبي حاتم:... عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه، حتى يمرّ بحسناته فيقرؤها، فيرجع إليه لونه. ثم ينظر، فإذا سيئاته قد بدّلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: {هاؤم اقرءوا كتابيه}...

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يُدني الله العبد يوم القيامة، فيقرّره بذنوبه كلها، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين})». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٣-٢١٤).

وقال السعدي: «وهؤلاء هم أهل السعادة، يُعطَون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم، تمييزا لهم، وتنويها بشأنهم، ورفعا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطّلع الخلق على ما منّ الله عليه به من الكرامة: {هاؤم اقرءوا كتابيه} أي: دونكم كتابي فاقرؤوه، فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب. والذي أوصلني إلى هذه الحال ما منّ الله به عليّ من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل». «تفسير السعدي» (ص٨٨٣).

(إني ظننت أني مُلاقٍ حسابيه):

قال ابن عطية: «قال قتادة: ظن هذا ظنا يقينا فنفعه، وقوم ظنوا ظن الشك فشقوا به.

و (ظننت) هنا واقعة موقع تيقنت، وهي في متيقن لم يقع بعد ولا خرج إلى الحس، وهذا هو باب الظن الذي يوقع موقع اليقين». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٦٠).

وقال القرطبي: «قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك.

وقال مجاهد: ظن الآخرة يقين، وظن الدنيا شك». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٧٠).

(فهو في عيشة راضية):

قال القرطبي: «(فهو في عيشة راضية) أي: في عيش يرضاه لا مكروه فيه.

وقال أبو عبيدة والفراء: (راضية) أي: مرضية، كقولك: ماء دافق، أي: مدفوق.

وقيل: ذات رضا، أي: يرضى بها صاحبها، مثل: لابن وتامر، أي: صاحب اللبن والتمر.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم (يعيشون فلا يموتون أبدا، ويصحّون فلا يمرضون أبدا، وينعمون فلا يرون بؤسا أبدا، ويشبّون فلا يهرمون أبدا)». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٧٠).

(في جنة عالية):

قال ابن كثير: «{في جنة عالية} أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها.

قال ابن أبي حاتم:... عن أبي أمامة قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: (نعم، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى، فيحيّونهم ويسلّمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين، تقصر بهم أعمالهم).

وقد ثبت في الصحيح: (إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٤).

(قطوفها دانية):

قال ابن القيم: «القطوف: جمع قِطف، وهو ما يقطف. والقَطف -بالفتح- الفعل، أي: ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها، فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: "يتناول الثمرة وهو نائم".

وقال تعالى: {ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إذا همّ أن يتناول من ثمارها تدلّت إليه حتى يتناول ما يريد".

وقال غيره: "قرّبت إليهم مذلّلة كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قياما وقعودا ومضطجعين"، فيكون كقوله:

{قطوفها دانية}». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/ ٣٦٦).

(كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية):

قال القرطبي: «قال: (كلوا) بعد قوله: (فهو في عيشة راضية) لقوله: (فأما من أوتي) و (مَن) يتضمن معنى الجمع.

وذكر الضحاك أن هذه الآية نزلت في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وقاله مقاتل.

والآية التي تليها في أخيه الأسود بن عبد الأسد، في قول ابن عباس والضحاك أيضا، قاله الثعلبي.

ويكون هذا الرجل وأخوه سبب نزول هذه الآيات، ويعم المعنى جميع أهل الشقاوة وأهل السعادة، يدل عليه قوله تعالى: (كلوا واشربوا)». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٧٠).

وقال ابن تيمية: «ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لن يدخل الجنة أحد بعمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)، وهذا لا ينافي قوله: {كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية}، فإن الرسول نفى باء المقابلة والمعادلة، والقرآن أثبت باء السبب». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الحاقة ١٣-٢٤

١- يَنفخ إسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الأولى فيموت كلّ من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يَنفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، فحينئذ تقوم القيامة، وتُرفع الأرض والجبال فتدكّ دكّة واحدة، فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عِوجا ولا أمتا، وتتشقّق السماء فتصير ضعيفة متصدّعة بعد أن كانت قوية متماسكة، وتنتشر الملائكة في جوانب السماء، ويحمل عرش الله فوقهم يومئذ ثمانية، كل هذه الأهوال تُنبئك عن يوم عظيم أمره، شديد خطره، لا يأمن فيه ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم (فإذا نُفخ في الصور نفخة واحدة * وحُملت الأرض والجبال فدُكّتا دكّة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقّت السماء فهي يومئذ واهية * والملَك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية).

٢- في يوم القيامة ستُعرَض على ربك، وتُوقف بين يدي مولاك، لا تخفى منك معصية مهما دقّت، ولا يُنسى لك عمل مهما صغُر، وسيكلّمك ربك ليس بينك وبينه تَرجمان، فتنظر أيمن منك فلا ترى إلا ما قدّمت، وتنظر أشأم منك فلا ترى إلا ما قدّمت، وتنظر بين يديك فلا ترى إلا النار تِلقاء وجهك، حينها ستخجل من ذنوبك، وتستحيي من تقصيرك، وتندم على جرأتك على معصية ربك في الخلوات، ولن ينفعك ندم ولا حياء ولا خجل، فاستعدّ لهذا الموقف بالمبادرة إلى التوبة والاستغفار، والعمل بما يُرضي الواحد القهّار (يومئذ تُعرضون لا تخفى منك خافية).

٣- ما أشدّ فرح المؤمن يوم القيامة حين يأخذ كتابه بيمينه! ينادي مَن حولَه: تعالوا هلمّوا اقرؤوا كتابيه، فزت وربِّ الكعبة، قد رضي عنّي ربي وأرضاني، فما أسعدها من لحظات! بل هي لحظات السعادة الحقيقية؛ لأنه لا شقاء بعدها أبدا، فهنيئا لأصحاب اليمين هناك، فاللهم اجعلنا يوم القيامة من أصحاب اليمين (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني مُلاقٍ حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحاقة ٢٥-٣٧ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥﴾

وأما من أُعْطي كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي.

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾

ويا ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾

يا ليت الموتة التي متّها كانت الموتة التي لا أُبْعَث بعدها أبدًا.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨﴾

لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئًا.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾

غابت عني حجّتي وما كنت أعتمد عليه من قوة وجاهٍ.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠﴾

ويقال: خذوه -أيها الملائكة- واجمعوا يده إلى عنقه.

﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾

ثم أَدخلوه النار ليعاني حرّها.

﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾

ثم أَدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعًا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾

إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾

ولا يحثّ غيره على إطعام المسكين.

﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥﴾

فليس له يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦﴾

وليس له طعام يَطعمه إلا من عصارة أبدان أهل النار.

﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾

لا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب الذنوب والمعاصي.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• إطعام الفقير والحض عليه من أسباب الوقاية من عذاب النار.

• شدة عذاب يوم القيامة تستوجب التوقّي منه بالإيمان والعمل الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الحاقة ٢٥-٣٧

الكلمة	المعنى
مَا حِسَابِيَه	مَا جَزَائي
يا لَيتها كانت القاضِيَة	يا ليت الموتة التي مُتُّها في الدنيا كانت القاطعة لأمري فلا أُبْعَث بعدها
مَا أَغنى عنّي ماليَه	لم ينفعْنِي مالي شيئا
هَلَكَ عنّي	ذَهَبَ عنّي
سُلطَانيَه	حُجّتي وقوّتي
فغُلُّوه	فاجمعوا يديه إلى عُنُقِه بِأَغلَالِ الحديد
ثم الجَحِيم صَلُّوه	ثم أَدخِلُوه وأَحرِقُوه بالنار
ذَرْعُهَا	مِقدارُ طُولِها بالذّراع
فاسْلُكُوه	فأدخِلُوه فيها
ولا يَحُضُّ	ولا يَحُثُّ
حَمِيم	قَرِيبٌ أو صديقٌ يشفع له لينجوَ من العذاب
غِسْلِين	صديدِ أهلِ النار
الخاطِئُون	المُصِرُّون على الكفر

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الحاقة ٢٥-٣٧

(وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيَه):

قال ابن جُزي: «(وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ) هم الكفار، بدليل قوله: (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم)، فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح؛ لقوله: (هاؤم اقرءوا كتابيه)، لأن هذا كلام سرور، فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٧).

وقال ابن عثيمين: «قيل: إن من لا يؤتى كتابه بيمينه ينقسم إلى قسمين: منهم من يؤتى كتابه بالشمال، ومنهم من يؤتى كتابه وراء ظهره، والأقرب -والله أعلم- أنه يؤتى كتابه بالشمال، ولكن تلوى يده حتى تكون من وراء ظهره، إشارة إلى أنه نبذ كتاب الله وراء ظهره، فيكون الأخذ بالشمال، ثم تلوى يده إلى الخلف إشارة إلى أنه قد ولى ظهره كتاب الله عز وجل، ولم يبال به، ولم يرفع به رأسًا، ولم ير بمخالفته بأسًا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٤).

(يا ليتها كانت القاضية):

قال الطبري: «(يا ليتها كانت القاضية) يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث، والقضاء: هو الفراغ.

وقيل: إنه تمنى الموت الذي يقضي عليه، فتخرج منه نفسه». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٨٧).

وقال ابن كثير: «قال قتادة: تمنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٥).

(ما أغنى عنّي ماليَه * هلك عنّي سُلطانيَه):

قال البغوي: «{هلك عني سلطانيه}: ضلّت عني حجّتي، عن أكثر المفسرين.

وقال ابن زيد: زال عني ملكي وقوتي.

قال مقاتل: يعني: حين شهدت عليه الجوارح بالشرك». «تفسير البغوي» (٨/ ٢١٢).

وقال ابن عطية: «(ما أغنى) يحتمل أن يريد الاستفهام على معنى التقرير لنفسه والتوبيخ، ويحتمل أن يريد النفي المحض.

و«السلطان» في الآية: الحجة على قول عكرمة ومجاهد.

قال بعضهم -ونحا إليه ابن زيد-: ينطق بذلك ملوك الدنيا الكفرة.

والظاهر عندي أن سلطان كل أحد حاله في الدنيا من عَدد وعُدد، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤمّنّ الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٦٠).

وقال ابن تيمية: «لا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضرّ، كما روى الترمذي عن كعب بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. فذمّ النبي صلى الله عليه وسلم الحرص على المال والشرف، وهو الرياسة والسلطان، وأخبر أن ذلك يفسد الدين مثل أو فوق إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما ذمّ لأنه يفسد الدين الذي هو الإيمان والعمل الصالح، فكان ترك هذا الحرص لصالح العمل، وهذان هما المذكوران في قوله تعالى: {ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه}». «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٤٢).

وقال ابن تيمية: «أخبر الله تعالى عن الذي يؤتى كتابه بشماله أنه يقول: {ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه}. وغاية مريد الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون، وقد بين الله تعالى في كتابه حال فرعون وقارون، فقال تعالى: {أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم

كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق}، وقال تعالى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين}». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٢).

وقال ابن القيم: «الله سبحانه سمى الحجة العلمية سلطانا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كل سلطان في القرآن فهو حجة"، وهذا كقوله تعالى: {قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون}، يعني: ما عندكم من حجة بما قلتم، إن هو إلا قول على الله بلا علم. وقال تعالى: {إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان}، يعني: ما أنزل الله بها حجة ولا برهانا، بل هي من تلقاء أنفسكم وآبائكم. وقال تعالى: {أم لكم سلطان مبين. فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين}، يعني: حجة واضحة، فأتوا بها إن كنتم صادقين في دعواكم.

إلا موضعا واحدا اختلف فيه، وهو قوله: {ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه}، قيل: المراد به القدرة والملك، أي: ذهب عني مالي وملكي، فلا مال لي ولا سلطان. وقيل: هو على بابه، أي انقطعت حجتي وبطلت، فلا حجة لي.

والمقصود أن الله سبحانه سمى علم الحجة: سلطانا؛ لأنها توجب تسلّط صاحبها واقتداره، فله بها سلطان على الجاهلين، بل سلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد؛ فإن الحجة تنقاد لها القلوب، وأما اليد فإنما ينقاد لها البدن، فالحجة تأسر القلب وتقوده، وتذلّ المخالف، وإنْ أظهر العناد والمكابرة فقلبه خاضع لها، ذليل مقهور تحت سلطانها، بل سلطان الجاه إن لم يكن معه علم يساس به فهو بمنزلة سلطان السباع والأسود ونحوها، قدرة بلا علم ولا رحمة، بخلاف سلطان الحجة، فإنه قدرة بعلم ورحمة وحكمة، ومن لم يكن له اقتدار في علمه فهو إما لضعف حجته وسلطانه، وإما لقهر سلطان اليد والسيف له، وإلا فالحجة ناصرة نفسها، ظاهرة على الباطل قاهرة له». «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٨-١٦٠).

وقال السعدي: «التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه، لم يقدّم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من

عذاب الله، فيقول: {ما أغنى عني ماليه} أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدّم منه شيئا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه.

{هلك عني سلطانيه} أي: ذهب واضمحلّ، فلم تنفع الجنود الكثيرة، ولا العُدد الخطيرة، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغموم والأتراح». «تفسير السعدي» (ص٨٨٤).

(ثم في سلسلة ذَرعها سبعون ذراعًا فاسلُكوه):

قال الخطيب الإسكافي: «صارت السبعة أصلا للمبالغة في العدد، ولذا خصّت السموات بسبع من العدد، والأرضون مثلها، والكواكب والأسبوع، وقال تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)، وقال: (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)». «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/ ٨٦٩).

وقال ابن جُزي: «(ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعـًا) معنى (ذرعها): أي: طولها.

واختلف في هذا الذراع، فقيل: إنه الذراع المعروف، وقيل: بذراع الملَك، وقيل: في الذراع سبعون باعا، كل باع ما بين مكة والكوفة. ولله در الحسن البصري في قوله: الله أعلم بأي ذراع هي.

وجعَلها سبعين ذراعا لإرادة وصفها بالطول، فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار، أو تكون بين جميعهم، وقد حكى الثعلبي ذلك.

(فَاسْلُكُوهُ) أي: أدخلوه، روي أنها تلتوي عليه حتى تعمّه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه، وهو المسلوك فيها، وإنما قدّم قوله: (في سلسلة) على (اسلكوه) لإرادة الحصر، أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٧).

وقال ابن كثير: «قال ابن عباس: {فاسلكوه} تدخل في استه ثم تخرج من فيه، ثم يُنظَمون فيها كما يُنظَم الجراد في العود حين يشوى. وقال العوفي، عن ابن عباس: يُسلك في دبره حتى يخرج من منخريه، حتى لا

يقوم على رجليه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٦).

(إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحضّ على طعام المسكين):

قال ابن جُزي: «(طَعامِ الْمِسْكِينِ) يحتمل أنه أراد إطعام مسكين، فوضع الاسم موضع المضمر، أو يقدّر: لا يحض على بذل طعام المسكين، وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة، ووصْفه بأنه لا يحضّ على طعام المسكين يدل على أنه لا يُطعمه من باب أولى، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٧).

وقال ابن كثير: «{إنه كان لا يؤمن بالله العظيم. ولا يحض على طعام المسكين}، أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم؛ فإن لله على العباد أن يوحّدوه ولا يشركوا به شيئا، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقُبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (الصلاة، وما ملكت أيمانكم)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢١٦).

وقال الألوسي: «كان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يحضّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: خلعْنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها؟ اقتبس ذلك من الآية، فإنه جعل استحقاق السلسلة معللا بعدم الإيمان وعدم الحضّ». «تفسير الألوسي» (١٥/ ٥٧).

(فليس له اليوم ها هنا حميم * ولا طعام إلا من غِسلين):

قال الطبري: «(ولا طعام إلا من غسلين) يقول جل ثناؤه: ولا له طعام كما كان لا يحضّ في الدنيا على طعام المسكين، إلا طعام من غسلين، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غِسلين، فعلين من الغَسل من الجراح والدبر». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٩٠).

وقال زكريا الأنصاري: «قوله تعالى: (فليس له اليوم هاهنا حميم. ولا طعام إلا من غسلين) إن قلت: ما التوفيق بينه وبين قوله تعالى: (ليس لهم طعام إلا من ضريع)، وفي آخر: (إن شجرة الزقوم. طعام الأثيم)، وفي آخر: (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار)؟

قلت: لا منافاة؛ إذ يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك، أو أن العذاب أنواع، والمعذبين طبقات، فمنهم أكلة غسلين، ومنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة النار، لكل باب منهم جزء مقسوم». «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» (١/ ٥٧٩-٥٨٠).

(لا يأكله إلا الخاطئون):

قال ابن تيمية: «وأما اسم الخاطئ فلم يجئ في القرآن إلا للإثم بمعنى الخطيئة، كقوله: {واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين}، وقوله: {لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين}، وقوله: {يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين}، وقوله: {لا يأكله إلا الخاطئون}». «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الحاقة ٢٥-٣٧

١- الكافر الذي يموت على كفره سيدخل نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ويُقاسي فيها صنوف العذاب، ويذوق أنواع النكال، وحينها سيندم أشدّ الندم، ويتمنى أنه لم يُبعَث، ولن تنفعه الأماني، ويودّ أن يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه، ولكن هيهات (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيَه * ولم أدرِ ما حسابيَه * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عنّي ماليَه * هلك عنّي سُلطانيَه * خذوه فغُلّوه * ثم الجحيم صَلّوه * ثم في سلسلة ذَرعها سبعون ذراعًا فاسلُكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحضّ على طعام المسكين * فليس له اليوم ها هنا حميم * ولا طعام إلا من غِسلين * لا يأكله إلا الخاطئون).

٢- اعلم أن المال مهما كثُر لن ينفع أحدا يوم القيامة، بل قد يكون وبالا عليه، وقائدا له إلى النار، فلا تغترّ بكثرة مالك، واحرص على أداء حقوق الله وحقوق العباد فيه (ما أغنى عنّي ماليَه).

٣- احذر من أصحاب الأهواء الذين يزيّنون الباطل بحجج واهية، وحيل بالية، فإن هذه الحجج كلَّها ستغيب يوم القيامة، وسيتبيّن أنهم إنما كانوا يخادعون أنفسهم وغيرهم بما أوحاه إليهم الشيطان، وأنهم إنما كانوا يريدون الانتصار لأهوائهم لا للحق، وأنهم إنما كانوا يقدّمون مصلحة أنفسهم على مصلحة دين الله، حينها سيعضّون أصابع الندم، ولات ساعة مَندم، ويحاولون الهرب، ولات حين مَناص (هلك عنّي سُلطانيَه).

٤- احرص على إطعام المساكين، ولو كنت قليل المال، وحثّ غيرك من الناس عليه، فإن إطعام المساكين من أكبر أسباب الوقاية من عذاب النار ودخول الجنة (ولا يحضّ على طعام المسكين).

٥- الصداقات الدنيويّة لن تنفع صاحبها يوم القيامة، بل تنقلب إلى عداوات، وأما الصداقات الدينيّة بين المتّقين فقد ينتفعون بها يوم القيامة بالشفاعة، فاحرص على تكوين الصداقات مع المتّقين (فليس له اليوم ها هنا حميم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحاقة ٣٨-٥٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨﴾

أَقسم الله بما تشاهدون.

﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾

وأقسم بما لا تشاهدون.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾

إن القرآن لكلام الله، يتلوه على الناس رسوله الكريم.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١﴾

وليس بقول شاعر؛ لأنه ليس على نظم الشعر، قليلًا ما تؤمنون.

﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾

وليس بقول كاهن، فكلام الكهان أمر مُغَايِر لهذا القرآن، قليلًا ما تتذكرون.

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾

ولكنه منزل من رب الخلائق كلهم.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤﴾

ولو تَقَوَّل علينا محمد بعض الأقاويل التي لم نقُلها.

﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥﴾

لانتقمنا منه وأخذنا منه بالقوة منا والقدرة.

﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾

ثم لقطعنا منه العِرْق المتصل بالقلب.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾

فليس منكم من يمنعنا منه، فبعيد أن يَتَقَوَّل علينا من أجلكم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾

وإن القرآن لموعظة للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩﴾

وإنا لنعلم أن مِن بينكم مَنْ يكذّب بهذا القرآن.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾

وإن التكذيب بالقرآن لندامة عظيمة يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١﴾

وإن القرآن لهو حق اليقين الَّذي لا مِرْية ولا ريب أنَّه من عند الله.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾

فنزّه -أيها الرسول- ربك عما لا يليق به، واذكر اسم ربك العظيم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• تنزيه القرآن عن الشعر والكهانة.

• خطر التَّقَوُّل على الله والافتراء عليه سبحانه.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الحاقة ٣٨-٥٢

الكلمة	المعنى
فلا أُقسِم	أُقسِم، و (لا) لتأكيد القَسَم
إنّه لَقَول رَسُول	إنه لتبليغ الرسول عن ربّ العالَمين
ولا بِقَول كَاهِن	وليس بِسجْع كسجْع الكهّان الذين يدّعون علم الغيب
ولو تَقوَّل علينا	ولو افترى علينا قولا لم نَقُله
لَأخذنا منه باليَمين	لَانتقمْنا منه بقوة وقدرة
الوَتِين	العِرق المتّصل بالقلب
عنه حاجِزين	مانعين الهلاك والعقاب عنه
لَحَسْرَة	لَنَدَامَة عظيمة
فسبّح باسم ربّك	فنزّه ربّك عمّا لا يليق به ذاكرًا اسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الحاقة ٣٨-٥٢

(فلا أُقسم بما تُبصرون * وما لا تُبصرون):

قال البغوي: «أي: بما ترون وبما لا ترون.

قال قتادة: أقسم بالأشياء كلها، فيدخل فيه جميع المخلوقات والموجودات.

وقيل: أقسم بالدنيا والآخرة.

وقيل: "ما تبصرون" ما على وجه الأرض، و "ما لا تبصرون" ما في بطنها.

وقيل: "ما تبصرون" من الأجسام، و "ما لا تبصرون" من الأرواح.

وقيل: "ما تبصرون" الإنس، و "ما لا تبصرون" الملائكة والجن.

وقيل: النعم الظاهرة والباطنة.

وقيل: "ما تبصرون" ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم، و "ما لا تبصرون" ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا». «تفسير البغوي» (٨/ ٢١٤).

وقال السعدي: «أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل في ذلك كل الخلق، بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلّغه عن الله تعالى». «تفسير السعدي» (ص٨٨٤).

(إنه لَقول رسول كريم):

«قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أُسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: {إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون}، قال: قلت: كاهن، قال: {ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون. تنزيل من رب العالمين. ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين} إلى آخر السورة، قال: فوقع

الإسلام في قلبي كل موقع». «مسند أحمد» (١/ ٢٦٢).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله تعالى: {إنه لقول رسول كريم} فهذا قد ذكره في موضعين:
فقال في الحاقة: {إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون}، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم.
وقال في التكوير: {إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين}، فالرسول هنا جبريل.
فأضافه إلى الرسول من البشر تارة، وإلى الرسول من الملائكة تارة، باسم الرسول، ولم يقل: إنه لقول ملَك، ولا نبي، لأن لفظ الرسول يبيّن أنه مبلّغ عن غيره، ليس من عنده: {وما على الرسول إلا البلاغ المبين}، فكان قوله: {إنه لقول رسول} بمنزلة قوله: لتبليغ رسول، أو مبلّغ من رسول كريم، وليس معناه أنه أنشأه أو أحدثه، أو أنشأ شيئا منه أو أحدثه رسول كريم، إذ لو كان منشئا لم يكن رسولا فيما أنشأه وابتدأه، ومعلوم أن الضمير عائد إلى القرآن مطلقا.
وأيضا فلو كان أحد الرسولين أنشأ حروفه ونظمه؛ امتنع أن يكون الرسول الآخر هو المنشئ المؤلّف لها؛ فبطل أن تكون إضافته إلى الرسول هنا لأجل إحداث لفظه ونظمه.
ولو جاز أن تكون الإضافة هنا لأجل إحداث الرسول له أو لشيء منه لجاز أن نقول إنه قول البشر، وهذا قول الوحيد الذي أصلاه الله سقر». «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٥/ ١٠).

وقال السعدي: «نزّه الله رسوله عما رماه به أعداؤه من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكّرهم، فلو آمنوا وتذكّروا لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك: أن ينظروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقا، وأن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر، بل هو كلام دال على عظمة من تكلّم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوّه فوق عباده، وأيضا، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته». «تفسير السعدي» (ص٨٨٤).

(وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون * تنزيل من رب العالَمين):

قال القرطبي: «(وما هو بقول شاعر) لأنه مباين لصنوف الشعر كلها، (ولا بقول كاهن) لأنه ورد بسبّ الشياطين وشتمهم، فلا يُنزلون شيئا على من يسبّهم... وذلك القليل من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا من خلقهم؟ قالوا: الله». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٧٥).

وقال أبو القاسم الكرماني: «قوله: {وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون} خصّ ذكر الشعر بقوله: {ما تؤمنون}؛ لأن من قال: القرآن شعر ومحمد شاعر بعد ما علم اختلاف آيات القرآن في الطول والقصر، واختلاف حروف مقاطعه؛ فلكفره وقلة إيمانه، فإن الشعر كلام موزون مقفّى.

وخصّ ذكر الكهانة بقوله: {ما تذكّرون} لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة، وأن محمدا كاهن، فهو ذاهل عن كلام الكهان، فإنه أسجاع لا معاني تحتها، وأوضاع تنبو الطباع عنها، ولا يكون في كلامهم ذكر الله تعالى». «أسرار التكرار في القرآن» (ص٢٤٠).

وقال ابن تيمية: «مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين حديث مفترى وشعر مفتعل، وإليهما أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له عمر بن الخطاب في بعض ما يخاطبه به: يا خليفة رسول الله تَألّف الناس، فأخذ بلحيته وقال: يا ابن الخطاب! أجبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام؟ علام أتألفهم؟ أعلى حديث مفترى؟ أم شعر مفتعل؟ يقول: إني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الأسدي.

وهذان النوعان: هما اللذان يعارِض بهما القرآن أهلُ الفجور والإفك المبين، قال تعالى: {فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون. إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون. تنزيل من رب العالمين}، وقال تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين} إلى قوله: {وما تنزّلت به الشياطين} إلى آخر السورة. فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين والشعراء الغاوين، ونزّهه عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة». «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٣٦).

(ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لَأخذنا منه باليمين * ثمّ لَقطعنا منه الوَتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين):

قال ابن عطية: «(لأخذنا منه باليمين) اختلف في معناه:

فقال ابن عباس: (باليمين) بالقوة، ومعناه: لنلنا منه عقابه بقوة منا، أو يكون المعنى: لنزعنا قوته.

وقال آخرون: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يسجن أو يقام لعقوبة: قد أخذ بيده وبيمينه». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٦٣).

وقال ابن تيمية: «وأما من يكذب على الله، ويقول – أي: يدّعي – أنه نبي: فلو أيّده الله تأييد الصادق: للزم أن يسوّي بينه وبين الصادق، فيستوي الهدى والضلال، والخير والشر، وطريق الجنة وطريق النار، ويرتفع التمييز بين هذا وهذا، وهذا مما يوجب الفساد العام للناس في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال من يقاتِل على الدين الفاسد من أهل البدع، كالخوارج. وأمر بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم والخروج عليهم، ولهذا قد يمكّن الله كثيرا من الملوك الظالمين مدة، وأما المتنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينَهم، بل لا بد أن يهلكهم؛ لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: {ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين}، وقال تعالى: {أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك} فأخبر أنه – بتقدير الافتراء – لا بد أن يعاقِب من افترى عليه». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٦٩).

وقال السعدي: «فلو قدّر أن الرسول –حاشا وكلا– تقوّل على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، وعلى كل شيء قدير، فحكمته تقتضي أن لا يُمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك.

فإذا كان الله قد أيّد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكّنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته». «تفسير السعدي» (ص٨٨٥).

(وإنه لَتذكرة للمتّقين):

قال السعدي: «{وإنه} أي: القرآن الكريم {لَتذكرة للمتقين} يتذكّرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها، ويعملون عليها، يذكّرهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين، والأئمة المهديين». «تفسير السعدي» (ص٨٨٥).

(وإنه لَحسرة على الكافرين):

قال القرطبي: «قيل: أي: وإن القرآن لحسرة على الكافرين يوم القيامة إذا رأوا ثواب من آمن به.

وقيل: هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم أن يأتوا بسورة مثله». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٧٧).

(وإنه لَحقّ اليقين):

قال السعدي: «{وإنه لحق اليقين} أي: أعلى مراتب العلم، فإن أعلى مراتب العلم: اليقين، وهو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل ولا يزول، واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها:

أولها: علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر.

ثم عين اليقين، وهو العلم المدرَك بحاسة البصر.

ثم حق اليقين، وهو العلم المدرَك بحاسة الذوق والمباشرة.

وهذا القرآن الكريم بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيّدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين». «تفسير السعدي» (ص٨٨٥).

(فسبِّح باسم ربّك العظيم):

قال ابن تيمية: «في حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: (لما نزل: {فسبح باسم ربك العظيم} قال: اجعلوها في ركوعكم، ولما نزل: {سبح اسم ربك الأعلى} قال: اجعلوها في سجودكم)،

والمراد بذلك أن يقولوا في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى، كما ثبت في الصحيح عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه (قام بالبقرة والنساء وآل عمران، ثم ركع نحوا من قيامه يقول: سبحان ربي العظيم، وسجد نحوا من ركوعه يقول: سبحان ربي الأعلى). وفي السنن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا قال العبد في ركوعه: سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه، وذلك أدناه. وإذا قال في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاثا فقد تم سجوده، وذلك أدناه). وقد أخذ بهذا جمهور العلماء». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٠٠).

وقال ابن القيم: «فإن قيل: فما الفائدة في دخول الباء في قوله: {فسبح باسم ربك العظيم}، ولم تدخل في قوله: {سبح اسم ربك الأعلى}؟

قيل: التسبيح يراد به التنزيه والذكر المجرد دون معنى آخر، ويراد به ذلك مع الصلاة، وهو ذكر وتنزيه مع عمل، ولهذا تسمّى الصلاة: تسبيحا، فإذا أريد التسبيح المجرّد فلا معنى للباء؛ لأنه لا يتعدى بحرف جر، لا تقول: سبحت بالله، وإذا أردت المقرون بالفعل، وهو الصلاة، أدخلت الباء تنبيها على ذلك المراد، كأنك قلت: سبِّح مفتتحا باسم ربك، أو ناطقا باسم ربك، كما تقول: صلِّ مفتتحا أو ناطقا باسمه، ولهذا السر - والله أعلم- دخلت اللام في قوله تعالى: {سبَّح لله ما في السماوات والأرض}، والمراد التسبيح الذي هو السجود والخضوع والطاعة، ولم يقل في موضع: سبَّح الله ما في السموات والأرض، كما قال: {ولله يسجد من في السموات والأرض}، وتأمّل قوله تعالى: {إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون} كيف قال: {ويسبحونه} لما ذكر السجود باسمه الخاص، فصار التسبيح ذكرهم له، وتنزيههم إياه». «بدائع الفوائد» (١/ ٣٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الحاقة ٣٨-٥٢

١- القرآن الكريم كلام الله الذي نزّله على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بلاغًا للناس أجمعين، ونذارةً للكافرين، ودعوةً إلى توحيد رب العالمين، وتذكرةً للمؤمنين، فاستحضِر هذا عند تلاوته، ولا تهذّه هذّ الشِّعر، ولا تنثره نثر الدقل، قِف عند عجائبه، وحرّك به القلوب، ولا يكُن همّك آخر السورة (فلا أُقسم بما تُبصرون ❋ وما لا تُبصرون ❋ إنه لَقول رسول كريم ❋ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ❋ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون ❋ تنزيل من رب العالَمين).

٢- التاريخ يشهد أنّ الله سبحانه وتعالى يَقصم كلّ مدّعٍ بالزور والبهتان أنه نبيّ من عند الله، ولو بعد حين، فلا يليق بحكمة الله وقدرته أن ينصر مَن يتقوّل عليه ما لم يقُله سبحانه، ويؤيّده بالآيات والمعجزات والبراهين لمئات السنين، وينصرَ دينه ويُظهرَه على الدين كلّه، فتبيّن بهذا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسولُ الله حقًا، ونبيّه صدقا (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ❋ لَأخذنا منه باليمين ❋ ثمّ لَقطعنا منه الوَتين ❋ فما منكم من أحد عنه حاجزين).

٣- إنما يتذكّر بالقرآن حقّ التذكّر من ترقّى في درجات التقوى، فكلّما ازداد تُقًى ازداد فهمًا للقرآن وتذكّرًا به، وكلّما ازداد تذكّرًا ازداد تُقًى، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فاحرص على تحقيق التقوى حتى يفتح الله قلبك لفهم القرآن وتدبّره والتذكّر به (وإنه لَتذكرة للمتّقين).

٤- براهين القرآن وحججه واضحة لكل من تدبّرها وتفكّر فيها، فآمِن بالقرآن وبكلّ ما فيه من أخبار وأحكام، ولو ظننت أنه معارِض لشيء من العقول أو العلوم الحديثة، فكلّ العقول والعلوم مهما تطوّرت فهي تابعة لكتاب الله، والقرآن هو المعيار لتمييز صوابها من خطئها، واعلم أنه لا يكذّب بالقرآن وبما فيه إلا مُعانِد أو مُعرِض، وسيكون تكذيبهم حسرة عليهم في الدنيا والبرزخ والآخرة (وإنا لنعلم أنّ منكم مكذّبين ❋ وإنه لَحسرة على الكافرين ❋ وإنه لَحقّ اليقين).

٥- نزّه الله سبحانه وتعالى عن كلّ نقص ينافي كماله، ونزّهه عن أن يُشبه خلقَه أو يشبهه أحدٌ من خلقِه سبحانه وتعالى، وردّد في كلّ نزول وانخفاض: سبحان ربّي العظيم، مستحضرا أنها كلمة خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان، حبيبة إلى الرحمن (فسبِّح باسم ربّك العظيم).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة الحاقة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة الحاقة.

أكثر آيات سورة الحاقة آيات قصيرة يُوقف على رؤوسها اقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وإنما سأتكلم عن الآيات التي فيها احتمالية وقف في غير رأس الآية.

أبدأ بالآية السابعة: (سخَّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حُسوما) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنه قد انتهى هنا ذكر مدة تسخير الريح عليهم، ثم ذكر نتيجة هذه العقوبة، فمَن نظر إلى هذا صحَّح الوقف هنا.

ومَن نظر إلى أن قوله تعالى بعدها: (فترى القوم فيها صرعى) إنما هي نتيجة وعاقبة تسخير الرياح عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، لم يصحح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فترى القوم فيها صَرْعى)؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني؛ لماذا؟ لأن بعده: (كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية) صفة لهؤلاء الصرعى، فكأنه قال: فترى القوم فيها صرعى مثل أعجاز نخل خاوية، ولا يصح الفصل بين الصفة والموصوف، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية العاشرة: (فعصوْا رسول ربهم) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا ابن النحَّاس والنكزاوي، ونصّ على المنع منه الأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء.

وعلّل النكزاوي الوقف هنا بقوله: على استئناف ما بعده، يعني: على اعتبار قوله تعالى: (فأَخَذَهم أخذة رابية) جملة مستأنفة، لكن هذا بعيد لمن تأمّل المعنى، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم عصوْا رسول ربهم فكانت النتيجة والعاقبة أن الله أخذهم أخذة رابية، فليست الجملة مستأنفة، وإنما هي معطوفة على الجملة التي قبلها عطفا متضمنا بيان عاقبة ونتيجة عصيانهم رسول ربهم، فالأقرب عدم الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية عشرة: (لِنجعلَها لكم تذكرة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله تعالى بعدها: (وتعِيَها أذن واعية) جملة معطوفة على جملة التعليل في قوله: (لِنجعلَها) منصوبة مثلها، تقدير الكلام: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لأمرين: لنجعلها لكم تذكرة، ولتعِيَها أذن واعية، فلم يصح الفصل بين العلتين. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة عشرة: (والمَلَك على أرجائها) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى الخبر عن أن المَلَك سينتشرون يوم القيامة على أرجاء السماء، وذلك في جملة اسمية، ثم جاءت جملة فعلية تضمنت بيان أن ثمانية من الملائكة يحملون عرش الله سبحانه وتعالى في قوله: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)، وهي جملة مستأنفة، فصح الوقف قبلها. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة عشرة: (فأمّا مَن أوتيَ كتابه بيمينه فيقول هاؤم) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا حسن، ثم يبتدئ فيقول: (اقرؤوا كتابيه)، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الذي يُؤتى كتابه بيمينه سيقول جملتين: الجملة الأولى: هاؤم، بمعنى: تعالوا، ينادي الناس. والجملة الثانية: اقرؤوا كتابيه. فمَن نظر إلى هذا صحَّح الفصل بين الجملتين.

ومَن نظر إلى أن الجملتين تتضمنان مقصودا واحدا وهو: أنه ينادي الناس ليقرؤوا كتابه، فإنه لم يصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة والعشرون: (كلوا واشربوا) هل يصح الوقف هنا؟

نص على الوقف هنا الهبْطي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (هنيئا) حال من الأكل والشرب، وتقدير الجملة: كلوا واشربوا حال كون الأكل والشرب هنيئا لكم، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة والعشرون: (وأمّا مَن أوتيَ كتابه بشماله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه الأشموني رحمه الله؛ لماذا؟ لأن جواب (أمّا) لم يأت بعد، وجوابها في قوله: (فيقول يا ليتني لم أُوتَ كتابيه)، فلا وقف إلا في نهاية الآية. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية والأربعون: (وما هو بقول شاعر) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة النفي قد انتهت هنا، ثم

جاء الإخبار عن حال المشركين في قوله: (قليلا ما تؤمنون)، و(قليلا) ينتصب على أنه نعت لمصدر محذوف، والتقدير: تؤمنون إيمانا قليلا، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهكذا يقال في قوله: (ولا بقول كاهن)، فإنه يصح الوقف هنا كما نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ لأن جملة النفي قد انتهت، ثم جاء ذكر حال المشركين في قوله: (قليلا ما تذكّرون)، وقوله: (قليلا) منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف، والتقدير: تتذكّرون تذكّرا قليلا.

هذا خلاصة ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة الحاقة. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القلم ١-١٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة القلم: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] شهادة الله للنبي صلى الله عليه وسلم بحسن الخُلُق، والدفاع عنه وتثبيته.

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾

{ن} تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. أقسم الله بالقلم، وأقسم بما يكتبه الناس بأقلامهم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾

ما أنت -أيها الرسول- بما أنعم الله عليك به من النبوّة مجنونًا، بل أنت بريء من الجنون الَّذي رماك به المشركون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣﴾

وإنّ لك لثوابًا على ما تعانيه من حمل الرسالة إلى الناس غير مقطوع، ولا منّة به لأحد عليك.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾

وإنك لعلى الخلق العظيم الَّذي جاء به القرآن، فأنت مُتَخَلِّق بما فيه على أكمل وجه.

﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥﴾

فستبصر أنت، ويبصر هؤلاء المكذبون.

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾

عندما ينكشف الحق يتضح بأيكم الجنون؟!

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧﴾

إن ربك -أيها الرسول- يعلم من انحرف عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين إليها، فيعلم أنهم من ضلّوا عنها، وأنك من اهتديت إليها.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨﴾

فلا تطع -أيها الرسول- المكذبين بما جئت به.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩﴾

تمنّوا لو لَايَنْتَهم ولَاطَفْتَهم على حساب الدين، فيلينون لك ويلاطفونك.

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠﴾

ولا تطع كل كثير الحلف بالباطل، حقير.

﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾

كثير الاغتياب للناس، كثير المشي بالنميمة بينهم؛ ليفرق بينهم.

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾

كثير المنع للخير، معتدٍ على الناس في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، كثير الآثام والمعاصي.

﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾

غليظ جافٍ، دَعِي في قومه لصِيق.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤﴾

لأجل أنّه كان صاحب مال وأولاد تكبّر عن الإيمان بالله ورسوله.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾

إذا تُقْرأ عليه آياتنا قال: هذه ما يُسَطَّر من خرافات الأولين.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾

سنضع علامة على أنفه تَشِينه وتلازمه.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بأخلاق القرآن.
- صفات الكفار صفات ذميمة يجب على المؤمن الابتعاد عنها، وعن طاعة أهلها.
- مَن أكثر الحلف هان على الرحمن، ونزلت مرتبته عند الناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القلم ١-١٦

الكلمة	المعنى
وما يَسْطُرُون	والذي يَكتُبونه بالقلم
غيرَ مَمْنُون	غيرَ مَقطُوع عنك ولا مَنقُوص
بِأَيِّكُمُ المَفتُون	في أيّ الفريقين منكم الفتنةُ والجنون؟
وَدُّوا لو تُدهِن فيُدهِنون	أَحَبُّوا وتَمنَّوا لو تُصانعُهم على كفرهم فيلينون لك
حَلَّاف	كثيرِ الحَلِف
مَهِين	كذّابٍ حَقيرٍ
هَمَّاز	مُغتابٍ للناسِ طعّانٍ فيهم
مَشّاءٍ بِنَمِيم	يسعى بين الناس بالنميمة، وهي نقل كلام بعضهم إلى بعض للإفساد بينهم
عُتُلّ	غَليظٍ قاسٍ فاحشٍ لئيم
زَنِيم	دَعيٍّ لَصيقٍ منسوبٍ لغير أبيه
أساطيرُ الأوّلين	خُرافاتُ السابقين التي سطّرُوها في كُتُبهم
سَنَسِمُه	سَنَجعلُ له علامةً لا تُفارقُه
على الخُرطُوم	على أنفِه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القلم ١-١٦

فوائد عامة في سورة القلم:

قال ابن تيمية: «سورة (ن) هي سورة "الخُلق" الذي هو جماع الدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى فيها: {وإنك لعلى خلق عظيم}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٦١).

(ن):

«هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطَّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن، فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكوّن منها لغة العرب، فدَلَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله -مع أنهم أفصح الناس- على أن القرآن وحي من الله». «التفسير الميسر» (١/ ٢).

(والقلم وما يسطُرون):

قال ابن كثير: «{والقلم} الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله: {اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}. فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تُنال العلوم؛ ولهذا قال: {وما يسطرون} قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني: وما يكتبون.

وقال أبو الضحى، عن ابن عباس: {وما يسطرون} أي: وما يعملون.

وقال السدي: {وما يسطرون} يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد.

وقال آخرون: بل المراد هاهنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة. وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم... فعن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٧).

(ما أنت بنعمة ربّك بمجنون):

قال القرطبي: «والنعمة ها هنا الرحمة.

ويحتمل ثانيا أن النعمة ها هنا قسم، وتقديره: ما أنت ونعمة ربك بمجنون، لأن الواو والباء من حروف القسم.

وقيل: هو كما تقول: ما أنت بمجنون، والحمد لله.

وقيل: معناه: ما أنت بمجنون، والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك، أي: والحمد لله». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٢٦).

وقال ابن تيمية: «المقسم عليه ثلاث جمل: {ما أنت بنعمة ربك بمجنون}، {وإن لك لأجرا غير ممنون}، {وإنك لعلى خلق عظيم}، سلب عنه النقص الذي يقدح فيه، وأثبت له الكمال المطلوب في الدنيا والآخرة، وذلك أن الذي أتى به إما أن يكون حقا أو باطلا، وإذا كان باطلا فإما أن يكون مع العقل أو عدمه، فهذه الأقسام الممكنة في نظائر هذا:

الأول: أن يكون باطلا ولا عقل له، فهذا مجنون لا ذم عليه ولا يتّبع.

الثاني: أن يكون باطلا وله عقل، فهذا يستحق الذمّ والعقاب.

الثالث: أن يكون حقا مع العقل.

فنفى عنه الجنون أولا، ثم أثبت له الأجر الدائم الذي هو ضد العقاب، ثم بيّن أنه على خلق عظيم؛ وذلك يبيّن عظم الحق الذي هو عليه بعد أن نفى عنه البطلان». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٦٢-٦٣).

(وإنّ لك لأجرا غير ممنون):

قال ابن كثير: «{وإن لك لأجرا غير ممنون} أي: بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم. ومعنى: {غير ممنون} أي: غير مقطوع، كقوله: {عطاء غير مجذوذ}، {فلهم أجر غير ممنون} أي: غير مقطوع عنهم. وقال مجاهد: {غير ممنون} أي: غير محسوب، وهو يرجع إلى ما قلناه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٨).

(وإنك لعلى خلق عظيم):

قال البغوي: «{وإنك لعلى خلق عظيم} قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم، لا دين أحب إليّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام.

وقال الحسن: هو آداب القرآن. سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن.

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله، وينتهي عنه من نهي الله، والمعنى: إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن...

وروينا عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال).

... عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف قط، وما قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته: لِمَ تركته؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خُلقا، ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عَرَق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

... عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: (خياركم أحسنكم أخلاقا).

... عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة، فقالت: يا رسول الله! إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان! اجلسي في أيّ سكك المدينة شئت أجلس إليك، قال: ففعلت، فقعد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضى حاجتها.

... عن أنس بن مالك قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت.

... عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُرَ مقدّما

ركبتيه بين يدي جليس له.

... عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادما ولا امرأة.

... عن أنس قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء.

... عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء).

... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفم، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق).

... عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار)». «تفسير البغوي» (٨/ ١٨٧-١٩١).

وقال القرطبي: «لم يذكر خلق محمود إلا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الأوفر.

وقال الجنيد: سمّي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى.

وقيل: سمّي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدل عليه قوله عليه السلام: (إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق).

وقيل: لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٢٧).

وقال ابن تيمية: «{وإنك لعلى خلق عظيم} قال ابن عباس ومن وافقه كابن عيينة وأحمد بن حنبل: على دين عظيم. والدين: فعل ما أمر به. وقالت عائشة: كان خلقه القرآن. رواه مسلم. وقد أخبرتْ أنه لم يكن يعاقب لنفسه، ولا ينتقم لنفسه، لكن يعاقب لله وينتقم لله. وكذلك أخبر أنس أنه كان يعفو عن حظوظه. وأما حدود الله فقد قال: (والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). أخرجاه في الصحيحين. وهذا هو كمال الإرادة؛ فإنه أراد ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح، وأمر بذلك، وكره ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، ونهى عن ذلك». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٠٣-٥٠٤).

وقال ابن جُزي: «عبّر ابن عباس عن الخُلق بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق، وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وشدّة الحياء، وكثرة العبادة، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتودد، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك، حسبما ورد في أخباره وسيره صلى الله عليه وآله وسلم». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٣٩٨).

وقال السعدي: «{وإنك لعلى خلق عظيم} أي: عاليا به، مستعليا بخُلقك الذي منّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: (كان خلقه القرآن)، وذلك نحو قوله تعالى له: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}، {فبما رحمة من الله لنت لهم}، {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}، وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على الخلق العظيم، فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلا لينا، قريبا من الناس، مجيبا لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابرا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبا، وإذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبدّ به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن

يعاشر جليسا له إلا أتمّ عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بِشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم». «تفسير السعدي» (ص٨٧٩).

(فستبصر ويبصرون * بأيّكم المفتون):

قال ابن جُزي: «واختلف في الباء التي في قوله: (بأيّكم) على أربعة أقوال:

الأول: أنها زائدة.

الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة، فأوقع المفتون موقع الفتنة، كقولهم: ما له معقول، أي: عقل.

الثالث: أن الباء بمعنى "في"، والمعنى: في أي فريق منكم المفتون، واستحسن ابن عطية هذا.

الرابع: أن المعنى: بأيكم فتنة المفتون، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٣٩٩).

وقال ابن كثير: «{فستبصر ويبصرون. بأيّكم المفتون} أي: فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك: من المفتون الضال منك ومنهم؟ وهذا كقوله تعالى: {سيعلمون غدا من الكذاب الأشر}، وكقوله: {وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٠).

(إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين):

قال الطبري: «إن ربك يا محمد هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، كضلال كفار قريش عن دين الله وطريق الهدى. (وهو أعلم بالمهتدين) يقول: وهو أعلم بمن اهتدى، فاتبع الحق، وأقرّ به، كما اهتديت أنت فاتبعت الحق، وهذا من معاريض الكلام. وإنما معنى الكلام: إن ربك هو أعلم يا محمد بك، وأنت المهتدي، وبقومك من كفار قريش، وأنهم الضالون عن سبيل الحق». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٣٢).

(فلا تطع المكذّبين * ودّوا لو تُدهن فيُدهنون):

قال ابن عطية: «(فلا تطع المكذبين) يريد قريشا، وذلك أنهم قالوا في بعض الأوقات لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لو عبدت آلهتنا وعظّمتها لعبدنا إلهك وعظّمناه، وودّوا أن يداهنهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويميل إلى ما قالوا فيميلوا هم أيضا إلى قوله ودينه، والادّهان: الملاينة فيما لا يحلّ، والمداراة: الملاينة فيما يحلّ». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٤٧).

(ولا تُطع كلّ حلّافٍ مهين):

قال ابن تيمية: «نهاه عن طاعة هذين الضربين، فكان فيه فوائد:

منها: أن النهي عن طاعة المرء نهي عن التشبه به بالأولى، فلا يطاع المكذِّب والحلّاف، ولا يُعمَل بمثل عملهما، كقوله: {ولا تطع الكافرين والمنافقين}، وأمثاله، فإن النهي عن قبول قول من يأمر بالخُلق الناقص أبلغ في الزجر من النهي عن التخلّق به.

ومنها: أن ذلك أبلغ في الإكرام والاحترام، فإن قوله: لا تكذب ولا تحلف ولا تشتم ولا تهمز، ليس هو مثل قوله: لا تطع من يكون متلبّسا بهذه الأخلاق؛ لما فيه من تشريفه وبراءته.

ومنها: أن الأخلاق مكتسبة بالمعاشرة، ففيه تحذير عن اكتساب شيء من أخلاقهم بالمخالطة لهم، فليأخذ حذره، فإنه محتاج إلى مخالطتهم لأجل دعوتهم إلى الله تعالى.

ومنها: أنهم يُبدُون مصالح فيما يأمرون به، فلا تطع من كان هكذا ولو أبداها، فإن الباعث لهم على ما يأمرون به هو ما في نفوسهم من الجهل والظلم، وإذا كان الأصل المقتضي للأمر فاسدا لم يُقبل من الآمر، فإن الأمر مداره على العلم بالمصلحة وإرادتها، فإذا كان جاهلا لم يعلم المصلحة، وإذا كان الخُلق فاسدا لم يُردها، وهذا معنى بليغ...

ذكر قسمين: المكذّبين، وذوي الأخلاق الفاسدة، وذلك لوجوه:

أحدها: أن المأمور به هو الإيمان والعمل الصالح، فضده التكذيب والعمل الفاسد.

والثاني: أن المؤمنين مأمورون بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فكما أنا مأمورون بقبول هذه الوصية والإيصاء بها فقد نهينا عن قبول ضدها، وهو التكذيب بالحق والترك للصبر، فإن هذه الأخلاق إنما تحصل

لعدم الصبر، والصبر ضابط الأخلاق المأمور بها». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٦٣-٦٥).

وقال ابن كثير: «{ولا تطع كل حلاف مهين} وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٠).

وقال السعدي: «{ولا تطع كل حلاف} أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب، ولا يكون كذابا إلا وهو {مهين} أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة». «تفسير السعدي» (ص٨٧٩).

(همّاز مشّاء بنميم):

قال ابن تيمية: «قوله: {ويل لكل همزة لمزة} هو الطعان العياب، كما قال: {هماز مشاء بنميم}، وقال: {ومنهم من يلمزك في الصدقات}، وقال: {الذين يلمزون المطّوّعين من المؤمنين}، والهمز: أشد؛ لأن الهمز الدفع بشدة، ومنه الهمزة من الحروف، وهي نقرة في الحلق، ومنه: {وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين}، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)... فالهمز مثل الطعن لفظا ومعنى. واللمز كالذمّ والعيب، وإنما ذُمّ من يكثر الهمز واللمز، فإن الهمزة واللمزة هو الذي يفعل ذلك كثيرا... الهمزة اللمزة يشبه المختال الفخور والجمّاع المحصي، نظير البخيل. وكذلك نظيرهما: قوله {هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم} وصفه بالكبر والبخل... وذلك ناشئ عن حب الشرف والمال، فإن محبة الشرف تحمل على انتقاص غيره بالهمز واللمز والفخر والخيلاء، ومحبة المال تحمل على البخل، وضد ذلك من أعطى فلم يبخل، واتقى فلم يهمز ولم يلمز». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢١-٥٢٢).

وقال ابن كثير: «{مشاء بنميم} يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرّش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة، وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: مرّ رسول

الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: (إنهما ليعذّبان، وما يعذّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) الحديث.

... وعن همام بن الحارث قال: مرّ رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يدخل الجنة قتات) -يعني: نمام-.

... وعن عبد الرحمن بن غنم -يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: (خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩١-١٩٢).

(منّاع للخير معتد أثيم):

قال ابن الجوزي: «(منّاع للخير) فيه قولان:

أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس.

والثاني: مناع للحقوق في ماله، ذكره الماوردي». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٢١).

(عُتلّ بعد ذلك زنيم):

قال ابن كثير: «أما العُتُلّ: فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع.

... عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعّف لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عُتُلّ جَوّاظ مستكبر). وقال وكيع: (كل جَوّاظ جَعظَرِيّ مستكبر)... قال أهل اللغة: الجعظري: الفظ الغليظ. والجواظ: الجموع المنوع». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٢).

(إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين):

قال السعدي: «وحاصل هذا: أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلّاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة

والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي.

وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه: {أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين} أي: لأجل كثرة ماله وولده طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها= فإنها عامة في كل من اتّصف بهذا الوصف؛ لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتّضح به القاعدة العامة، ويُعرَفَ به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة». «تفسير السعدي» (ص٨٨٠).

(سنسمه على الخرطوم):

قال البغوي: «قال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر.

وقال قتادة: سنُلحق به شينا لا يفارقه.

قال القتيبي: تقول العرب للرجل سبّ الرجل سبة قبيحة: قد وسمه ميسم سوء. يريد: ألصق به عارا لا يفارقه، كما أن السمة لا ينمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم». «تفسير البغوي» (٨/ ١٩٤).

وقال ابن تيمية: «{سنسمه على الخرطوم} فيه إطلاق يتضمن الوسم في الآخرة وفي الدنيا أيضا، فإن الله جعل للصالحين سيما، وجعل للفاجرين سيما، قال تعالى: {سيماهم في وجوههم من أثر السجود}، وقال: {ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم} الآية... فأخبر سبحانه أنه لا بد أن يسم صاحب هذه الأخلاق الخبيثة على خرطومه، وهو أنفه الذي هو عضوه البارز الذي يسبق البصر إليه عند مشاهدته؛ لتكون السيما ظاهرة من أول ما يُرى، وهذا ظاهر في الفجرة الظلمة الذين ودعهم الناس اتقاء شرهم وفحشهم، فإنّ لهم سيما من شر يُعرَفون بها، وكذلك الفَسَقة وأهل الريب». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٦٨-٦٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القلم ١-١٦

١- اشكر الله على ما منّ عليك به من نعمة الكتابة، واعلم أنّ من شكر هذه النعمة أن لا تكتب بيدك غير شيء يسرّك في القيامة أن تراه، ولا تغترّ بإخفاء نفسك خلف الأسماء الوهميّة في وسائل التواصل الاجتماعي فتكتب ما لا يُرضي الله، فإنك لا تخفى على من يعلم السرّ وأخفى سبحانه وتعالى (ن * والقلم وما يسطُرون).

٢- نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيّد البشر، وأفضل الأنبياء، وقد حلّاه الله بأخلاق عظيمة، كانت سببا في إقبال الناس عليه، وقبولهم لدعوته، فدخل الناس في دين الله أفواجا، ففاز بأجر كل من اتّبعه من المسلمين إلى يوم الدين، فاحرص على التخلّق بأخلاقه، والتأدّب بآدابه عليه الصلاة والسلام، حتى تكون داعيا إلى الإسلام بأخلاقك، وردّد دوما: اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّي سيّئها لا يصرف عنّي سيّئها إلا أنت (ما أنت بنعمة ربّك بمجنون * وإنّ لك لأجرا غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم).

٣- الله سبحانه وتعالى سيفصل بين الناس يوم القيامة، وسيتبيّن حينها لكل أحد من كان مهتديا ممن كان ضالا، ومن كان عاقلا ممن كان مجنونا، ومن كان صادقا ممن كان كاذبا، فاسأل الله أن يهديك لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، فهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (فستُبصر ويُبصرون * بأيّكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

٤- لا تطع الّذين يكذّبون بالآيات الواضحة والبراهين القاطعة والحجج الساطعة التي جاءت في القرآن والسنة على ربوبية الله وكماله واستحقاقه للعبادة، وعلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم وإعجاز القرآن، وعلى ثبوت البعث والحساب والجزاء، فإنّ من يكذّب بتلك الآيات والبراهين والحجج أسخف عقلا من أن يُتّخذ متبوعا أو مُطاعا (فلا تُطع المكذّبين).

٥- الكفار بمختلف أشكالهم وأصنافهم يودّون أن يردّوا المسلم عن دينه، ويَحرفوه عن إيمانه، ويشكّكوه في ثوابته، ونشاطهم في ذلك في هذا الزمان أكثر وأخطر من كل زمان مضى، فاحمِ دينك بسياج متين من الإيمان والتقوى والعمل الصالح حتى تأمن شرّهم، ولا تتنازل عن شيء من دينك

لإرضاء الكفار، واعلم أنهم لن يرضوا عنك مهما تنازلت، بل لا يُرضيهم عنك إلا أن تتّبع ملّتهم، ثبّتنا الله على الإسلام حتى الممات (ودّوا لو تُدهن فيُدهنون).

٦- من أسوأ الصفات في الشخص: أن يكون كثير الحلف كذبا وزورا، كثير الطعن في الآخرين والسخرية بهم، كثير السعي بالنميمة بين الناس لإفساد علاقتهم ببعضهم، دائم المنع للخير والإحسان، دائم الاعتداء على الآخرين بالأقوال والأفعال، دائم العصيان لربّه، غليظًا فاحشًا، ولا تجتمع هذه الصفات إلا فيمن بلغ الغاية في المَهانة، فاحذر أن تتّصف بشيء من تلك الصفات، عافانا الله منها (ولا تُطع كلّ حلّافٍ مهين * همّاز مشّاء بنميم * منّاع للخير معتد أثيم * عُتلّ بعد ذلك زنيم).

٧- كثرة النِّعم على الشخص من المال والجاه والبنين قد تؤدّي به إلى الطغيان والعناد والغرور، فاحذر من ذلك، وكُن من عباد الله الذين لا تزيدهم نِعم الله عليهم إلا خضوعا واستكانة وعبودية لربهم، وتواضعا لخلقه (أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين * سنسمه على الخرطوم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القلم ١٧-٣٣ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧﴾

إنا اختبرنا هؤلاء المشركين بالقحط والجوع، كما اختبرنا أصحاب الحديقة حين حلفوا ليقطعُنّ ثمارها وقت الصباح مسارعين حتَّى لا يطعم منها مسكين.

﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨﴾

ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم: (إن شاء الله).

﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩﴾

فأرسل الله إليها نارًا، فأكلتها وأصحابها نيام لا يستطيعون دفع النار عنها.

﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾

فأصبحت سوداء كالليل المظلم.

﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١﴾

فنادى بعضهم بعضًا وقت الصباح.

﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢﴾

قائلين: اخرجوا مُبكِّرين على حرثكم قبل مجيء الفقراء إن كنتم قاطعين ثماره.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣﴾

فساروا إلى حرثهم، مسرعين يحدِّث بعضهم بعضًا بصوت منخفض.

﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤﴾

يقول بعضهم لبعض: لا يدخلنّ الحديقة عليكم اليوم مسكين.

﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾

وساروا أول الصباح وهم على منع ثمارهم عازمين.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦﴾

فلما شاهدوها محترقة قال بعضهم لبعض: لقد ضللنا طريقها.

﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧﴾

بل نحن ممنوعون من جني ثمارها بما حصل منا من عزم على منع المساكين منها.

﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾

قال أفضلهم: ألم أقل لكم حين عزمتم على ما عزمتم عليه من حرمان الفقراء منها: هلَّا تسبحون الله، وتتوبون إليه؟!

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩﴾

قالوا: سبحان ربنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا حين عزمنا على منع الفقراء من ثمار حديقتنا.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠﴾

فأقبلُوا يتراجعون في كلامهم على سبيل العتب.

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١﴾

قالوا من الندم: يا خسارنا، إنا كنا متجاوزين الحدّ بمنعنا الفقراء حقهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢﴾

عسى ربنا أن يعوّضنا خيرًا من الحديقة، إنا إلى الله وحده راغبون، نرجو منه العفو، ونطلب منه الخير.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾

مثل هذا العذاب بالحرمان من الرزق نعذب من عصانا، ولعذاب الآخرة أعظم لو كانوا يعلمون شدّته ودوامه.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• منع حق الفقير سبب في هلاك المال.

• تعجيل العقوبة في الدنيا من إرادة الخير بالعبد ليتوب ويرجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القلم ١٧-٣٣

الكلمة	المعنى
بَلوناهُم	اختبرناهُم
أصحابَ الجنّة	أصحابَ الحديقة
لَيَصْرِمُنّها	لَيقطعُنّ ثمارَها
مُصبِحين	مبكِّرين في الصباح
ولا يَستثنُون	ولا يُبقُون شيئا من ثمرتها للمساكين، أو: لم يقولوا: إن شاء الله
فطَافَ عليها طَائفٌ من ربِّك	فأحاط بها نازلا عليها نارٌ من الله
كالصَّرِيم	مُحترقةً كالليلِ المُظلِم
فتَنَادوا مُصبِحين	فنادى بعضهم بعضًا وقتَ الصباح
أنِ اغدُوا	أن اذهبُوا مبكِّرين
عَلَى حَرثِكُم	إلى زرعِكم
صَارِمين	مصرّين على قطعِ الثمار
يَتخافَتُون	يحدّث بعضُهم بعضًا بصوتٍ منخفض
وغَدَوا	وسارُوا في أوّل النهار
على حَرْدٍ	على قصدِهمُ السيّءِ في منْع المساكين
إنا لَضالّون	إنا لمُخطِئون في الطريق
أوسَطُهم	أعدلُهم وأفضلُهم
لولا تُسبّحون	هلّا تذكرون الله وتستغفرونه مِن سوء نيّتكم
يَتلاوَمُون	يلوم بعضهم بعضا على سُوء ما قصدوا
طَاغِين	مُتجاوِزين الحدَّ في مَنْع الفقراء
رَاغِبُون	راجونَ العفوَ، طالبون الخير
كذلك العذاب	مثلُ ذلك العقابِ الذي عاقبناهم به نعاقبُ كلَّ مَن خالف أمر الله

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القلم ١٧-٣٣

(إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمُنّها مُصبحين):

قال ابن الجوزي: «ذكر أهل التفسير أن رجلا كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمنا، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدق بالباقي، وقيل: كان يترك للمساكين ما تعداه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدباس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاثة بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيرا، والعيال قليلا، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا، فعزموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليغدُونّ قبل خروج الناس، فليَصرِمُنّ نخلهم، فذلك قوله عز وجل: (إذ أقسموا) أي: حلفوا (ليَصرِمُنّها) أي: ليقطعن نخلهم (مُصبحين) أي: في أول الصباح، وقد بقيت من الليل ظلمة؛ لئلا يبقى للمساكين شيء». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٢٣).

وقال ابن تيمية: «قوله: {إنا بلوناهم...} إلخ. فيه بيان حال البخلاء، وما يعاقبون به في الدنيا قبل الآخرة من تلف الأموال: إما إغراقا، وإما إحراقا، وإما نهبا، وإما مصادرة، وإما في شهوات الغي، وإما في غير ذلك مما يعاقب به البخلاء الذين يمنعون الحق». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٦٩).

وقال ابن جُزي: «وجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة، فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك، فعاقبهم الله كما عاقبهم.

وقيل: شبّه قريشا لمّا أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحاب الجنة لمّا هلكت جنتهم». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٠).

وقال السعدي: «يقول تعالى: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير، وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال

وولد وطول عمر، ونحو ذلك مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجا لهم من حيث لا يشعرون، فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها، وأينعت أشجارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذّونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها». «تفسير السعدي» (ص٨٨٠).

(ولا يَستثنون):

قال ابن جُزي: «(وَلا يَسْتَثْنُونَ) في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لم يقولوا: إن شاء الله حين حلفوا (لَيَصرِمُنّها).

والآخر: لا يستثنون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم.

والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهون عنه. أي: لا يرجعون عنه». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٠).

(فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون):

قال الطبري: «فطرق جنةَ هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلا ولا يكون نهارا، وقد يقولون: أطفت بها نهارا». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٤٣).

وقال القرطبي: «في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان؛ لأنهم عزموا على أن يفعلوا، فعوقبوا قبل فعلهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: (ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم). وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصا على قتل صاحبه)». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤١).

(فأصبحت كالصّريم):

قال ابن تيمية: «جذاذ النخل عمل مباح في أيّ وقت شاء صاحبه، ولما قصد أصحابه به في الليل حرمان الفقراء عاقبهم الله بإهلاكه، وقال: {ولعذاب الآخرة أكبر}، ثم جاءت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بكراهة الجذاذ في الليل؛ لكونه مظنة لهذا الفساد وذريعة إليه». «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٥٥).

وقال ابن القيم: «الله سبحانه عاقب أهل الجنة الذين أقسموا ليَصرِمُنَّها مُصبِحين، وكان مقصودهم منع حق الفقراء من المتساقط وقت الجذاذ، فلما قصدوا منع حقهم منعهم الله الثمرة جملة، ولا يقال: العقوبة إنما كانت على ترك الاستثناء وحده، لوجهين:

أحدهما: أن العقوبة من جنس العمل، وتركُ الاستثناء عقوبته أن يُعوَّق ويُنَسَّى، لا إهلاكُ ماله، بخلاف عقوبة ذنب الحِرمان فإنها حرمان كالذنب.

الثاني: أن الله تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا: {أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ}، ورتّب العقوبة على ذلك، فلو لم يكن لهذا الوصف مدخل في العقوبة لم يكن لذكره فائدة، فإن لم يكن هو العلةَ التّامة كان جزءًا من العلة». «تهذيب سنن أبي داود» (٢/ ٤٦٢).

وقال ابن جُزي: «(فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) فيه أربعة أقوال:

الأول: أصبحت كالليل؛ لأنها اسودّت لِمَا أصابها، والصريم في اللغة: الليل.

الثاني: أصبحت كالنهار؛ لأنها ابيضّت كالحصيد، ويقال: صريم لليل والنهار.

الثالث: أن الصريم: الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

الرابع: أصبحت كالمصرومة، أي: المقطوعة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٠).

(فتنادوا مُصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين):

قال ابن عطية: «وقولهم: (إن كنتم صارمين) يحتمل أن يكون من صرام النخل، ويحتمل أن يريد: إن كنتم من أهل عزم وإقدام على آرائكم، من قولك: سيف صارم». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٥٠).

(فانطلقوا وهم يتخافتون):

قال القرطبي: «(فانطلقوا وهم يتخافتون) أي: يتسارّون، أي: يخفون كلامهم ويسرّونه لئلا يعلم بهم أحد، قاله عطاء وقتادة...

وقيل: يُخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم، وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصّرام». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤٢).

(أن لا يدخُلنّها اليوم عليكم مسكين):

قال السعدي: «{لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين} أي: بكَّروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفا أن يسمعهم أحد فيخبر الفقراء». «تفسير السعدي» (ص٨٨٠).

(وغدوا على حَرد قادرين):

قال ابن الجوزي: «وقوله: (قادرين) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة.

والثاني: قادرين على المساكين، قاله الشعبي.

والثالث: أن المعنى: منعوا وهم قادرون، أي: واجدون، قاله ابن قتيبة». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٢٤).

وقال ابن جُزي: «(وَغَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ) في الحرد أربعة أقوال:

الأول: أنه المنع.

الثاني: أنه القصد.

الثالث: أنه الغضب.

الرابع: أن الحرد اسم للجنة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠١).

(فلما رأوها قالوا إنا لضالّون * بل نحن محرومون):

قال الطبري: «فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوها محترقا حرثها، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه -ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم وأن التي رأوا غيرها-: إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا، فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حُرمنا منفعة جنتنا بذهاب حرثها». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٤٩).

(قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون):

قال البغوي: «{قال أوسطهم} أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم: {ألم أقل لكم لولا تسبحون} هلا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم: (ليصرمنها مصبحين)، وسمى الاستثناء تسبيحا؛ لأنه تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته، قال أبو صالح: كان استثناؤهم: سبحان الله.

وقيل: هلّا تسبحون الله، وتقولون: سبحان الله، وتشكرونه على ما أعطاكم.

وقيل: هلّا تستغفرونه من فعلكم». «تفسير البغوي» (٨/ ١٩٦).

(قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين):

قال الطبري: «قال أصحاب الجنة: (سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) في تركنا الاستثناء في قسَمنا، وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٥١).

وقال ابن الجوزي: «(قالوا سبحان ربنا) فنزّهوه أن يكون ظالما فيما صنع، وأقرّوا على أنفسهم بالظلم فقالوا: (إنا كنا ظالمين) بمنعنا المساكين.

(فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي: يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم، يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا، ويقول الآخر: أنت فعلت. ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: (يا ويلنا إنا كنا طاغين)

حين لم نصنع ما صنع آباؤنا». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٢٤).

وقال ابن كثير: «{قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين} أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٧).

(عسى ربنا أن يُبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون):

قال القرطبي: «قال الحسن: قول أهل الجنة: (إنا إلى ربنا راغبون) لا أدري إيمانا كان ذلك منهم أو على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؟ فيوقف في كونهم مؤمنين.

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتني تعبا.

والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا، حكاه القشيري». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤٥).

(كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون):

قال ابن كثير: «{كذلك العذاب} أي: هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المساكين والفقراء وذوي الحاجات، وبدّل نعمة الله كفرا.

{ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون} أي: هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم، وعذاب الآخرة أشق». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القلم ١٧-٣٣

١- اعلم أن الدنيا دارُ ابتلاء وامتحان، والناس يتقلّبون فيها بين النعم والمصائب، ليبتلي الله شكرهم وصبرهم، فكُن شاكرا عند النعمة، صابرا عند المصيبة (إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة).

٢- لا تُقسم على فعل معصية أبدا، فإن أقسمت على معصية فكفّرْ عن يمينك، ولا ترتكبْ معصية الله، وإذا أقسمت على شيء فرأيت غيره خيرا منه فكفّر عن يمينك، وافعل الذي هو خير، ولا يمنعنّك يمينك من طاعة الله وفعل الخيرات (إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمُنّها مُصبحين * ولا يَستثنون).

٣- إذا أنعم الله عليك بنعمة فاحرص على أداء شكرها بطاعة الله فيها، والإحسان إلى الفقراء والمساكين منها، واحذر من البخل بها، فإن البخل بنعم الله مؤذن بزوالها، والإحسان إلى الفقراء والمساكين سبب لدوام النعم وزيادتها ونمائها (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصّريم).

٤- احذر من معاونة أحد على الإثم والعصيان، فإنك حينئذ تبوء بإثم فعل المعصية، وإثم معاونة غيرك عليها، فتكون من الخاسرين (فتنادوا مُصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين).

٥- مهما أخفيت عن الناس أقوالك وأفعالك فإن الله يسمعها ويعلمها، فراقب الله قبل أن تراقب الناس، واحذر عقوبة الله قبل أن تحذر الفضيحة عند الناس (فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخُلنّها اليوم عليكم مسكين).

٦- لا تغترّ بقدرتك على الأسباب الحسيّة لنيل مطلوبك، فإن الله إذا أراد أن يحرمك من شيء حرمك منه أقدر ما تكون عليه، فعزّز توكّلك على الله (وغدوا على حَرد قادرين).

٧- اعلم أنه ما نزل بلاء إلا بذنب، فإذا نزل بك بلاء فابحث عن ذنوبك التي سبّبت نزول البلاء، واستغفر الله منها، ولا تكن ممّن قسا قلبه فلم يتّعظ بنزول البلايا والمصائب به، بل غاية أحدهم عند نزول البلاء أن يبحث عن السبب الحسيّ له حتى ينسبه إليه، ويبحث عن السبب الحسيّ لإزالة البلاء، غافلا عن أثر الذنوب والمعاصي عليه، فذاك الموت الحقيقي للقلب (فلما رأوها قالوا إنا لضالّون * بل نحن محرومون).

٨- اعلم أن الله لا يظلم الناس شيئا، ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون، ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة، فداوِم على الاستغفار من ذنوبك، وعلى تنزيه الله عن الظلم، قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين).

٩- الاعتراف بالذنب أول طريق النجاة، فاعترف بذنوبك، وتُب من خطاياك، ولا تُكابر، ولا تبرّر، ولا تتأوّل، فإن العودة إلى الله عند نزول البلاء خير من التمادي في الباطل (فأقبَل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يُبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون).

١٠- مهما عظُم بك البلاء في الدنيا واشتدّ فإنه أهون من عذاب الآخرة، فتعوّذْ بالله من غضبه وعذابه وأليم عقابه، واسأله العفو والعافية (كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القلم ٣٤-٤٣ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾

إن للمتقين الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، عند ربهم جنات النعيم يتنعمون فيها، لا ينقطع نعيمهم.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

أفنجعل المسلمين كالكفار في الجزاء كما يزعم المشركون من أهل مكة؟!

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

ما لكم -أيها المشركون- كيف تحكمون هذا الحكم الجائر الأعوج؟!

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾

أم لكم كتاب فيه تقرؤون المساواة بين المطيع والعاصي؟!

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

إن لكم في ذلك الكتاب ما تتخيرونه لكم في الآخرة.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

أم لكم علينا عهود مؤكدة بالأيمان مقتضاها أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم؟!

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

سل -أيها الرسول- القائلين هذا القول: أيهم كفيل به؟!

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

أم لهم شركاء من دون الله يساوونهم في الجزاء مع المؤمنين؟! فليأتوا بشركائهم هؤلاء إن كانوا صادقين فيما يدّعونه من أنهم ساووهم مع المؤمنين في الجزاء.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

يوم القيامة يبدو الهول ويكشف ربنا عن ساقه، ويُدْعَى الناس إلى السجود فيسجد المؤمنون، ويبقى

الكفار والمنافقون لا يستطيعون أن يسجدوا.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾

ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلّة وندامة، وقد كانوا في الدنيا يُطلَبُ منهم أن يسجدوا لله وهم في معافاة مما هم فيه اليوم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• لا يستوي المؤمن والكافر في الجزاء، كما لا تستوي صفاتهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القلم ٣٤-٤٣

الكلمة	المعنى
تَخَيَّرُون	تختارون وتشتهون
لكم أيمَانٌ علينا	لكم عُهودٌ ومواثيقُ مؤكّدةٌ بالأَيمان
إنّ لكم لَمَا تحكُمون	إنه سيحصل لكم ما تحكمون به لأنفسكم
أَيُّهُم بذلك زعيم	أيُّهم كفيلٌ وضامنٌ لهم بذلك
يُكشَف عن ساقٍ	يَكشف الله عن ساقه سبحانه
خاشعةً أبصارُهم	ذليلةً منكسرةً
تَرهَقُهم	تَغشاهُم
سَالِمُون	أصِحّاءُ قادرون

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القلم ٣٤-٤٣

(إن للمتقين عند ربهم جناتِ النعيم):

قال ابن كثير: «لما ذكر الله تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره، بيّن أنّ لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٨).

وقال السعدي – ملخصا ما جاء في الآيات –: «يخبر تعالى بما أعدّه للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمته تعالى لا تقتضي أن يجعل المسلمين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه، كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسوّيهم في الثواب فإنه قد أساء الحكم، وأن حكمه حكم باطل، ورأيه فاسد، وأن المجرمين إذا ادّعوا ذلك فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا، وليس لهم عند الله عهد ويمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان على إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم شركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعُلم أن دعواهم باطلة فاسدة». «تفسير السعدي» (ص٨٨٠).

(أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون):

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أفنجعل -أيها الناس- في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلّوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهيي، كالمجرمين الذين اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهيي؟ كلا، ما الله بفاعل ذلك.

وقوله: (ما لكم كيف تحكمون) أتجعلون المطيع لله من عبيده، والعاصي له منهم في كرامته سواء؟

يقول جل ثناؤه: لا تسووا بينهما فإنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له

الهوان الباقي». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٥٢).

وقال القرطبي: «كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صح أنّا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثلَ ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤٦).

وقال ابن تيمية: «قوله: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين} استفهام إنكار، فعُلم أنّ جعل هؤلاء مثل هؤلاء منكر لا يجوز أن يُظنّ بالله أنه يفعله، فلو كان هذا وضده بالنسبة إليه سواء جاز أن يفعل هذا وهذا.

وقوله: {ساء ما يحكمون} دلّ على أن هذا حكم سيئ، والحكم السيئ هو الظلم الذي لا يجوز، فعُلم أن الله تعالى منزه عن هذا، ومن قال إنه يسوّي بين المختلفَين فقد نسب إليه الحكم السيئ، وكذلك تفضيل أحد المتماثلين، بل التسوية بين المتماثلين والتفضيل بين المختلفَين هو من العدل والحكم الحسن الذي يوصف به الرب سبحانه وتعالى.

والظلم وضع الشيء في غير موضعه، فإذا جَعل النور كالظلمة، والمحسن كالمسيء، والمسلم كالمجرم كان هذا ظلما وحكما سيئا يقدّس وينزّه عنه سبحانه وتعالى». «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٠٧).

وقال ابن القيم: «قوله تعالى: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون}، وقوله: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون}، وقوله: {أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار}، فأنكر سبحانه على من ظن هذا الظن، ونزّه نفسه عنه، فدلّ على أنه مستقر في الفطر والعقول السليمة: أن هذا لا يكون ولا يليق بحكمته وعزته وإلاهيته، لا إله إلا هو، تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا.

وقد فطر الله عقول عباده على استقباح وضع العقوبة والانتقام في موضع الرحمة والإحسان... فإذا وَضع

العقوبة موضع ذلك استنكرته فطرهم وعقولهم أشد الاستنكار، واستهجنته أعظم الاستهجان، وكذلك وضع الإحسان والرحمة والإكرام في موضع العقوبة والانتقام، كما إذا جاء إلى من يسيء إلى العالَم بأنواع الإساءة في كل شيء من أموالهم وحريمهم ودمائهم، فأكرمَه غاية الإكرام ورفعه وكرّمه، فإن الفطر والعقول تأبى استحسان هذا، وتشهد على سفه من فعله.

هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، فما للعقول والفطر لا تشهد حكمته البالغة وعزته وعدله في وضع عقوبته في أولى المحال بها، وأحقها بالعقوبة؛ وأنها لو أُوليت النعم لم تَحسُن بها ولم تَلِق، ولظهرت مناقضة الحكمة، كما قال الشاعر: نعمة الله لا تعاب ولكن ... ربما استقبحت على أقوام.

فهكذا نعم الله لا تليق ولا تحسن ولا تجمل بأعدائه الصادّين عن سبيله، الساعين في خلاف مرضاته، الذين يرضون إذا غضب، ويغضبون إذا رضي، ويعطّلون ما حكم به، ويسعون في أن تكون الدعوة لغيره، والحكم لغيره، والطاعة لغيره، فهم مضادّون له في كل ما يريد، يحبون ما يبغضه ويدعون إليه، ويبغضون ما يحبه وينفّرون عنه، ويوالون أعداءه وأبغض الخلق إليه، ويظاهرونهم عليه وعلى رسوله». «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٢١-٧٢٢).

وقال ابن جُزي: «(ما لَكُمْ) توبيخ للكفار، و(ما) مبتدأ، و(لكم) خبره، وتم الكلام هنا، فينبغي أن يوقف عليه. (كَيْفَ تَحْكُمُونَ) توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠١).

(أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون):

قال الطبري: «يقول: هل لكم أيمان علينا تنتهي بكم إلى يوم القيامة، بأن لكم ما تحكمون، أي: بأن لكم حكمكم، ولكن الألف كسرت من "إن" لما دخل في الخبر اللام: أي: هل لكم أيمان علينا بأن لكم حكمكم». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٥٣).

وقال القرطبي: «(إن لكم لما تحكمون)... قيل: تم الكلام عند قوله: (إلى يوم القيامة)، ثم قال: إن لكم

لما تحكمون إذا، أي: ليس الأمر كذلك. وقرأ ابن هرمز: (أَين لكم فيه لما تخيرون)، (أَين لكم لما تحكمون)، بالاستفهام فيهما جميعا». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤٧).

وقال ابن القيم: «كأنّ المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعا بالأمان! {أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون}.

يا آمنا مع قبيح الفعل منه أهل ... أتاك توقيع أمْن أنت تملكه؟

جمعت شيئين: أمنا واتباع هوى ... هذا وإحداهما في المرء تهلكه

والمحسنون على درب المخاوف قد ... ساروا وذلك درب لست تسلكه

فرّطت في الزرع وقت البذر من سفه ... فكيف عند حصاد الناس تدركه

هذا وأعجب شيء منك زهدك في ... دار البقاء بعيش سوف تتركه

مَن السفيه إذًا بالله أنت أم الـ... مغبون في البيع غبنا سوف يدركه». «الداء والدواء» (١/ ٢١٩).

(يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون):

قال القرطبي: «(يوم يُكشف عن ساق) يجوز أن يكون العامل في (يوم): (فليأتوا) أي: فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم، ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: اذكر يوم يكشف عن ساق». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤٨).

وقال ابن تيمية: «قال: (يوم يُكشف عن ساق) ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه، وإنما ذكر ساقا منكّرة غير معرّفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرّج في الصحيحين، الذي قال فيه: (فيكشف الرب عن ساقه)، وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه (يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود)، والسجود لا يصلح إلا لله، فعُلم أنه هو الكاشف عن ساقه». «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٤٧٣).

وقال ابن جُزي: «فإن قيل: كيف يُدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يُدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا، لا على وجه التكليف والعبادة». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٢).

وقال ابن كثير: «عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا)، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ، وهو حديث طويل مشهور.

وقد قال عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس: {يوم يُكشف عن ساق} قال: هو يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن مسعود -أو: ابن عباس، الشك من ابن جرير-: {يوم يكشف عن ساق} قال: عن أمر عظيم، كقول الشاعر: وقامت الحرب بنا عن ساق». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٨-٢٠٠).

(خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون):

قال البغوي: «{وهم سالمون} أصحاء فلا يأتونه. قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلّفون عن الجماعات». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٠٠).

وقال ابن عطية: «جوارحهم كلها خاشعة، أي: ذليلة، ولكنه خصّ الأبصار بالذكر؛ لأن الخشوع فيها أبين منه في كل جارحة...

وقال بعض المتأولين: «السجود» هنا عبارة عن جميع الطاعات، وخصّ «السجود» بالذكر من حيث هو أعظم الطاعات، ومن حيث به وقع امتحانهم في الآخرة.

وقال إبراهيم التيمي والشعبي: أراد بالسجود الصلوات المكتوبة.

وقال ابن جبير: المعنى: كانوا يسمعون النداء للصلاة، وحي على الفلاح فلا يجيبون.
وفُلج الربيع بن خثيم، فكان يهادى بين رجلين إلى المسجد، فقيل له: إنك لمعذور، فقال: من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا.
وقيل لابن المسيب: إن طارقا يريد قتلك فاجلس في بيتك، فقال: أسمع حي على الفلاح فلا أجيب؟ والله لا فعلت». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٥٣).

وقال ابن تيمية: «إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار، كقوله: {يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون}. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما في الحديث الطويل حديث التجلي: (أنه إذا تجلى تعالى لعباده يوم القيامة سجد له المؤمنون وبقي ظهر من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة مثل الطبق لا يستطيع السجود)، فإذا كان هذا حال من سجد رياء فكيف حال من لم يسجد قط؟ وثبت أيضا في الصحيح: (أن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا موضع السجود، فإن الله حرم على النار أن تأكله)، فعُلم أن من لم يكن يسجد لله تأكله النار كله، وكذلك ثبت في الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم: (يعرف أمته يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء)، فدل ذلك على أن من لم يكن غرا محجلا لم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يكون من أمته، وقوله تعالى: {كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون. ويل يومئذ للمكذبين. وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون. ويل يومئذ للمكذبين}، وقوله تعالى: {فما لهم لا يؤمنون. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون. بل الذين كفروا يكذبون. والله أعلم بما يوعون}، وكذلك قوله تعالى: {فلا صدّق ولا صلّى. ولكن كذّب وتولّى}، وكذلك قوله تعالى: {ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلّين}». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١١).

وقال ابن كثير: «{خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة} أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولمّا دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٠٠).

وقال السعدي: «إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يُدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعا واختيارا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يُدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقّت عليهم كلمة العذاب، وتقطّعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يُزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان». «تفسير السعدي» (ص٨٨١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القلم ٣٤-٤٣

١- احرص على كل ما يحقق لك التقوى، ويترقّى بك في درجاتها، ويسمو بك إلى أعالي منازلها، فذلك الذي يسوقك إلى إدراك النعيم المقيم في جنات الخلود (إن للمتقين عند ربهم جناتِ النعيم).

٢- من تمام عدل الله وحكمته أنه لا يسوّي بين المؤمن والكافر، ولا بين الطائع والعاصي، ولا بين المحسن والمسيء، بل يعطي كل واحد جزاءه الذي يستحقّه، ومصيره الذي يليق به، فلا يظنّنّ الكافر أنه سيكون يوم القيامة كالمؤمن، ولا يظنّنّ العاصي أنه سيكون كالمطيع (أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون).

٣- إياك والاغترار بطاعتك، والإعجاب بإيمانك، والسير إلى الله كالضامن دخول الجنة والنجاة من النار، واعلم أنّك مقصّر في طاعة الله، مقصّر في شكر نعمه عليك، وأنّ قلبك بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبه كيف يشاء، فلا تأمننّ مكر الله، وكُن سائرا إلى الله بين خوف من عقاب الله ورجاء لثوابه، فذاك سبيل المؤمنين الصادقين (أم لكم كتاب فيه تدرسون * إنّ لكم فيه لما تخيّرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون * سلهم أيّهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين).

٤- الجزاء يوم القيامة من جنس العمل، فمن استكبر عن الخضوع لله في الدنيا اختيارا، ستغشاه الذلة والصغار يوم القيامة، ومن امتنع عن السجود لله في الدنيا اختيارا، سيُمنع من السجود لله يوم القيامة، وبحسب حُسن وقوفك بين يدي الله في الصلاة يكون حُسن وقوفك بين يديه يوم القيامة (يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القلم ٤٤-٥٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾

فاتركني -أيها الرسول- ومن يكذّب بهذا القرآن المنزل عليك، سنسوقهم إلى العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم واستدراج لهم.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾

وأُمهلُهم زمنًا ليتمادوا في إثمهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفوتونني، ولا يسلمون من عقابي.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦﴾

هل تطلب منهم -أيها الرسول- ثوابًا على ما تدعوهم إليه، فهم بسبب ذلك يتحمَّلون أمرًا عظيمًا، فهذا سبب إعراضهم عنك؟! والواقع خلاف ذلك، فأنت لا تطلبهم أجرًا، فما المانع لهم من اتباعك؟!

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾

أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يحلو لهم من الحجج التي يحاجُّونك بها؟!

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾

فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك من استدراجهم بالإمهال، ولا تكن مثل صاحب الحوت يونس عليه السلام في التضجر من قومه؛ إذ نادى ربه وهو مكروب في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾

لو لا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت إلى أرض خلاء وهو مَلُوم.

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾

فاختاره ربه، فجعله من عباده الصالحين.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾

وإن يكاد الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله ليَصْرَعونك بأبصارهم من شدة إحداد النظر إليك، لمّا سمعوا هذا القرآن المنزل عليك، ويقولون -اتباعًا لأهوائهم، وإعراضًا عن الحق-: إن الرسول الَّذي جاء به

لمجنون.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾

وما القرآن المنزل عليك إلا موعظةٌ وتذكيرٌ للإنس والجن.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الصبر خلق محمود لازم للدعاة وغيرهم.

• التوبة تَجُبُّ ما قبلها وهي من أسباب اصطفاء الله للعبد وجعله من عباده الصالحين.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القلم ٤٤-٥٢

الكلمة	المعنى
فذَرْنِي ومَن يُكذّب	فاترُكني وخلِّ بيني وبين المكذّبين
بهذا الحديث	بالقرآن
سنَسْتدرِجُهم	سنمُدُّهم بالأموال والنعم استدراجًا لهم
وأُملي لهم	وأُمهلهُم وأُطيل أعمارهم ليَزدادوا إثما
إنّ كيدي متين	إنّ مكري قويّ
مِن مَغرَمٍ مُثقَلون	من غرامة تلك الأجرة مُكلّفون حِملًا ثقيلا
ولا تكُن كَصَاحبِ الحُوت	ولا تكُن مثل يونس عليه السلام في عدم صبره على قومه
وهو مَكظُوم	وهو مغموم، أو: وهو مَملوءٌ غيظًا على قومه
لَنُبِذَ بالعَرَاء	لَطُرِح من بطن الحوت بالأرض المُهلكة
وهو مَذمُوم	وهو آتٍ بما يُلام عليه
فاجتباه ربُّه	فاصطفاه ربّه
لَيُزلِقُونَك بِأبصارِهم	لَيُصيبونك بأعيُنِهم بغضًا لك
الذِّكر	القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القلم ٤٤-٥٢

(فَذَرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون):

قال القرطبي: «(سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) معناه: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، فعذّبوا يوم بدر.

وقال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر.

وقال الحسن: كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه.

وقال أبو روق: أي: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار.

وقال ابن عباس: سنمكر بهم...

والاستدراج: ترك المعاجلة. وأصله النقل من حال إلى حال كالتدرج. ومنه قيل درجة، وهي منزلة بعد منزلة. واستدرج فلان فلانا، أي: استخرج ما عنده قليلا. ويقال: درجه إلى كذا واستدرجه بمعنى، أي: أدناه منه على التدريج». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥١).

وقال ابن القيم: «هذه اللذات في الحقيقة إنما هي استدراج من الله لهم، ليذيقهم بها أعظم الآلام، ويحرمهم بها أكمل اللذات، بمنزلة من قدّم لغيره طعاما لذيذا مسموما يستدرجه به إلى هلاكه. قال تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين}.

قال بعض السلف في تفسيرها: كلما أحدثوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة: {حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين}. وقال تعالى في أصحاب هذه اللذات: {أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون}. وقال في حقهم: {فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون}.

وهذه اللذات تنقلب آخرا آلاما من أعظم الآلام، كما قيل:

مآرب كانت في الحياة لأهلها ... عذابا فصارت في المعاد عذابا». «الداء والدواء» (١/ ٥٤٦).

(وأملي لهم إن كيدي متين):

قال ابن القيم: «المكر: ينقسم إلى محمود ومذموم؛ فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده. فمن المحمود: مكره تعالى بأهل المكر، مقابلة لهم بفعلهم، وجزاء لهم بجنس عملهم، قال تعالى: {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين}، وقال تعالى: {ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون}.

وكذلك الكيد: ينقسم إلى نوعين، قال تعالى: {وأملي لهم إن كيدي متين}، وقال: {كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله}، وقال: {إنهم يكيدون كيدا. وأكيد كيدا}». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ٦٦٢).

وقال ابن كثير: «{وأملي لهم إن كيدي متين} أي: وأؤخرهم وأنظرهم وأمدّهم، وذلك من كيدي ومكري بهم؛ ولهذا قال تعالى: {إن كيدي متين} أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذّب رسلي، واجترأ على معصيتي. وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته). ثم قرأ: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٠٠).

(أم تسألهم أجرا فهم من مَغرم مُثقَلون):

قال القرطبي: «أم تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله؟ فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من بذل المال، أي: ليس عليهم كلفة، بل يستولون بمتابعتك على خزائن الأرض ويصلون إلى جنات النعيم». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥٢).

وقال السعدي: «{أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون} أي: ليس لنفورهم عنك، وعدم تصديقهم لما جئت به، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلّمهم، وتدعوهم إلى الله، لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرما يثقل عليهم». «تفسير السعدي» (ص٨٨١).

(أم عندهم الغيب فهم يكتبون):

قال الطبري: «(أم عندهم الغيب فهم يكتبون) يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٦٢).

(فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم):

قال ابن تيمية: «{فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم}. قد قيل في معناه: اصبر لما يحكم به عليك، وقيل: اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت. والأول أصح.

وحكم الله نوعان: خلق وأمر. فالأول: ما يقدّره من المصائب. والثاني: ما يأمر به وينهى عنه. والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا. فعليه أن يصبر لما أمر به ولما نهي عنه، فيفعل المأمور، ويترك المحظور. وعليه أن يصبر لما قدّره الله عليه». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٢٥).

وقال ابن تيمية: «ما تضمنته قصة ذي النون مما يلام عليه كله مغفور بدّله الله له حسنات، ورفع درجاته، وكان بعد خروجه من بطن الحوت وتوبته أعظم درجة منه قبل أن يقع ما وقع، قال تعالى: {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم. لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين}. وهذا بخلاف حال التقام الحوت، فإنه قال: {فالتقمه الحوت وهو مليم}، فأخبر أنه في تلك الحال (مليم)، والمليم الذي فعل ما يلام عليه، فالملام في تلك الحال، لا في حال نبذه بالعراء وهو سقيم، فكانت حاله بعد قوله: {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} أرفع من حاله قبل أن يكون ما كان، والاعتبار بكمال النهاية، لا بما جرى في البداية، والأعمال بخواتيمها، والله تعالى خلق الإنسان وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا، ثم علّمه فنقله من حال النقص إلى حال الكمال، فلا يجوز أن يُعتبر قدر الإنسان بما وقع منه قبل حال الكمال، بل الاعتبار بحال كماله، ويونس صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء في حال النهاية حالهم أكمل الأحوال». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٩٩).

وقال ابن القيم: «نهاه سبحانه أن يتشبه بصاحب الحوت حيث لم يصبر صبر أولي العزم، فقال: {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم}.

وهنا سؤال، وهو أن يقال: ما العامل في الظرف؟ وهو قوله: {إذ}، ولا يمكن أن يكون الفعل المنهي عنه، إذ يصير المعنى: لا تكن مثله في ندائه، وقد أثنى الله سبحانه عليه في هذا النداء، وأخبر أنه نجّاه به، فقال: {وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجّيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين}. وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: (دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت، ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله عنه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

فلا يمكن أن ينهى عن التشبه به في هذه الدعوة، وهي النداء الذي نادى به ربه، وإنما نهي عن التشبه به في السبب الذي أفضى به إلى هذه المناداة، وهو مغاضبته التي أفضت به إلى حبسه في بطن الحوت وشدة ذلك عليه، حتى نادى ربه وهو مكظوم. والمكظوم والكظيم والكاظم: الذي قد امتلأ غيظا أو غضبا أو هما وحزنا، وكظم عليه فلم يخرجه.

فإن قيل: وعلى ذلك، فما العامل في الظرف؟ قيل: ما في صاحب الحوت من معنى الفعل». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٦٠-٦١).

وقال ابن كثير: «{فاصبر} يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم؛ فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة.

{ولا تكن كصاحب الحوت} يعني: ذا النون، وهو يونس بن متّى عليه السلام، حين ذهب مغاضبا على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر، والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يُردّ ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات {أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}، قال الله: {فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين}، وقال تعالى: {فلولا أنه كان من المسبّحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون}، وقال هاهنا: {إذ نادى وهو مكظوم} قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: وهو مغموم. وقال عطاء الخراساني،

وأبو مالك: مكروب.

وقد قدّمنا في الحديث أنه لما قال: {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} خرجت الكلمة تحفّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا ربّ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال الله: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا ربّ، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء؛ ولهذا قال تعالى: {فاجتباه ربه فجعله من الصالحين}... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى). ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٠١).

(لولا أن تداركه نعمةٌ من ربه لنُبذ بالعراء وهو مذموم):

قال القرطبي: «قيل: ولولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثم نبذ بعراء القيامة مذموما. يدل عليه قوله تعالى: (فلولا أنه كان من المسبّحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥٤).

وقال ابن جُزي: «(لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ) هو جواب (لولا)، والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء، فإنه قد قال في الصافات: (فنبذناه بالعراء)، فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نُبذ وهو غير مذموم». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٤٠٣).

(فاجتباه ربه فجعله من الصالحين):

قال القرطبي: «(فاجتباه ربه) أي: اصطفاه واختاره، (فجعله من الصالحين) قال ابن عباس: ردّ الله إليه الوحي، وشفّعه في نفسه وفي قومه، وقبل توبته، وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥٤).

(وإن يكاد الذين كفروا ليُزلقونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون):

قال البغوي: «{وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم} وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين، فنظر إليه قوم من قريش، وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه.

وقيل: كانت العين في بني أسد، حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمرّ بأحدهم فيعاينها، ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدراهم فأتينا بشيء من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر.

وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثا، ثم يرفع جانب خبائه، فتمرّ به الإبل، فيقول: لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة وعدّة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين، ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله نبيه، وأنزل: (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم)...

وقال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك.

وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك.

وهذا مستعمل في كلام العرب، يقول القائل: نظر إليّ نظرا يكاد يصرعني، ونظرا يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله: {لمّا سمعوا الذكر}، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدّون إليه النظر بالبغضاء...

قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية». «تفسير البغوي» (٨/ ٢٠١-٢٠٣).

وقال ابن تيمية: «الإزلاق بالبصر هو الغاية في البغض والغضب والأذى، فالصبر على ذلك نوع من الحلم، وهو احتمال أذى الخلق، وفي ذلك ما يدفع كيدهم وشرّهم.

وما ذكره في قصة أهل الجنة من أمر السخاء والجود، وما ذكره هنا من الحلم والصبر: هو جماع الخلق الحسن، كما جمع بينهما في قوله: {الذين ينفقون في السراء والضراء} الآية، كما قيل:

بحلم وبذل ساد في قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير

فالإحسان إلى الناس بالمال والمنفعة واحتمال أذاهم كالسخاء المحمود، كما جمع بينهما في قوله: {خذ

العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}، ففي أخذه العفو من أخلاقهم احتمال أذاهم، وهو نوعان: ترك ما لك من الحق عليهم، فأخذ العفو أن لا تطلب ما تركوه من حقك. وأن لا تنهاهم فيما تعدّوا فيه الحدّ فيك». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٧٠-٧١).

وقال ابن القيم: «نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثّر في المعين بالوصف من غير رؤية.

وقد قال تعالى لنبيه: {وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر}، وقال: {قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد}.

فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنا، فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن. وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة، وتخطئه تارة. فإن صادفته مكشوفا لا وقاية عليه أثّرت فيه ولا بدّ. وإن صادفته حذرا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثّر فيه، وربما ردّت السهام على صاحبها». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢٣٨).

وقال ابن القيم: «فصل: في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج المصاب بالعين:

روى مسلم في «صحيحه» عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

وفي «صحيحه» أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رخّص في الرقية من الحمة والعين والنملة.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العين حق».

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين.

وفي «الصحيحين» عن عائشة قالت: أمرني النبي صلى الله عليه وسلم، -أو: أمر- أن نسترقي من العين.

وذكر الترمذي... أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ فقال: «نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى مالك عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة! قال: فلبط سهل. فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عامر، فتغيّظ عليه، وقال: «علامَ يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكت! اغتسل له». فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صبّ عليه، فراح مع الناس.

وروى مالك أيضا عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه هذا الحديث، وقال فيه: «إن العين حق، توضأ له»، فتوضأ له.

وذكر عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه مرفوعا: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين. وإذا استغسل أحدكم فليغتسل». ووصله صحيح...

ويُذكر عن جابر يرفعه: «إن العين لتُدخل الرجل القبر، والجمل القدر».

وعن أبي سعيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجانّ، ومن عين الإنسان». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢٣١-٢٣٥).

(وما هو إلا ذكر للعالمين):

قال القرطبي: «(وما هو إلا ذكر للعالمين) أي: وما القرآن إلا ذكر للعالمين. وقيل: أي: وما محمد.

(إلا ذكر للعالمين) يتذكرون به. وقيل: معناه شرف، أي: القرآن. كما قال تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك)، والنبي صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين أيضا، شرفوا باتباعه والإيمان به صلى الله عليه وسلم». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٥٦).

وقال البقاعي: «{وما هو إلا ذكر} أي: موعظة وشرف {للعالمين} أي: كلهم، عاليهم ودانيهم، ليس منهم أحد إلا وهو يعلم أنه لا شيء يشبهه في جلالة معانيه، وحلاوة ألفاظه، وعظمة سبكه، ودقة فهمه، ورقة حواشيه، وجزالة نظومه، ويفهم منه على حسب ما هيأه الله له ليناسب عموم ذِكريّته عمومُ الرسالة للمرسَل به، وكل ما فيه من وعد ووعيد وأحكام ومواعظ شامل لهم كلهم». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٠/ ٣٣٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القلم ٤٤-٥٢

١- المؤمن يؤمن بأن القرآن كلام الله، ويؤمن بأن كل ما فيه حق، ولا يكذّب بشيء من أخباره، بل يصدّق بها تصديقا جازما؛ لأنها خبر من الله الخالق العليم، وأما المنافق والمرتاب فإنه كلما وجد في العلوم النظرية شيئا يعارض القرآن شكّ في القرآن أو كذّب به، فتكون عاقبته أن يستدرجه الله بالنعم، ويمدّه بالأموال والأولاد حتى يغترّ بما هو عليه من التكذيب والتشكيك، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، فاللهمّ سلّم سلّم (فذَرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ❋ وأملي لهم إن كيدي متين).

٢- يجب على الداعية إلى الله أن لا يطلب من المدعوّين شيئا من الدنيا، مقتديا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وعامة الأنبياء، حتى لا يكون هذا الطلب سببا في نفور الناس عن قبول الدعوة، فإن أكثر النفوس قد جُبلت على حبّ المال والشحّ به (أم تسألهم أجرا فهم من مَغرم مُثقَلون).

٣- كثير من أهل الباطل يدّعون لأنفسهم ولمشايخهم مقامات دينيّة عالية في الدنيا من الولاية والصلاح والتقوى، ومقامات أعلى في جنات النعيم، وكأنهم قد اطّلعوا على الغيب فهم ينقلون منه هذه التزكية، وتلك الضمانات، وما هو إلا محض كذب وافتراء لكسب ولاء العامة وأموالهم (أم عندهم الغيب فهم يكتبون).

٤- يجب على الداعية إلى الله أن يوطّن نفسه على الصبر على أقدار الله الكونية، وعلى أحكامه الشرعية، وأن يستحضر سنة الله في الابتلاء والمداولة والتمحيص، وأن لا يستعجل نتائج دعوته (فاصبر لحكم ربك).

٥- مهما اشتدّت عليك الكروب، وتكالبت عليك الهموم، وأحاطت بك الغموم، فلا تقنط من رحمة الله، وأحسن الظنّ به، والجأ إليه التجاء العبد الفقير الضعيف المقصّر المفرّط، إلى الملك العظيم الرحيم القويّ القادر، واقرأ قصة يونس عليه السلام لتكون عبرة وتسلية لك، وأكثر من ترداد دعوته التي دعا بها في الظلمات: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ❋ لولا أن تداركه نعمةٌ من ربه لنُبذ بالعراء وهو مذموم).

٦- احرص على التوبة من ذنوبك توبة نصوحا، واعلم أن العبد بتوبته واستغفاره بعد الذنب قد يصل إلى مقامات في العبودية أعلى مما كان عليه قبل الذنب، فيكون من عباد الله المصطفَين، ومن أوليائه الصالحين (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين).

٧- أهل الباطل يحرصون على أذية الدعاة والمُصلحين بشتى الطرق، تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بإصابتهم بالعين والسحر، وتارة بتسليط السفهاء عليهم، فاسأل الله أن يصرف شرّهم عنك، وقل: اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، اللهمّ اكفنيهم بما شئت (وإن يكاد الذين كفروا ليُزلقونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون).

٨- القرآن الكريم جاء لتذكيرنا بحقّ ربنا، جاء لتذكيرنا بما في فِطرنا من معرفة الله ومحبته، جاء لتذكيرنا بما خُلقنا لأجله، جاء لتذكيرنا بكيفية عبادة ربنا وطاعته، جاء لتذكيرنا بحقّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم، جاء لتذكيرنا بأداء الحقوق التي بيننا، جاء لتذكيرنا بمصيرنا الحقيقي، جاء لتذكيرنا بأن الجنة مسكننا الأول الذي يجب أن نسعى للعودة إليه، جاء لتذكيرنا بشدة عداوة إبليس لنا، جاء لتذكيرنا حتى لا ننسى ولا نغفل، جاء لتذكيرنا حتى ننال الشرف الأكمل في الدنيا والآخرة، فلنستمسك به (وما هو إلا ذكر للعالمين).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة القلم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة القلم.

أبدأ بالآية الأولى وهي قول الله تعالى: (ن) هل يصح الوقف على حرف نون؟

الجواب: نعم، نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن (ن) هنا حرف من الحروف المقطّعة التي ليست من صُلب الكلام، فهي منفصلة عن الكلام الذي بعدها، والحروف المقطعة في أوائل السور منها ما هو معدود رأس آية لوحده، ومنها ما هو ضمن الآية الأولى كما في هذه السورة، وفي كلتا الحالتين يصح الوقف على الحروف المقطعة قبل الكلام الذي بعدها؛ لأنها منفصلة عما بعدها. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة: قوله تعالى: (إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبْطي رحمه الله، ورخّص فيه السجاوندي، وجوّزه الأشموني، وعلّل السجاوندي الترخيص فيه بأنه لاتفاق الجملتين، يعني جملة: (هو أعلم بمن ضل عن سبيله)، وجملة: (وهو أعلم بالمهتدين).

وإذا تأملنا فإن هاتين الجملتين تضمّنتا إخبار الله سبحانه عن علمه بحال طائفتين متضادّتين، طائفة ضلّت عن سبيل الله، وطائفة مهتدية، وكل جملة من الجملتين قائمة بنفسها، فمن نظر إلى هذا صحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن الجملة الثانية هي من تتمة بيان الجملة الأولى، ليَظهر أن علم الله سبحانه وتعالى متعلق بالطائفتين، من ضلّ عن سبيله، ومن اهتدى، لم يصحح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة عشرة: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) هل يصح الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي والأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وعللا ذلك بأن قوله تعالى بعدها: (إذ أقسموا ليصرمنَّها مصبحين)، (إذ) هنا تصلح أن تكون ظرفا لقوله: (كما بلونا)، فيكون المعنى: كما بلونا أصحاب الجنة حين أقسموا ليصرمنَّها مصبحين، وبناءً عليه لا يصح الوقف على قوله: (أصحاب الجنة).

ويصلح أن تكون (إذ) هنا مفعول فعل محذوف تقديره: اذكر إذ أقسموا ليصرمنَّها مصبحين، فتكون جملة مستقلة، فيصح الوقف قبلها، لذلك نصّوا على التجويز، يعني: تجويز الوصل والوقف، والأقرب والعلم عند الله أن (إذ) هنا ظرف، وهذا هو الظاهر من سياق الآية، وبناء عليه لا يصح الوقف على قوله: (أصحاب الجنة). والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة والعشرون: (قالوا سبحان ربنا) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا حسن، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإنهم قالوا: (سبحان ربنا) فنزّهوه سبحانه أوّلا، ثم اعترفوا بظلمهم في قولهم: (إنا كنا ظالمين)، فلعلّ مَن حسَّن الوقف هنا نظر إلى حُسن الفصل بين تنزيه الله سبحانه وتعالى وبين اعترافهم بظلمهم، وهذا وجه حسن له حظ من النظر. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية والثلاثون: (عسى ربنا أن يُبدِلنا خيرا منها) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا حسن، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قولهم: (عسى ربنا أن يُبدِلنا خيرا منها) فيه رجاء أن يبدلهم الله خيرا من جنتهم، ثم قالوا: (إنا إلى ربنا راغبون)، فمن نظر إلى أن قولهم: (إنا إلى ربنا راغبون) هو من تتمة رجائهم أن يبدِلهم الله خيرا من جنتهم لم يصحح الوقف هنا، وهذا ما ذهب إليه عامة علماء الوقف والابتداء.

ومن نظر إلى أن جملة: (إنا إلى ربنا راغبون) جملة مستقلة، صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والأقرب عدم الوقف. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة والثلاثون: (كذلك العذاب) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الحكاية عن العذاب الدنيوي قد انتهت هنا، ثم أخبر عن أن عذاب الآخرة أكبر بجملة مبدوءة بلام القسم في قوله: (ولعذاب الآخرة أكبر)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولعذاب الآخرة أكبر)؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا حسن، وجعله السجاوندي وقفا لازما، ووضعت هنا علامة الوقف الجائز (ج) في مصحف المدينة، وعلّل السجاوندي رحمه الله لزوم الوقف هنا بأن: (لو) في قوله: (لو كانوا يعلمون) محذوف الجواب، وتقدير الجملة: لو كانوا يعلمون لما اختاروا الأكبر على الأدنى،

يقول السجاوندي: لو وُصل بما قبله لصار قوله: (ولعذاب الآخرة أكبر) معلقا بشرط أن لو كانوا يعلمون، وهو محال!

لكن هذا الاحتمال وهذا التوهم بعيد، فإنه لو وُصل لفهم القارئ والمستمع أن المعنى: لو كانوا يعلمون لعلموا أن عذاب الاخرة أكبر، وليس المعنى: لو كانوا يعلمون لصار عذاب الآخرة أكبر، فإذا صار الاحتمال ضعيفا صار القول بلزوم الوقف ضعيفا كذلك.

بقي أن يقال: هل الأفضل الوقف هنا، أم الوصل؟

عامة علماء الوقف والابتداء لم ينصّوا على وقف هنا، وإنما نص على تحسينه الأشموني، وهو قول له حظ من النظر. والله تعالى أعلم.

الآية السادسة والثلاثون: (ما لكم) هل يصح الوقف هنا قبل قوله: (كيف تحكمون)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وسمّاه السجاوندي: وقفة لطيفة، وعلَّله بأنه لاستفهام آخر، وذلك أن الآية اشتملت على استفهامين: الأول في قوله: (ما لكم)، والثاني في قوله: (كيف تحكمون)، وكل استفهام قائم بنفسه مؤدٍّ مقصوده، فصار الوقف هنا صحيحا. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة والثلاثون: (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه ابن النَّحَّاس والسجاوندي والأشموني، وهو من المواضع التي يكثر خطأ القراء فيها؛ لماذا لا يصح؟ لأن قوله تعالى: (إنّ لكم لما تحكمون) جواب الأيمان، المعنى: هل لكم أيمان بأن لكم ما تحكمونه لأنفسكم يوم القيامة، فـ(إنّ) هنا أصلها (أنّ) المفتوحة، وإنما كُسرت لدخول اللام في خبرها في قوله: (لما تحكمون)، فالآية جملة واحدة لا وقف فيها. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية والأربعون: (أم لهم شركاء) هل يصح الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي رحمه الله وحده، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وعلّل السجاوندي الوقف هنا بأنه في حالة إذا وصلنا بداية هذه الآية بالآية التي قبلها فيكون: (سلهم أيهم بذلك زعيمٌ أم لهم شركاء)، ثم بدأ أمر التعجيز في قوله: (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين).

لكن إذا قلنا بالوقف على رأس الآية: (سلهم أيهم بذلك زعيم)، ثم قلنا: (أم لهم شركاء) لاتّضح المراد، وكان استفهاما قد انتهى هنا، ثم جاء أمر التعجيز في قوله: (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين)، فيكون الوقف هنا له حظ من النظر، حتى في حال عدم وصل الآية بالآية التي قبلها. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية والأربعون: (يوم يُكشف عن ساق) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله تعالى بعدها: (ويُدعون إلى السجود) جملة معطوفة على قوله: (يُكشف عن ساق) متعلقة بالظرف في قوله: (يوم)، تقدير الكلام: يوم يُكشف عن ساق ويوم يُدعون إلى السجود فلا يستطيعون، فلم يصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة والأربعون: (خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذِلّة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن وصف حالهم حينما دُعوا إلى السجود يوم القيامة فلم يقدروا قد انتهى هنا، ثم ذكر حالهم لما كانوا يُدعون إلى السجود في الدنيا بجملة مستأنفة مبدوءة بـ(قد) في قوله: (وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة والأربعون: (فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة التهديد قد انتهت، وهي جملة بصيغة الماضي، ثم جاءت جملة لبيان ما سيفعله الله بهم في المستقبل في قوله: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة والأربعون: (وأملي لهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى هنا الإخبار عما يفعله الله بهم، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) لبيان شدة كيد الله سبحانه وتعالى في قوله: (إنّ كيدي متين)، فصح الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة والأربعون: (فاصبر لحكم ربك) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله تعالى بعدها: (ولا تكن كصاحب الحوت) هذا النهي هو من تتمة الأمر، فالمراد أن اصبر لحكم ربك مبتعدا عن حال صاحب الحوت الذي لم يصبر، فهو من تتمة الأمر بالصبر، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولا تكن كصاحب الحوت)؟

نصّ السجاوندي رحمه الله على أن الوقف هنا لازم، وجوّزه الأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وعلّل السجاوندي رحمه الله الوقف هنا بأن (إذ) في قوله: (إذ نادى وهو مكظوم) ليس بظرف لما تقدّمه، بل مفعول لفعل محذوف تقديره: واذكر إذ نادى وهو مكظوم.

لكن ما قاله بعيد، بل (إذ) عمل فيها ما دلّ عليه قوله: (كصاحب الحوت) وذلك عدم صبرِه ثم نداؤُه وهو مكظوم، فيكون المعنى والله أعلم: ولا تفعل فعل صاحب الحوت الذي لم يصبر فأصابه الغم فكان مصيره أنه نادى وهو مكظوم، وبناءً عليه لا وقف على قوله: (كصاحب الحوت). والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة والأربعون: (لولا أن تداركه نعمة من ربه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه الأشموني؛ لماذا؟ لأن جواب (لولا) لم يأتِ بعد، فجوابها في قوله: (لنُبِذ بالعراء وهو مذموم)، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية والخمسون: (وإن يكاد الذين كفروا ليُزلقونك بأبصارهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله تعالى بعدها: (لمَّا سمعوا الذكر) ظرف لما قبلها، أي: إن يكادوا ليُزلقونك حين سمعوا الذكر، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (لمّا سمعوا الذكر)؟

نصّ الأشموني رحمه الله على أن الوقف هنا جائز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الجملة التي فيها بيان أن الذين كفروا يكادون يزلقون النبي عليه الصلاة والسلام بأبصارهم حينما سمعوا الذكر قد انتهت هنا، ثم جاء خبر آخر عن قولهم عنه عليه الصلاة والسلام إنه لمجنون وحاشاه، فمن نظر إلى هذا صحّح الفصل بين الجملتين.

ومن نظر إلى أن قولهم عنه عليه الصلاة والسلام: إنه لمجنون، هو من تتمة ما كانوا يؤذون به النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يصحّح الوقف هنا، والأقرب صحة الوقف هنا؛ لأن جملة: (ويقولون إنه لمجنون) جملة مستقلّة بنفسها. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة القلم. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الملك ١-١١ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الملك: مَكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثًا على خشيته، وتحذيرًا من عقابه.

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾

تعاظم وكثر خير الله الَّذي بيده وحده الملك، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾

الَّذي خلق الموت وخلق الحياة ليختبركم -أيها الناس- أيكم أحسن عملًا، وهو العزيز الَّذي لا يغلبه أحد، الغفور لذنوب من تاب من عباده.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾

الَّذي خلق سبع سماوات، كل سماء طبقة فوق ما قبلها دون تماسّ بين سماء وسماء. لا تشاهد -أيها الرائي- فيما خلق الله أي تفاوت أو عدم تناسب. فارجع البصر هل ترى من تَشَقُّق أو تَصَدُّع؟! لن ترى ذلك، وإنما ترى خلقًا محكمًا متقنًا.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾

ثم ارجع البصر مرّة بعد مرّة يرجعْ إليك بصرك ذليلًا دون أن يرى عيبًا أو خللًا في خلق السماء، وهو كَلِيل منقطع عن النظر.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾

ولقد زيّنا أقرب سماءٍ إلى الأرض بنجومٍ مضيئة، وجعلنا تلك النجوم شُهُبًا تُرْجَم بها الشياطين التي تسترق السمع فتحرقهم، وهيَّأنا لهم في الآخرة النار المُسْتَعِرة.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦﴾

وللذين كفروا بربهم يوم القيامة عذابُ النار المتّقدة، وساء المرجع الَّذي يرجعون إليه.

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧﴾

إذا طُرحوا في النار سمعوا صوتًا قبيحًا شديدًا، وهي تغلي مثل غليان المِرْجَل.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨﴾

يكاد ينفصل بعضها عن بعض ويتميّز؛ من شدة غضبها على من يدخل فيها، كلما رُمِيَت فيها دفعة من أصحابها الكفار سألتهم الملائكة الموكلون بها سؤال تقريع: ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوّفكم من عذاب الله؟!

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾

قال الكفار: بلى، قد جاءنا رسول يخوّفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا له: ما نزّل الله من وحي، لستم - أيها الرسل- إلا في ضلال عظيم عن الحقّ.

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾

وقال الكفار: لو كُنَّا نسمع سماعًا يُنْتَفع به، أو نعقل عقل من يميز الحق من الباطل، ما كنا في جملة أصحاب النار، بل كُنَّا نؤمن بالرسل، ونصدق بما جاؤوا به، ونكون من أصحاب الجنّة.

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾

فأقرّوا على أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا النار، فبُعْدًا لأصحاب النار.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- في معرفة الحكمة من خلق الموت والحياة: وجوب المبادرة للعمل الصالح قبل الموت.
- حَنَقُ جهنم على الكفار وغيظها غيرةً لله سبحانه.
- سبَق الجن الإنس في ارتياد الفضاء، وكل من تعدّى حدّه منهم، فإنه سيناله الرصَد بعقاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الملك ١-١١

الكلمة	المعنى
تباركَ	تعالى وتَعاظمَ وتَكاثر خيرُه
خلَق الموتَ والحياة	أوجد الموت والحياة وقدّرَهما
لِيَبلُوَكُم	لِيختبِرَكُم
أحسنُ عملًا	أخلصُ عملا وأصوبُه
العزيز	الذي لا يغلبه أحد
طِبَاقًا	بعضُها فوقَ بعض من غير تَماسٍّ بينها
من تَفاوُت	من اختلافٍ وتبايُن
فارْجِعِ البصَر	فأَعِدِ النظَر
فُطُور	شُقوقٍ وصُدُوع
كَرَّتَين	مرّةً بعد مرّةٍ
يَنقلِبْ	يرجِعْ
خاسِئًا	ذليلا صاغِرا
وهو حَسِير	وهو مُتعَب كَلِيل
بمَصابِيح	بنجوم مضيئة
رُجُومًا للشياطين	شهُبًا مُحرقة لمسترِقي السمع من الشياطين
وأَعتَدنَا	وهيّأنا
عذابَ السَّعِير	عذاب النار المُوقَدَة
وبِئسَ المَصِير	وبئس المرجع والمآل
شَهِيقًا	صوتا منكرا شديدا
وهِيَ تَفُور	وهي تغلي غلَيانًا شديدًا

الكلمة	المعنى
تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظ	تتقطّعُ وتتمزّقُ من شدّة غضبها على الكفّار
فَوجٌ	جماعةٌ
خَزَنتُها	الملائكة الموكّلون بها
نذير	رسول يحذّركم من هذا العذاب
إن أنتم	ما أنتم
فسُحقًا	فبُعدًا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الملك ١-١١

فوائد عامة في سورة الملك:

قال ابن القيم: «عن ابن عباس قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر؛ فإذا إنسان يقرأ سورة المُلك حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وروينا في «مسند عبد بن حميد»... عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال الرجل: بلى. قال: اقرأ: {تبارك الذي بيده الملك}، احفظها، وعلّمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة، تجادل -أو: تخاصم- يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

قال أبو عمر بن عبد البر: وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له: {تبارك الذي بيده الملك}». «الروح» (١/ ٢٣٤).

وقال ابن كثير: «روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي... عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: (تبارك الذي بيده الملك)...

روى الترمذي أيضا... عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ: (الم. تنزيل)، و (تبارك الذي بيده الملك)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٤).

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير):

قال ابن عطية: «المُلك على الإطلاق هو الذي لا يبيد ولا يختلّ منه شيء، وذلك هو ملك الله تعالى، وقيل

المراد في هذه الآية: مُلك الملوك، فهو بمنزلة قوله: (قل اللهم مالك الملك)». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٣٧).

وقال القرطبي: «(الذي بيده المُلك) أي: ملك السماوات والأرض في الدنيا والآخرة.
وقال ابن عباس: (بيده الملك): يعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، ويحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع.
وقال محمد بن إسحاق: له مُلك النبوة التي أعزّ بها من اتّبعه، وأذلّ بها من خالفه». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٠٥).

وقال ابن القيم: «وأما صيغة (تبارك) فمختصةٌ به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله: {فتبارك الله رب العالمين}، {تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير}، {فتبارك الله أحسن الخالقين}، {وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون}، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده}، {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك}، {تبارك الذي جعل في السماء بروجا}.
أفلا تراها كيف اطّردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوه، فجاء بناء (تبارك) على بناء (تعالى) الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك (تبارك) دال على كمال بركته وعظمها وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك: تعاظم.
وقال آخر: معناه: أن تجيء البركات من قِبله، فالبركة كلها منه.
وقال غيره: كثُر خيره وإحسانه إلى خلقه.
وقيل: اتسعت رأفته ورحمته بهم.
وقيل: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. ومن هنا قيل: معناه: تعالى وتعاظم.
وقيل: تبارك: تقدس، والقدس: الطهارة.
وقيل: تبارك: أي: باسمه يبارك في كل شيء.

وقيل: تبارك: ارتفع، والمبارك المرتفع، ذكره البغوي.

وقيل: تبارك: أي: البركة تكتسب وتنال بذكره. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة.

وقيل: معناه: ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال. ذكره البغوي أيضا.

وحقيقة اللفظة: أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفا وفعلا منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين، وهما متلازمان، لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل، فإنه فِعل لازم مثل: تعالى وتقدّس وتعاظم، ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره عاليا ولا قدوسا ولا عظيما، وهذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه، وإنما معناها في نفس من نُسبت إليه، فهو المتعالي المتقدّس في نفسه، فكذلك (تبارك) لا يصح أن يكون معناها: بارك في غيره، وأين أحدهما من الآخر لفظا ومعنى، هذا لازم وهذا متعد؟ فعلمت أن من فسّر (تبارك) بمعنى: ألقى البركة، وبارك في غيره، لم يصب معناها، وإن كان هذا من لوازم كونه تعالى متباركا، فـ(تبارك) من باب: مَجُد، والمجد: كثرة صفات الجلال والكمال والسعة والفضل، و(بارك) من باب: أعطى وأنعم، ولما كان المتعدي في ذلك يستلزم اللازم من غير عكس فسّر من فسّر من السلف اللفظة بالمتعدّي لينتظم المعنيين، فقال: مجيء البركة كلها من عنده، أو البركة كلها من قبله، وهذا فرع على تباركه في نفسه». «بدائع الفوائد» (٢/ ٦٨٠-٦٨٢).

(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور):

قال الطبري: «(الذي خلق الموت والحياة) فأمات من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) يقول: ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٠٥).

وقال البغوي: «(الذي خلق الموت والحياة) قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، جعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء.

قيل: إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب.
وقيل: قدّمه لأنه أقدم؛ لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم اعترضت عليها الحياة». «تفسير البغوي» (٨/ ١٧٣).

وقال ابن عطية: «قال جماعة من المتأولين: الموت والحياة عبارة عن الدنيا والآخرة، سمى هذه موتا من حيث إن فيها الموت، وسمى تلك الحياة من حيث لا موت فيها، فوصفهما بالمصدرين على تقدير حذف المضاف، كعدل وزور، وقدّم الموت في اللفظ، لأنه متقدم في النفس هيبة وغلظة». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٣٨).

وقال القرطبي: «قال السدي في قوله تعالى: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أي: أكثركم للموت ذكرا، وأحسن استعدادا، ومنه أشد خوفا وحذرا...
وقيل: معنى: (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر، أي: ليبلو العبد بموت من يعزّ عليه ليبين صبره، وبالحياة ليبين شكره.
وقيل: خلق الله الموت للبعث والجزاء، وخلق الحياة للابتلاء. فاللام في: (ليبلوكم) تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٠٧).

وقال ابن تيمية: «جماع الدين أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا}، قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.
وهذا الذي ذكره الفضيل مما اتفق عليه أئمة المشايخ، كما قال أبو سليمان الداراني: إنه لتمرّ بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين: الكتاب والسنة.
وقال الشيخ أبو سليمان أيضا: ليس لمن أُلهم شيئا من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر، فإذا سمع بأثر

كان نورا على نور.

وقال الجنيد: عِلمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٨٥).

وقال ابن تيمية: «فالسالك طريق الزهادة والعبادة إذا كان متبعا للشريعة في الظاهر وقصد الرياء والسمعة وتعظيم الناس له كان عمله باطلا لا يقبله الله، كما ثبت في الصحيح أن الله يقول: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كله للذي أشرك)، وفي الصحيح عنه أنه قال: (من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به).

وإن كان خالصا في نيته لكنه يتعبد بغير العبادات المشروعة: مثل الذي يصمت دائما، أو يقوم في الشمس أو على السطح دائما، أو يتعرّى من الثياب دائما ويلازم لبس الصوف أو لبس الليف ونحوه، أو يغطي وجهه، أو يمتنع من أكل الخبز أو اللحم أو شرب الماء، ونحو ذلك، كانت هذه العبادات باطلة ومردودة، كما ثبت في الصحيح عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦١٣).

وقال ابن القيم: «كما ابتلاهم بأمره ونهيه ابتلاهم بما زيّنه لهم من الدنيا، وبما ركّب فيهم من الشهوات، فذلك ابتلاء بشرعه وأمره، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره، قال تعالى: {إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا}، وقال تعالى: {الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا}، وقال: {وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا}، فأخبر في هذه الآية أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي عباده بأمره ونهيه، وهذا من الحق الذي خلق به خلقه.

وأخبر في الآية التي قبلها أنه خلق الموت والحياة ليبتليهم أيضا، فأحياهم ليبتليهم بأمره ونهيه، وقدّر عليهم الموت الذي ينالوا به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب.

وأخبر في الآية الأولى أنه زيّن لهم ما على الأرض ليبتليهم به أيّهم يؤْثره على ما عنده فيكون حظه، أو يؤثر

ما عنده عليه، وابتلى بعضهم ببعض، وابتلاهم بالنعم والمصائب، فأظهر هذا الابتلاء علمه السابق فيهم موجودا عيانا بعد أن كان غيبا في علمه.

فابتلى أبوي الإنس والجن كل منهما بالآخر، فأظهر ابتلاءُ آدم ما علمه منه، وأظهر ابتلاءُ إبليس ما علمه منه، فلهذا قال للملائكة: {إني أعلم ما لا تعلمون}، واستمرّ هذا الابتلاء في الذرية إلى يوم القيامة، فابتلى الأنبياء بأممهم، وابتلى أممهم بهم، وقال لعبده ورسوله وخليله: (إني مبتليك ومبتلٍ بك)، وقال: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون}، وقال: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة}». «شفاء العليل» (١/ ١٢١).

وقال السعدي: «{الغفور} عن المسيئين والمقصّرين والمذنبين، خصوصا إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا». «تفسير السعدي» (ص٨٧٥).

(الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور):

قال ابن عطية: «وما ذكر بعض المفسرين في السماوات من أن بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف كله، ولم يثبت بذلك حديث، ولا يعلم أحد من البشر حقيقة لهذا». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٣٨).

وقال ابن عطية: «قال بعض العلماء: (في خلق الرحمن) يعني به السماوات فقط، وهي التي تتضمن اللفظ، وإياها أراد بقوله: (هل ترى من فطور)، وإياها أراد بقوله: (ينقلب إليك البصر...) الآية، قالوا: وإلا ففي الأرض فطور.

وقال آخرون: (في خلق الرحمن) يعني به جميع ما في خلق الله تعالى من الأشياء، فإنها لا تفاوت فيها ولا فطور جارية على غير إتقان، ومتى كانت فطور لا تفسد الشيء المخلوق من حيث هو ذلك الشيء بل هي إتقان فيه فليست تلك المرادة في الآية». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٣٨).

وقال ابن تيمية: «الأفلاك هل هي السماوات أو غيرها؟ ففي ذلك قولان معروفان للناس، لكن الذين قالوا

إن هذا هو هذا احتجوا بقوله تعالى: {ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا} قالوا: فأخبر الله أن القمر في السماوات. وقد قال تعالى: {وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون}. وقال تعالى: {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون}. فأخبر في الآيتين أن القمر في الفلك؛ كما أخبر أنه في السماوات؛ ولأن الله أخبر أنا نرى السماوات بقوله: {الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}. وقال: {أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينّاها وما لها من فروج}، وأمثال ذلك من النصوص الدالة على أن السماء مشاهَدة؛ والمشاهَد هو الفلك؛ فدلّ على أن أحدهما هو الآخر». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٩٢).

وقال ابن كثير: «{الذي خلق سبع سماوات طباقا} أي: طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهم على بعض، أو متفاصلات بينهن خَلاء؟ فيه قولان، أصحهما الثاني، كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٦).

(ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير):

«قال ابن زيد، في قوله: (فارجع البصر هل ترى من فطور) ... الآية، قال: الخاسئ، والخاسر واحد؛ حسر طرفه أن يرى فيها فطرا فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فطرا؛ قال: فإذا جاء يوم القيامة انفطرت، ثم انشقت، ثم جاء أمر أكبر من ذلك انكشطت». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٠٧).

وقال ابن القيم: «قال: {وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون}.

وتأمل خلق هذا السقف الأعظم -مع صلابته وشدته ووثاقته- من دخان، وهو بخار الماء؛ قال الله تعالى: {وبنينا فوقكم سبعا شدادا}، وقال تعالى: {أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها}، وقال: {وجعلنا السماء سقفا محفوظا}.

فانظر إلى هذا البناء الشديد العظيم الواسع الذي رفع سمكه أعظم ارتفاع، وزيّنه بأحسن زينة، وأودعه العجائب والآيات، كيف ابتدأ خلقه من بخار ارتفع من الماء وهو الدخان.

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحّد

لقد تعرّف إلى خلقه بأنواع التعرّفات، ونصب لهم الدلالات، وأوضح لهم الآيات البينات؛ {ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم}.

فارجع البصر إلى السماء، وانظر فيها وفي كواكبها ودورانها، وطلوعها وغروبها، وشمسها وقمرها، واختلاف مشارقها ومغاربها، ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها، ولا تغيّر في سيرها، بل تجري في منازل قد رتّبت لها بحساب مقدّر لا يزيد ولا ينقص، إلى أن يطويها فاطرها وبديعها.

وانظر إلى كثرة كواكبها، واختلاف ألوانها ومقاديرها، فبعضها يميل إلى الحمرة، وبعضها إلى البياض، وبعضها إلى اللون الرصاصي.

ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة، ثم هي في كل يوم تطلع وتغرب بسير سخّرها لها خالقها، لا تتعداه ولا تقصر عنه، ولولا طلوعها وغروبها لما عُرف الليل والنهار ولا المواقيت، ولأطبق الظلام على العالم أو الضياء، ولم يتميز وقت المعاش عن وقت السبات والراحة، وكيف قدّر لها العزيز العليم سفرين متباعدين: أحدهما: سفرها صاعدة إلى أوجها. والثاني: سفرها هابطة إلى حضيضها.

تنتقل في منازل هذا السفر منزلة منزلة حتى تبلغ غايتها منه، فأحدث ذلك السفر بقدرة الرب الخالق القادر اختلافَ الفصول من الصيف والشتاء والخريف والربيع، فإذا انخفض سيرها عن وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء، وإذا استوت في وسط السماء اشتدّ القيظ، وإذا كانت بين المسافتين اعتدل الزمان، وقامت مصالح العباد والحيوان والنبات بهذه الفصول الأربعة، واختلفت بسببها الأقوات، وأحوال النبات والألوان، ومنافع الحيوان والأغذية وغيرها.

وانظر إلى القمر وعجائب آياته؛ كيف يبديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئا فشيئا كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى؛ ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميزت به الأشهر والسنين، وقام به حساب العالم، مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبر التي لا يحصيها إلا الله.

وبالجملة؛ فما من كوكب من الكواكب إلا وللرب تبارك وتعالى في خلقه حكم كثيرة، ثم في مقداره، ثم في شكله ولونه، ثم في موضعه من السماء وقربه من وسطها وبعده، وقربه من الكوكب الذي يليه وبعده منه.

وإذا أردت معرفة ذلك على سبيل الإجمال فقسه بأعضاء بدنك واختلافها، وتفاوت ما بين المتجاورات منها وبعد ما بين المتباعدات، وأشكالها ومقاديرها، وتفاوت منافعها وما خلقت له. وأي نسبة لذلك إلى عظم السماوات وكواكبها وآياتها!

.. ثم إنه سبحانه أمسك السماوات مع عظمها وعظم ما فيها، وثبّتها من غير علاقة من فوقها، ولا عَمد من تحتها، الله الذي {خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم. هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين}».«مفتاح دار السعادة» (٢/ ٥٦٣-٥٦٧).

وقال ابن القيم: «جميع ما يشاهد من مخلوقاته عاليها وسافلها وما بين ذلك إذا تأملها صحيح التأمل والنظر وجدها مؤسسة على غاية الحكمة، مغشاة بالحكمة، فيقرأ سطور الحكمة على صفحاتها، وينادي عليها: هذا صنع العليم الحكيم، وتقدير العزيز العليم. فإن وجدت العقول أوفق من هذا فلتقترحه، أو رأت أحسن منه فلتبده ولتوضحه! ذلك صنع {الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}». «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/ ١١٣٥).

(ولقد زينّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير):

قال البخاري: «باب في النجوم، وقال قتادة: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح} خَلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأوّل فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم له به». «صحيح البخاري» (٤/ ١٠٧).

وقال ابن القيم: «قوله: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين} فالتي جعلت

رجوما ليست هي التي زيّنت بها السماء، ولكن استطرد من ذكر النوع إلى نوع آخر، وأعاد ضمير الثاني على الأول؛ لدخولهما تحت جنس واحد». «شفاء العليل» (٢/ ٣٢٤).

وقال ابن كثير: «قوله: {وجعلناها رجوما للشياطين} عاد الضمير في قوله: {وجعلناها} على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٧).

وقال ابن كثير: «{وأعتدنا لهم عذاب السعير} أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى، كما قال في أول الصافات: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد. لا يسّمّعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب. دحورا ولهم عذاب واصب. إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٧).

وقال السعدي: «ولا ينافي إخباره أنه زيّن السماء الدنيا بمصابيح أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها». «تفسير السعدي» (ص٨٧٦).

(وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور * تكاد تميّز من الغيظ):

قال ابن رجب: «قال تعالى: {وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا. إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا}، وقال تعالى: {وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير. إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور. تكاد تميّز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير}.

والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار...

وقال ابن زيد: التميّز: التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله عز وجل، غضباً له عز وجل وانتقاماً

له...

عن ابن عباس، قال: إن العبد ليجرّ إلى النار، فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة، لا يبقى أحد إلا خاف. خرّجه ابن أبي حاتم...

وعن الضحاك قال: إن لجهنم زفرة يوم القيامة، لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا خرّ ساجداً، يقول: ربّ نفسي نفسي.

وعن عبيد بن عمير، قال: تزفر جهنم زفرة، لا يبقى ملك ولا نبي إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه، يقول: ربّ نفسي نفسي...

وعن وهب بن منبه قال: إذا سيّرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها، صرخت الجبال كما تصرخ النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها، يدقّ بعضها بعضـاً. خرّجه الإمام أحمد...

وقال الليث بن سعد، عن عبيد الله بن أبي جعفر: إن جهنم لتزفر زفرة، تنشقّ منها قلوب الظلمة، ثم تزفر أخرى، فيطيرون في الأرض، حتى يقعوا على رؤوسهم. خرجه عبد الله بن الإمام أحمد...

وخرج أبو نعيم وغيره، من رواية عبد الرحمن بن حاطب، قال عمر رضي الله عنه لكعب: خوّفنا، قال: والذي نفسي بيديه، إن النار لتقرب يوم القيامة، لها زفير وشهيق، حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة، ما خلق الله من نبي ولا شهيد، إلا وجب لركبتيه ساقطـاً، حتى يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد: اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبيـاً لظننت أن لا تنجو. قال عمر: والله إن الأمر لشديد...

وكان سعيد الجرمي يقول في موعظته -إذا وصف الخائفين-: كأن زفير النار في آذانهم.

وعن الحسن، أنه قال في وصفهم: إذا مروا بآية فيها ذكر الجنة بكوا شوقـاً، وإذا مروا بآية فيها ذكر النار ضجوا صراخـاً، كأن زفير جهنم عند أصول آذانهم.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن أبي وائل قال: خرجنا مع ابن مسعود، ومعنا الربيع بن خثيم، فأتينا على تنور على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: {إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظـاً وزفيراً}. إلى قوله: {ثبوراً}، فصعق الربيع بن خثيم، فاحتملناه إلى أهله، فرابطه عبد الله حتى صلى الناس الظهر، فلم يفق، ثم رابطه العصر فلم يفق، ثم رابطه إلى المغرب فأفاق، فرجع عبد الله

إلى أهله». «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» (ص١٠٥-١٠٩).

(كلّما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير):

قال ابن كثير: «يذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه، كما قال: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}، وقال تعالى: {حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين}... عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم)، وفي حديث آخر: (لا يدخل أحد النار، إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٨).

وقال السعدي: «جمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله، ولم يكفهم ذلك، حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين، وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالا كبيرا، فأيّ عناد وتكبر وظلم يشبه هذا؟!». «تفسير السعدي» (ص٨٧٦).

(وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير):

قال ابن القيم: «قال الله تعالى: {ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم}، ومعلوم أنهم قد سمعوا القرآن، وأمر الرسول بإسماعهم إياه. وقال تعالى: {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير}، فهذا السمع المنفي عنهم سمع الفهم والفقه، والمعنى: ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم سمعا ينتفعون به، وهو فقه المعنى وعقله، وإلا فقد سمعوه سمعا تقوم به عليهم الحجة، ولكن لما سمعوه مع شدة بغضه وكراهته ونفرتهم عنه لم يفهموه ولم يعقلوه، والرجل إذا اشتدت كراهته للكلام ونفرته عنه لم يفهم ما يراد به، فينزّل منزلة من لم يسمعه، قال الله تعالى: {ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون} نفى عنهم استطاعة السمع مع صحة حواسهم وسلامتها، وإنما لفرط بغضهم ونفرتهم عنه وعن كلامه صاروا بمنزلة

من لا يستطيع أن يسمعه ولا يراه». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٧٩).

وقال السعدي: «{وقالوا} معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: {لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير}، فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيّدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علما ومعرفة وعملا، والأدلة العقلية المعرّفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم -في الإيمان- بحسب ما منّ الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختصّ بفضله من يشاء، ويمنّ على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير». «تفسير السعدي» (ص٨٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الملك ١-١١

١- احرص على حفظ سورة الملك وتدبّرها، واقرأها كل ليلة قبل النوم، حتى تكون بركة لك في حياتك، ومنجية لك من عذاب القبر، وشافعة لك يوم القيامة.

٢- ربنا عز وجل قد تبارك في ذاته وأسمائه وصفاته، فكثُرت أسماؤه الحسنى، وتنوّعت صفاته العُلى، فكان لعباده المؤمنين أوفرُ الحظّ من آثار صفاته، فهم المرحومون برحمته، المغفور لهم بمغفرته، المُكرَمون بكرامته، المؤيّدون بمعيّته، المنصورون بنصره (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير).

٣- خلقك الله في هذه الحياة الدنيا لتنتقل منها إلى حياة أخرى لا لتبقى فيها، فسعادتك في أن تُحسن العمل في هذه الدنيا بالإخلاص لله عز وجل، والاتّباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتفوز بحياة كريمة آمنة مستقرّة سعيدة في الجنة (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور).

٤- تأمّل في خلق الله للسماوات، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وما فيها من إتقان وإحسان، وسعة وعظمة، وحُسن وجمال، واقرأ ما كُتب في ذلك من كتابات علمية لتزداد تعظيما لله رب العالمين، وقل دوما: تبارك الله أحسن الخالقين (الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير).

٥- خلق الله النجوم زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، وليس لها من تدبير أمور الكون شيء، فلا تغترّ بالمنجّمين والكهّان والعرّافين (ولقد زينّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير).

٦- اعلم أن عذاب جهنم شديد للغاية، ولن يحتمل أحد غمسة واحدة فيها، بل ستطيش العقول بمجرد رؤية مجيئها، وتنخلع القلوب بمجرد سماع شهيقها وزفيرها وزفراتها، فكيف بمن يدخلها؟ فاسأل الله السلامة منها، وأكثر من قول: اللهم أجرني من النار (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور * تكاد تميّز من الغيظ).

٧- من كمال عدل الله أنه لا يعذّب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه، ولأجل هذا أرسل الرسل وأنزل الكتب، فمن بلغته دعوة الإسلام ولم يُسلم استحقّ الخلود الأبديّ في النار، ولن يعذَّب أحد يوم القيامة إلا وهو يقرّ أنه مستحق للعذاب (كلّما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير).

٨- احرص على سماع آيات القرآن وأحكامه وأوامره ونواهيه وقصصه وأمثاله ومواعظه بأذن واعية وعقل حاضر، حتى يقودك القرآن إلى الجنان، وينجيك من النيران، وإياك والإعراض عن فهم القرآن وتدبره، حتى لا يكون حجة عليك يوم القيامة (وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسُحقًا لأصحاب السعير).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الملك ١٢-٢٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾

إن الذين يخافون الله في خلواتهم، لهم مغفرة لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم وهو الجنّة.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾

وأخفوا -أيها الناس- كلامكم أو أعلنوه، فالله يعلمه، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾

ألا يعلم الَّذي خلق الخلائق كلها السرّ وما هو أخفى من السرّ؟! وهو اللطيف بعباده، الخبير بأمورهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾

هو الَّذي جعل لكم الأرض سهلة ليّنة للسكن عليها، فسيروا في جوانبها وأطرافها، وكلوا من رزقه الَّذي أعدّ لكم فيها، وإليه وحده بعثكم للحساب والجزاء.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾

أأمنتم الله الذي في السماء أن يشق الأرض من تحتكم كما شقها من تحت قارون بعد أن كانت سهلة مذللة للسكن عليها، فإذا هي تضطرب بكم بعد استقرارها؟!

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾

أم أمنتم الله الَّذي في السماء أن يبعث عليكم حجارة من السماء مثل ما بعثها على قوم لوط؟! فستعلمون حين تُعَاينون عقابي إنذاري لكم، لكنكم لن تنتفعوا به بعد معاينة العذاب.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾

ولقد كذّبت الأمم التي سبقت هؤلاء المشركين، فنزل عليهم عذاب الله لما أصرّوا على كفرهم وتكذيبهم، فكيف كان إنكاري عليهم؟! لقد كان إنكارًا شديدًا.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ ١٩﴾

أَوَلم يشاهد هؤلاء المكذبون الطير فوقهم عند طيرانها، تبسط أجنحتها في الهواء تارة، وتضمّها إليها تارة

أخرى، ولا يمسكهنّ أن يقعن على الأرض إلا الله، إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه منه شيء.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾

لا جند لكم -أيها الكفار- يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، ليس الكافرون إلا مخدوعين، خدعهم الشيطان فاغترّوا به.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١﴾

ولا أحد يرزقكم إن منع الله رزقه أن يصل إليكم، بل الحاصل أن الكفار تمادوا في العناد والاستكبار، والامتناع عن الحق.

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾

أفمن يمشي واقعًا على وجهه؛ مُنْكَبًّا عليه -وهو المشرك- أهدى، أم المؤمن الَّذي يمشي مستقيمًا على طريق مستقيم؟!

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• طاعة الله وخشيته في الخلوات من أسباب المغفرة ودخول الجنّة.

• اطّلاع الله على ما تخفيه صدور عباده.

• الكفر والمعاصي من أسباب حصول عذاب الله في الدنيا والآخرة.

• الكفر بالله ظلمة وحيرة، والإيمان به نور وهداية.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الملك ١٢-٢٢

الكلمة	المعنى
يَخشَون ربَّهم بِالغَيب	يخافون الله وهم غائبون عن أعين الناس، ويخافون الله قبل أن يَرَوا العذاب
الّلطيف	المدبّر للأمورِ بِرِفقٍ وخَفَاء
الخبير	العليمُ بِبَوَاطنِ الأمور
ذَلُولًا	مُذلّلةً مُمَهّدةً لمنافعكم
في مَناكِبِها	في نَواحيها وجوانبِها
وإليه النُّشور	وإليه تُبعثون مِن القبور للحساب والجزاء
مَن في السّماء	اللهَ الذي في العلوّ
أن يَخسِفَ بِكم	أن يشقَّ الأرضَ مِن تحتِكم
تَمُور	تَضطربُ بكم وتَرتجّ
حَاصِبًا	ريحًا تَرجُمُكُم بالحجارة
كيفَ نذيرِ	كيف كان تحذيري لكم
فكيف كان نكيرِ	فكيف كان إنكاري عليهم بإنزال العذاب بهم
صَافّاتٍ ويَقبضْن	تَبسطُ أجنحتَها تارةً وتَضمُّها تارة
أمّنْ هذا الّذي	بل مَنْ هذا الذي؟
في غُرُور	في خِداعٍ من الشيطان
لَجُّوا	استَمرّوا وتمادَوا
في عُتُوٍّ	في عنادٍ واستكبار
ونُفُور	وفرارٍ من الحق
مُكِبًّا على وجهه	منكّسًا رأسه لا يدري أين يسير

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الملك ١٢-٢٢

(إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير):

قال ابن عطية: «قوله تعالى: (بالغيب) يحتمل معنيين:

أحدهما: بالغيب الذي أُخبروا به من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار، فآمنوا بذلك، وخشوا ربهم فيه، ونحا إلى هذا قتادة.

والمعنى الثاني: أنهم يخشون ربهم إذا غابوا عن أعين الناس، أي: في خلواتهم، ومنه تقول العرب: فلان سالم الغيب، أي: لا يضرّ، فالمعنى: يعملون بحسب الخشية في صلاتهم وعباداتهم وانفرادهم.

فالاحتمال الأول: مدح بالإخلاص والإيمان، والثاني: مدح بالأعمال الصالحة في الخلوات، وذلك أحرى أن يعملوها علانية». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٤٠).

وقال ابن عاشور: «قدّم المغفرة تطمينا لقلوبهم؛ لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم من الكفر قبل الإسلام، ومن اللمم ونحوه، ثم أعقبت البشارة بالأجر العظيم، فكان الكلام جاريا على قانون تقديم التخلية على التحلية، أو تقديم دفع الضرّ على جلب النفع». «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٢٩).

(وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور):

قال البغوي: «قال ابن عباس: نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم كي لا يسمع إله محمد، فقال الله جل ذكره: {ألا يعلم من خلق}». «تفسير البغوي» (٨/ ١٧٨).

وقال ابن القيم: «قوله: {إنه عليم بذات الصدور}، ليس المراد به عليم بمجرد الصدور، فإن هذا ليس فيه كبير أمر، وهو بمنزلة أن يقال: عليم بالرؤوس والظهور والأيدي والأرجل. وإنما المراد به: عليم بما تُضمره الصدور من خير وشر، أي: بالأسرار التي في الصدور وصاحبة الصدور، فأضافها إليها بلفظ يعم

جميع ما في الصدور من خير وشر». «الصواعق المرسلة» (٢/ ٩٦٣).

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير):

قال ابن تيمية: «قال تعالى: {وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير}، وقد استدل طوائف من أهل السنة بهذه الآية على أنه خالق أقوال العباد وما في صدورهم.

وهذه الآية تدل على كونه عالماً بالجزئيات من طرق:

أحدها: من جهة كون الخلق يستلزم العلم بالمخلوق.

والثاني: من جهة كونه في نفسه لطيفاً خبيراً، وذلك يوجب علمه بدقيق الأشياء وخفيّها». «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ١١٧).

وقال ابن القيم: «وقد اختلف في إعراب {مَن خلق} هل هو الرفع أو النصب؟

فإن كان مرفوعا فهو استدلال على علمه بذلك بخلقه له، والتقدير: إنه يعلم ما تضمنته الصدور، وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه. وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة؛ فإن الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيئته.

وإن كان منصوبا فالمعنى: ألا يعلم مخلوقه، وذكر لفظة (مَن) تغليبا؛ ليتناول العلم العاقل وصفاته.

وعلى التقديرين؛ فالآية دالة على خلق ما في الصدور، كما هي دالة على علمه سبحانه به». «شفاء العليل» (١/ ١٨٩).

وقال ابن كثير: «{ألا يعلم من خلق} أي: ألا يعلم الخالق. وقيل: معناه: ألا يعلم الله مخلوقه؟ والأول أولى، لقوله: {وهو اللطيف الخبير}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٩).

وقال السعدي: «ومن معاني اللطيف أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من العبد على

بال، حتى إنه يذيقه المكاره ليتوصّل بها إلى المحابّ الجليلة، والمقامات النبيلة». «تفسير السعدي» (ص٨٧٦).

(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور):

قال ابن القيم: «أخبر سبحانه أنه جعل الأرض ذلولا منقادة للوطء عليها وحفرها وشقها والبناء عليها، ولم يجعلها مستصعِبة ممتنعة على من أراد ذلك منها. وأخبر سبحانه أنه جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا. وأخبر أنه دحاها وطحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وثبّتها بالجبال، ونهج فيها الفجاج والطرق، وأجرى فيها الأنهار والعيون، وبارك فيها، وقدّر فيها أقواتها.

ومن بركتها أن الحيوانات كلها وأرزاقها وأقواتها تخرج منها.

ومن بركتها أنك تودع فيها الحب فتخرجه لك أضعاف أضعاف ما كان.

ومن بركتها أنها تحمل الأذى على ظهرها، وتخرج لك من بطنها أحسن الأشياء وأنفعها، فتواري منه كل قبيح، وتخرج له كل مليح.

ومن بركتها أنها تستر قبائح العبد وفضلات بدنه وتواريها، وتضمّه وتؤويه، وتخرج له طعامه وشرابه؛ فهي أحمل شيء للأذى وأعوده بالنفع. فلا كان من التراب خير منها وأبعد من الأذى وأقرب إلى الخير.

والمقصود أنه سبحانه جعل لنا الأرض كالجمل الذلول الذي كيفما يقاد ينقاد.

وحسن التعبير بـ (مناكبها) عن طرقها وفجاجها لما تقدم من وصفها بكونها ذلولا؛ فالماشي عليها يطأ على مناكبها، وهي أعلى شيء فيها، ولهذا فسّرت المناكب بالجبال؛ كمناكب الإنسان، وهي أعاليه. قالوا: وذلك تنبيه على أن المشي في سهولها أيسر.

وقالت طائفة: بل المناكب الجوانب والنواحي، ومنه مناكب الإنسان لجوانبه.

والذي يظهر أن المراد بالمناكب الأعالي، وهذا الوجه الذي يمشي عليه الحيوان هو العالي من الأرض دون الوجه المقابل له؛ فإن سطح الكرة أعلاها، والمشي إنما يقع في سطحها، وحسن التعبير عنه بالمناكب لما تقدّم من وصفها بأنها ذلول.

ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه الذي أودعه فيها؛ فذلّلها لهم، ووطّأها، وفتق فيها السبل والطرق التي يمشون

فيها، وأودعها رزقهم؛ فذكر تهيئة المسكن للانتفاع والتقلب فيه بالذهاب والمجيء والأكل مما أودع فيه للساكن.

ثم نبّه بقوله: {وإليه النشور} على أنّا في هذا المسكن غير مستوطنين ولا مقيمين، بل دخلناه عابري سبيل؛ فلا يحسن أن نتخذه وطنا ومستقرا، وإنما دخلناه لنتزود منه إلى دار القرار؛ فهو منزل عبور لا مستقر حبور، ومعبر وممر لا وطن ومستقر.

فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته ووحدانيته وقدرته وحكمته ولطفه، والتذكيرَ بنعمه وإحسانه، والتحذيرَ من الركون إلى الدنيا، واتخاذها وطنا ومستقرا، بل نسرع فيها السير إلى داره وجنته.

فلله ما في ضمن هذه الآية من معرفته وتوحيده، والتذكير بنعمه، والحث على السير إليه والاستعداد للقائه والقدوم عليه، والإعلام بأنه سبحانه يطوي هذه الدار كأن لم تكن، وأنه يحيي أهلها بعدما أماتهم، وإليه النشور». «الفوائد» (١/ ٢٣-٢٥).

وقال ابن كثير: «قال: {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها} أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردّدوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا، إلا أن ييسّره الله لكم؛ ولهذا قال: {وكلوا من رزقه} فالسعي في السبب لا ينافي التوكل، كما قال... رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم تتوكّلون على الله حق توكّله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا). رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة. وقال الترمذي: حسن صحيح. فأثبت لها رواحا وغدوًّا لطلب الرزق، مع توكلها على الله عز وجل، وهو المسخّر الميسّر المسبّب». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٧٩).

(أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير):

قال البخاري: «قال الله: {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا}.

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي: (كم تعبد اليوم إلها؟) قال: سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء، قال: (فأيّهم تُعدّ لرغبتك ولرهبتك؟) قال: الذي في السماء». «خلق أفعال العباد للبخاري» (ص٤٣).

وقال أبو الحسن الأشعري: «قال تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: (أأمنتم من في السماء) لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات... ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض». «الإبانة عن أصول الديانة» (ص١٠٥-١٠٧).

وقال البيهقي: «قال: {أأمنتم من في السماء} وأراد من فوق السماء، كما قال: {ولأصلبنّكم في جذوع النخل} يعني: على جذوع النخل، وقال: {فسيحوا في الأرض} يعني: على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية والله أعلم: أأمنتم من على العرش، كما صرّح به في سائر الآيات». «الاعتقاد للبيهقي» (ص١١٣).

وقال ابن تيمية: «هذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء: مثل قوله تعالى: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}، {إني متوفيك ورافعك إليّ}، {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض}، {أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا}، {بل رفعه الله إليه}، {تعرج الملائكة والروح إليه}، {يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه}، {يخافون ربهم من

فوقهم}، {ثم استوى على العرش} في ستة مواضع، {الرحمن على العرش استوى}، {يا هامان ابن لي صرحا لعلّي أبلغ الأسباب. أسباب السماوات فأطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا}، {تنزيل من حكيم حميد}، {منزل من ربك بالحق}، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله، وصعودها إليه.

وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: (فيخرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم).

وفي الصحيح في حديث الخوارج: {ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء}.

وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره:... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء...} وذكره.

وقوله في حديث الأوعال: (والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه). رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: (أين الله؟) قالت: في السماء، قال: (من أنا؟)، قالت: أنت رسول الله، قال: (أعتقها، فإنها مؤمنة).

وقوله في الحديث الصحيح: (إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش: إنّ رحمتي سبقت غضبي).

وقوله في حديث قبض الروح: (حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله تعالى).

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم وأقرّه عليه:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا...

وقوله في الحديث الذي في المسند: (إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفرا).

وقوله في الحديث: (يمدّ يديه إلى السماء: يا ربّ، يا ربّ).

إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينيا

من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوّين: أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا...

ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول: (ألا هل بلّغت؟)، فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكتها إليهم ويقول: (اللهم اشهد) غير مرة. وأمثال ذلك كثيرة». «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢-١٥).

وقال ابن القيم: «يا قومنا والله إنّ لقولنا ... ألفا تدل عليه بل ألفان

عقلا ونقلا مع صريح الفطرة الأ ... ولى وذوق حلاوة القرآن

كلٌ يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مباينُ الأكوان

أترون أنا تاركوا ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان

يا قوم ما أنتم على شيء إلى ... أن ترجعوا للوحي بالإذعان

وتحكّموه في الجليل ودقّه ... تحكيم تسليم مع الرضوان». «نونية ابن القيم» (ص٩٧).

(أولم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ويقبضن ما يُمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير):

قال القرطبي: «(أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات...) أي: كما ذلّل الأرض للآدمي ذلّل الهواء للطيور». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢١٧).

وقال ابن جُزي: «(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ) تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها، و(صافّات) جمع صافّة، وهي التي تبسط جناحها للطيران، والقبض: ضمّ الجناحين إلى الجنب. وعطف يقبض على صافات، لأن الفعل في معنى الاسم، تقديره: قابضات.

فإن قيل: لِمَ لم يقل: "قابضات" على طريقة (صافات)؟
فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران، كما أن مدّ الأطراف هو الأصل في السباحة، فذُكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة، فذُكر بلفظ الفعل لقلّته». «تفسير ابن جزي» (٢/ ٣٩٦).

وقال السعدي: «{ما يمسكهن إلا الرحمن} فإنه الذي سخر لهنّ الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر بها، دلّته على قدرة الباري، وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له». «تفسير السعدي» (ص٨٧٧).

(أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور * أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور):
قال ابن تيمية: «الخلق لو اجتهدوا أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بأمر قد كتبه الله لك، ولو اجتهدوا أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بأمر قد كتبه الله عليك، فهم لا ينفعونك إلا بإذن الله، ولا يضرونك إلا بإذن الله، فلا تعلّق بهم رجاءك. قال الله تعالى: {أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور. أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجُّوا في عتوّ ونفور}، والنصر يتضمن دفع الضرر، والرزق يتضمن حصول المنفعة، قال الله تعالى: {فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}، وقال تعالى: {أولم نمكّن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنّا}، وقال الخليل عليه السلام: {رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات} الآية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم؟)». «مجموع الفتاوى» (١/ ٣١).

(أفمن يمشي مكبّا على وجهه أهدى أمّن يمشي سويّا على صراط مستقيم):
قال الطبري: «قيل: (مُكبًّا) لأنه فعل غير واقع، وإذا لم يكن واقعا أدخلوا فيه الألف، فقالوا: أكبّ فلان

على وجهه، فهو مُكبّ... فإذا كان واقعا حُذفت منه الألف، فقيل: كببت فلانا على وجهه، وكبّه الله على وجهه». «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥١٥).

وقال ابن كثير: «{أفمن يمشي مكبّا على وجهه أهدى أمّن يمشي سويا على صراط مستقيم}، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبّا على وجهه، أي: يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى {أمن يمشي سويا} أي: منتصب القامة {على صراط مستقيم} أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يُحشر يمشي سويا على صراط مستقيم، مُفضٍ به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يُحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم، {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون. من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم. وقفوهم إنهم مسئولون. ما لكم لا تناصرون. بل هم اليوم مستسلمون}... قيل: يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: (أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم)، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الملك ١٢-٢٢

١- أعظم مراتب الإيمان، وأعلى درجات الإحسان أن تخشى الله وأنت خالٍ وحدك، بعيد عن أعين الناس، لا يمنعك من العصيان إلا مخافة الله، فإن بلغت هذه المنزلة مع انتشار المنكرات وقربها منك في الأجهزة الذكية وفي الواقع فقد امتحن الله قلبك للتقوى، فأبشر بمغفرة الذنوب، والأجر العظيم في الجنات، وإلا فجاهد نفسك، وتذكّر عظمة ربك جلّ جلاله، واعلم أنه يعلم سرّك وجهرك، وما تُخفيه في صدرك، فاستحيِ من نظره إليك، فإنه اللطيف الخبير، واسأله أن يرزقك خشيته في الغيب والشهادة (إنّ الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

٢- مِن أعظم نعم الله علينا أن سخّر لنا ما في الأرض جميعا، وجعل الأرض ممهّدة لسُكنانا، مذلّلة لمنافعنا، محقّقة لحاجاتنا، مهيّأة لسفرنا، ومنها تخرج أرزاقنا، وفيها ندفن فضلاتنا، فاحمد الله على ذلك حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور).

٣- الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه فوق سماواته، وهذا هو الذي دلّت عليه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، واتّفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو سبحانه يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، فلا يأمن المؤمن عذابه، ويعلم أنه سبحانه قادر على إنزال العذاب على خلقه متى شاء، كما فعل بكثير من الأمم السابقة، فاللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعل السفهاء منّا (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير * ولقد كذّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير).

٤- من دلائل ربوبية الله: تمكين الطيور من الطيران في جوّ السماء بقدرته، فلا يُمسكها إلا هو سبحانه وتعالى، فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ويقبضن ما يُمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير).

٥- من أهمّ ما يطلبه الإنسان في الدنيا تحصيل الخير ودفع الشرّ، وتحصيل الخير يكون بتأمين الأرزاق، ودفع الشرّ يكون بالنصر على الأعداء، ولا يقدر عليهما إلا الله، فهو الرزاق النصير، فإن اجتمعا لك

فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها (أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور * أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور).

٦- المؤمن يمشي في الدنيا مشية سويّة معتدلة، فيوحّد الله ويُفرده بالعبادة والتعظيم، ويتّبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فيكون له في الحياة هدف واضح، وصراط مستقيم، فإذا أتى يوم القيامة أمام الصراط وفّق للسير عليه سيرا سريعا لينجو من النار، ويدخل الجنة، وأما الكافر فإنه يتخبّط في سيره في الدنيا خبط عشواء، فلا يدري من يعبد، ولا كيف يعبد، فالهدف مشتّت، والصراط معوجّ، فإذا أتى يوم القيامة أمام الصراط تخبّط في سيره كما كان يتخبّط في الدنيا، فيقع في النار خاسئا ذليلا، فالحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم (أفمن يمشي مكبّا على وجهه أهدى أمّن يمشي سويّا على صراط مستقيم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الملك ٢٣-٣٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الَّذي خلقكم، وجعل لكم أسماعًا تسمعون بها، وأبصارًا تبصرون بها، وقلوبًا تعقلون بها، قليلًا ما تشكرونه على نعمه التي أنعم بها عليكم.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الَّذي بثكم في الأرض ونشركم فيها، لا أصنامكم التي لا تخلق شيئًا، وإليه وحده يوم القيامة تُجْمعون للحساب والجزاء، لا إلى أصنامكم، فخافوه واعبدوه وحده.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾

ويقول المكذبون بالبعث استبعادًا للبعث: متى هذا الوعد الَّذي تعدنا -يا محمد- أنت وأصحابك إن كنتم صادقين في دعواكم أنَّه آتٍ؟!

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦﴾

قل -أيها الرسول-: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم متى تقع إلا هو، وإنما أنا منذر واضحٌ في نذارتي لكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾

فلما حل بهم الوعد وعاينوا العذاب قريبًا منهم وذلك يوم القيامة تغيرت وجوه الذين كفروا بالله فاسودّت، ويقال لهم: هذا الَّذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين مستنكرًا عليهم: أخبروني إن توفّاني الله، وتوفَّى من معي من المؤمنين، أو رحمنا فأخّر في آجالنا، فمن ينجّي الكافرين من عذاب مؤلم؟! لن ينجيهم منه أحد.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هو الرحمن الَّذي يدعوكم إلى عبادته آمنّا به، وعليه وحده اعتمدنا في أمورنا، فستعلمون -لا محالة- من هو في ضلال واضح ممن هو على صراط مستقيم.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصبح ماؤكم الَّذي تشربون منه غائرًا في الأرض لا تستطيعون الوصول إليه، من يأتيكم بماء كثيرٍ جارٍ؟! لا أحد غير الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الملك ٢٣-٣٠

الكلمة	المعنى
أَنشَأَكُم	خَلَقكُم وأَوجدَكُم من العدَم
والأَفئِدَة	والقُلُوب
ذَرَأَكُم	نَشَرَكُم وبَثَّكُم
تُحشَرُون	تُجمَعُون للحساب والجزاء
رأوه زُلْفَةً	رأوا العذاب قريبًا منهم
سِيئَت	ظهرت عليها الذلّة والكآبة
كنتم به تَدَّعُون	كنتم تطلبون تعجيله استهزاءً وتكذيبا
أَرَأَيتُم	أخبِروني
أَهلَكَنِي	توفّاني
يُجِيرُ الكَافِرين	يُنجّي الكافرين ويَحمِيهِم
غَورًا	غَائرًا ذَاهبًا في الأرض، لا تستطيعون الوصول إليه
بِماءٍ مَعِين	بِماء جارٍ على وجه الأرض تراه العيون

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الملك ٢٣-٣٠

(قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون):

قال ابن عطية: «(قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) يقتضي ظاهره أنهم يشكرون قليلا، فهذا إما أن يريد به ما عسى أن يكون للكافر من شكر، وهو قليل غير نافع، وإما أن يريد جملة، فعبّر بالقلّة، كما تقول العرب: هذه أرض قلّ ما تنبت كذا، وهي لا تنبته بتة. ومن شكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه النعمة أنه كان يقول في سجوده: (سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره)». «تفسير ابن عطية» (٥/ ٣٤٣).

وقال ابن تيمية: «قال الله تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}، وقال: {ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون}، وقال: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا}، وقال: {وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة}، وقال: {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة}. وقال فيما لكل عضو من هذه الأعضاء من العمل والقوة: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها}.

ثم إن العين تَقصُر عن القلب والأذن وتفارقهما في شيء، وهو أنها إنما يرى صاحبها بها الأشياء الحاضرة، والأمور الجسمانية، مثل الصور والأشخاص، فأما القلب والأذن فيعلم الإنسان بهما ما غاب عنه، وما لا مجال للبصر فيه، من الأشياء الروحانية، والمعلومات المعنوية، ثم بعد ذلك يفترقان: فالقلب يعقل الأشياء بنفسه، إذ كان العلم هو غذاءه وخاصيته، أما الأذن فإنها تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب، فهي بنفسها إنما تحمل القول والكلام، فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ منه ما فيه من العلم، فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب، وإنما سائر الأعضاء حجبةٌ له، توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه، حتى إنّ من فقد شيئا من هذه الأعضاء فإنه يفقد بفقده من العلم ما كان هو الواسطة فيه، فالأصمّ لا يعلم ما في الكلام من العلم، والضرير لا يدري ما تحتوي عليه الأشخاص من الحكمة البالغة، وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئا، فمدار

الأمر على القلب، وعند هذا تستبين الحكمة في قوله تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها}، حتى لم يذكر هنا العين كما في الآيات السوابق، فإن سياق الكلام هنا في أمور غائبة وحكمة معقولة من عواقب الأمور لا مجال لنظر العين فيها، ومثله قوله: {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون}، وتتبين حقيقة الأمر في قوله: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد}». «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣١٠-٣١١).

وقال ابن كثير: «{قليلا ما تشكرون} أي: ما أقلّ ما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته، وامتثال أوامره، وترك زواجره». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٢).

وقال السعدي: «يقول تعالى -مبينًا أنه المعبود وحده، وداعيًا عباده إلى شكره، وإفراده بالعبادة-: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ} أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم كمّل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن، وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه مع هذا الإنعام {قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر». «تفسير السعدي» (ص٨٧٨).

(قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تُحشرون):

قال الماوردي: «{قُلْ هو الذي ذَرَأَكُمْ في الأرضِ} فيه وجهان:

أحدهما: خلقكم في الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثًا: أنشأكم فيها إلى تكامل خلقكم وانقضاء أجلكم». «تفسير الماوردي» (٦/ ٥٦).

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين):

قال البيضاوي: «(وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ) أي: الحشر، أو: ما وعدوا به من الخسف والحاصب». «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٣١).

وقال ابن كثير: «{قل إنما العلم عند الله} أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة، فاحذروه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٢).

وقال السعدي: «{وَيَقُولُونَ} تكذيبًا: {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} جعلوا علامة صدقهم أن يخبَروا بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد، فـ(إنما العلم عند الله) لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يُعرَف بأدلته، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد». «تفسير السعدي» (ص٨٧٨).

(فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون):

قال الماوردي: «{فلما رأَوْه زُلْفَةً سِيئَتْ وُجوهُ الذين كَفروا} فيه وجهان:

أحدهما: ظهرت المساءة على وجوههم كراهة لما شاهدوا، وهو معنى قول مقاتل.

الثاني: ظهر السوء في وجوههم ليدلّ على كفرهم، كقوله تعالى: {يوم تبيضُّ وجوه وتَسْوَدُّ وجوه}». «تفسير الماوردي» (٦/ ٥٧).

وقال ابن الجوزي: «(وَقِيلَ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) فيه قولان:

أحدهما: أنَّ «تدَّعون» بالتشديد، بمعنى تدْعون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» من الدعاء. يقال: دعوت، وادَّعيت، كما يقال: خَبَرْتُ وَاخْتَبَرْتُ، ومثله: يدّكرون، ويذكرون، هذا قول الفراء، وابن قتيبة.

والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعون الأباطيلَ والأكاذيبَ، تَدَّعون أنكم إِذا مُتُّم لا تُبْعَثُون؟! وهذا اختيار الزجّاج». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣١٦).

(قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يُجير الكافرين من عذاب أليم):

قال السعدي: «لمّا كان المكذّبون للرسول صلى الله عليه وسلم، الذين يردّون دعوته، ينتظرون هلاكه،

ويتربّصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: أنتم وإن حصلت لكم أمانيكم وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئًا، لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققتم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتّم وقوعه بكم؟ فإذًا، تعبكم وحرصكم على هلاكي غير مفيد، ولا مُجدٍ عنكم شيئًا». «تفسير السعدي» (ص٨٧٨).

(قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكّلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين):

قال السعدي: «{آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال وجودها وكمالها متوقفة على التوكل، خصّ الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه، كما قال تعالى: {وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}». «تفسير السعدي» (ص٨٧٨).

(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين):

قال الماوردي: «{فَمَنْ يأتيكم بماءٍ مَعِينٍ} فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن معناه العذب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطاهر، قاله الحسن وابن جبير ومجاهد.

الثالث: أنه الذي تمدّه العيون فلا ينقطع.

الرابع: أنه الجاري، قاله قتادة». «تفسير الماوردي» (٦/ ٥٧).

وقال ابن كثير: «{قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا} أي: ذاهبا في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر: عكس النابع؛ ولهذا قال: {فمن يأتيكم بماء معين} أي: نابع سائح جار على وجه الأرض، لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلّة والكثرة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٨٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الملك ٢٣-٣٠

١- من نِعم الله علينا أنه خلقنا وأوجدنا من العدم، وأعدّنا بالآلات التي نحتاج إليها في حياتنا، ومن أجلّها نعمة السمع والبصر والقلب، وسنرجع إليه سبحانه بعد الموت، فيُحاسبنا على النعم التي أمدّنا بها، هل أدّينا شكرها بالإيمان بالله وتصديق رسله والعمل لليوم الآخر، أم كان الأمر على خلاف ذلك؟ فاللهمّ أعنّا على أداء شكر نعمك (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون * قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تُحشرون).

٢- لا يعلم موعد قيام الساعة إلا الله سبحانه وتعالى وحده، فلا يعلمه ملَك مقرّب ولا نبيّ مرسَل، فلا تشغل نفسك بوقتها، بل بما أعددتَ لها (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين).

٣- إياك وادّعاء علم ما لا تعلمه، بل اجعل ديدنك نسبة العلم الذي لا تعلمه إلى الله (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين).

٤- لا تشغلنّك الدنيا وزينتها عن العمل للآخرة، فقد يأتيك الموت بغتة، فيسوؤك ما تراه من تقصيرك وتفريطك فيما خُلقت لأجله (فلمّا رأوه زُلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون).

٥- لا نجاة للكافر من عذاب الله، ولو تمتّع في الدنيا طويلا، فإن العذاب نازل به لا محالة، إما في الدنيا وإما في الآخرة (قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يُجير الكافرين من عذاب أليم).

٦- التوكّل على الله من أعظم العبادات القلبيّة، وهو علامة صدق الإيمان، ونقصه نقصٌ في الإيمان، فراقبْ توكّلك على الله في أمور دينك ودنياك، وتعاهدْه بالسقاية والرعاية (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكّلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين).

٧- الماء من أعظم نِعم الله علينا، بل لا حياة لنا بدونه، ولا يقدر على إيجاده وإخراجه إلا الله سبحانه وتعالى، ولو شاء لمنع المطر الذي هو مادّته، ولو شاء لأذهبه في الأرض فلم نستطع الوصول إليه، فلنؤدِّ شكر هذه النعمة بالحفاظ عليها، وعدم الإسراف في استعمالها، وتوفيرها للمحتاجين لها (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين).

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة الملك

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في سورة الملك.

أبدأ بالآية الأولى وهي قول الله تعالى: (تبارك الذي بيده الملك) هل يصح الوقف هنا؟

حسّن الأشموني الوقف هنا، ونصّ السجاوندي على أنه قد يجوز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الجملة الفعلية في قوله: (تبارك الذي بيده الملك) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة اسمية تضمنت بيان أن الله على كل شيء قدير، فمن نظر إلى هذا صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (وهو على كل شيء قدير) معطوف على صلة الموصول في قوله: (بيده الملك)، فصار تقدير الجملة عنده: تبارك الذي بيده الملك وتبارك الذي هو على كل شيء قدير، فإنه لم يُصحح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية: (الذي خلق الموت والحياة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ليبلوكم أيّكم أحسن عملا) تعليلٌ لهذا الخلق، فهو سبحانه خلق الموت والحياة ليبلونا، ولا يصح الوقف قبل التعليل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ليبلوكم أيّكم أحسن عملا)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أنه قد انتهى الخبر عن علّة خلق الموت والحياة هنا، ثم جاءت جملة اسمية معطوفة لبيان أن الله سبحانه وتعالى عزيز غفور، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة: (الذي خلق سبع سماوات طباقا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الخبر عن خلق السماوات الطباق قد انتهى هنا، ثم انتقل إلى مخاطبة الناس بجملة منفيّة تبين أنه لا يوجد في خلق الله سبحانه وتعالى من تفاوت، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن جملة النفي قد انتهت هنا في بيان أنه لا يوجد في خلق الله من تفاوت، ثم جاء أمر بالنظر مرة أخرى إلى السماء في قوله: (فارجع البصر هل ترى من فطور)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فارجع البصر)؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه السجاوندي؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (هل ترى من فطور) وإن كان استفهاما إلا أنه استفهام متعلق بالأمر في قوله: (فارجع البصر)، فتقدير الكلام: فانظر هل ترى في السماء من فطور، فلم يصحّ الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة: (ثم ارجع البصر كرّتين) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه الأشموني؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ينقلبْ إليك البصر خاسئا) هو جواب الأمر في قوله: (ارجع البصر) وهو مجزوم على أنه جواب الأمر، فلم يصح الوقف قبله. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة: (ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح) هل يصح الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا الأشموني وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (وجعلناها رجوما للشياطين) جملة معطوفة على جملة: (زيّنا السماء الدنيا بمصابيح) لكنها تضمّنت ضميرا، وهذا الضمير في قوله: (وجعلناها) راجع إلى المصابيح، ولا يظهر رجوع الضمير بشكل واضح إلا بالوصل، فالوصل هنا أولى. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وجعلناها رجوما للشياطين)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أنه قد انتهى هنا ذكر ما يتعلق بالسماء، فقد ذكر أمرين: الأول: أنه سبحانه زيّن السماء الدنيا بمصابيح. والثاني: أنه جعل هذه المصابيح رجوما للشياطين. ثم ذكر ما أعدّه للشياطين من العذاب في جملة مستقلة في قوله: (وأعتدنا لهم عذاب السعير)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية السادسة: (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الاسمية التي بُدئت بها الآية قد انتهت هنا، وانتهى معها ذكر العذاب للذين كفروا، ثم جاء بيان أن هذا المصير للذين كفروا مصير سيّء في قوله: (وبئس المصير)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة لا وقف فيها: (إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور).

الآية الثامنة: (تكاد تميّز من الغيظ) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الجملة الفعلية التي تضمنت بيان حال النار قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة تضمّنت معنى الشرط لبيان حال الذين يُلقوْن في النار في قوله: (كلّما أُلقيَ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة: (قالوا بلى) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قول أهل النار: (بلى) جواب عن سؤال خزنة النار حين قالوا لهم: (ألم يأتكم نذير) فقالوا: (بلى) وفُهم الجواب من هذا، ثم قالوا: (قد جاءنا نذير) وهذا الإظهار إنما هو من باب التحسر وزيادة الغم على تفريطهم في قبول النذير، وإلا فإن جوابهم قد ظهر بمجرد قولهم: (بلى)، فصار الوقف هنا له وجه. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قد جاءنا نذير)؟

نصّ على الوقف هنا الأنصاري وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن تفصيل الجواب عن سؤال الخزنة قد انتهى هنا، ثم ذكروا موقفهم من هذا النذير الذي جاءهم في قولهم: (فكذّبنا)، فصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فكذّبنا)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وقلنا ما نزّل الله من شيء) هو من باب بيان تتمة تكذيبهم، وذلك أنهم كذّبوهم وقالوا لهم في إطار تكذيبهم لهم: (ما نزّل الله من شيء)، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وقلنا ما نزّل الله من شيء)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (إن أنتم إلا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من تتمة قول الكفار الذين دخلوا النار في بيان موقفهم من النذير الذي جاءهم، فإنهم بيّنوا

أنهم كذّبوهم وقالوا لهم: (ما نزّل الله من شيء)، وقالوا لهم أيضا: (إن أنتم إلا في ضلال كبير)، وبناءً عليه لا يصح الوقف هنا.

ويحتمل أن يكون من قول الخزنة رداً على قولهم، فلما قالوا: (فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء) ردّ عليهم خزنة النار فقالوا: (إن أنتم إلا في ضلال كبير)، وبناءً عليه يصح الوقف هنا، فتكون هذه الجملة مستأنفة، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية العاشرة: (وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) لا وقف فيها.

الآية الحادية عشرة: (فاعترفوا بذنبهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الجملة الفعلية المتضمنة اعترافهم بذنبهم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة معطوفة تضمنت أنه بُعدًا لأصحاب السعير، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية عشرة: (إنّ الذين يخشون ربهم بالغيب) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه الأشموني؛ لماذا؟ لأن خبر (إنّ) لم يأت بعد، اسم (إنّ) في قوله: (الذين يخشون ربهم بالغيب)، والخبر في قوله: (لهم مغفرة وأجر كبير)، فلا وقف في هذه الآية. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة عشرة: (وأسرّوا قولكم أو اجهروا به) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى قال لهم: (وأسرّوا قولكم أو اجهروا به) وهذا الأمر ليس المراد به الأمر الحقيقي، وإنما المراد به أنكم سواءً أسررتم أو جهرتم فإن الله عليم بذات الصدور، كما قال في تتمة الآية: (إنه عليم بذات الصدور). فمن نظر إلى هذا منع من الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن هذا المعنى مفهوم من قوله: (وأسرّوا قولكم أو اجهروا به)، واعتبر جملة: (إنه عليم بذات الصدور) جملة مستأنفة، صحح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة عشرة: (ألا يعلم مَن خلق) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا السجاوندي، وحسّنه الأشموني، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (وهو اللطيف الخبير) هو من تتمة هذا الاستفهام في قوله: (ألا يعلم من

خلق)، أي: كيف لا يعلم الله من خلق وهو اللطيف الخبير الذي يعلم ما لَطُف ودقّ وخفي من الأمور؟ فمن نظر إلى هذا لم يُصحّح الوقف هنا.

ومن اعتبر أن الاستفهام قد انتهى عند قوله: (ألا يعلم من خلق)، وأن جملة: (وهو اللطيف الخبير) جملة مستقلة صحّح الوقف هنا، والاحتمال الأول أقرب. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة عشرة: (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) هل يصح الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا الأشموني رحمه الله وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الخبر المتضمن أن الله ذلّل لنا الأرض قد انتهى هنا، ثم جاء أمر بالاستفادة من تذليل هذه الأرض في قوله: (فامشوا في مناكبها). فمن نظر إلى هذا صحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (فامشوا في مناكبها) هو المراد من الإخبار عن تذليل الأرض، وليس المراد مجرد الإخبار بتذليل الأرض، فإن هذا أمر معلوم لدى الجميع، فإنه لم يصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والأقرب عدم الوقف. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فامشوا في مناكبها)؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه الأشموني؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وكلوا من رزقه) هو المقصود الحقيقي من الأمر بالمشي في مناكب الأرض، فليس المراد الأمر بالمشي المجرد، إنما المراد الأمر بالمشي للتكسّب والتجارة والأكل من رزق الله سبحانه وتعالى، فلم يصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وكلوا من رزقه)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الأمر بالسعي في الأرض والتكسّب والأكل من رزق الله فيها قد انتهى هنا، ثم جاء خبر بأننا سنرجع إلى الله في قوله: (وإليه النشور)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية السادسة عشرة: (ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) هل يصحّ الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا الأشموني وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (فإذا هي تمور) هو من تتمة بيان خسف الأرض، فالله سبحانه وتعالى قال لهم: هل أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فتصير حالها أنها تمور وتضطرب بكم؟ فمن نظر إلى هذا لم يصحّح الوقف هنا.

ومن اعتبر الاستفهام قد انتهى عند قوله: (أن يخسف بكم الأرض)، ثم قال: (فإذا هي تمور) من باب الإخبار عن حالها بعد الخسف، صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والأقرب عدم الوقف. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة عشرة: (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الاستفهام قد انتهى هنا، ثم جاء تهديد بعد الاستفهام في قوله: (فستعلمون كيف نذير)، فصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة عشرة: (ولقد كذّب الذين من قبلهم) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبْطي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الخبر المتضمن أن الأمم التي من قبلنا قد كذّبت رسلها قد انتهى هنا، ثم جاء استفهام معطوف بالفاء لتقرير كيف كان نكير الله عليهم بالعقاب، فمن نظر إلى هذا صحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (فكيف كان نكير) هو من تتمة ما أراد بالجملة السابقة أن نعتبر به، من أن تكذيبهم لم ينجّيهم من عذاب الله، فإنه لم يُصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة عشرة: (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافّات ويقبضن) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الاستفهام قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة نفي في بيان أنه لا يمسك الطير إلا الله، فصحّ الفصل بينهما.

على أن أكثر علماء الوقف والابتداء نصّوا على أن الوقف على قوله: (ما يمسكهن إلا الرحمن) أصح وأولى من الوقف على قوله: (ويقبضن)؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى بيّن أنه لا يمسك الطير في السماء إلا هو سبحانه برحمته، ثم جاءت بعدها جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إنه بكل شيء بصير)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية العشرون: (أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الاستفهام قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة نفي لبيان أن الكافرين في غرور، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الحادية والعشرون: (أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) هل يصحّ الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الاستفهام قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مبدوءة بـ(بل) التي للإضراب في قوله: (بل لجّوا في عتو ونفور)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الثانية والعشرون: (أفمن يمشي مكبّا على وجهه أهدى) هل يصحّ الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ، نصّ على المنع منه الأشموني؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (أمّن يمشي سويا على صراط مستقيم) هو من باب المقارنة، فكأنه قال: هل فلان أهدى أم فلان؟ فلا يصح الوقف قبل ذكر الطرف الآخر من المقارنة. والله تعالى أعلم.

الآية الثالثة والعشرون: (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ ووجهه: أن الخبر المتضمن ذكر نِعَم الله عليهم قد انتهى هنا، ثم جاء بيان حال الناس مع هذه النِعَم في قوله: (قليلا ما تشكرون)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الرابعة والعشرون: (قل هو الذي ذرأكم في الأرض) هل يصح الوقف هنا؟

حسّن الأشموني الوقف هنا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (وإليه تحشرون) هو داخل في عموم ما أُمر بقوله لهم: (قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون)، يعني: فكما أنه نشركم وبثّكم في الأرض فإنكم ستُجمعون إليه يوم القيامة. فمن نظر إلى هذا لم يُصحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (وإليه تحشرون) جملة مستقلة بنفسها صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والأقرب عدم الوقف. والله تعالى أعلم.

الآية الخامسة والعشرون لا وقف فيها: (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين).

الآية السادسة والعشرون: (قل إنما العلم عند الله) هل يصح الوقف هنا؟

حسّن الأشموني الوقف هنا، ورخّص فيه السجاوندي، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (وإنما أنا نذير مبين) هو من تتمة ما أُمر بقوله لهم. فمن نظر إلى هذا لم يصحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (وإنما أنا نذير مبين) جملة معطوفة مستقلة قائمة بنفسها في بيان المراد، صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية السابعة والعشرون: (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الاشموني تجويزا دون بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الجملة المتضمنة معنى الشرط قد انتهت هنا بفعلها وجوابها في قوله: (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا)، ثم جاء ذكر قول الملائكة لهم في قوله: (وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون)، فصارت هذه الجملة جملة مستأنفة، فمن نظر إلى هذا صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله: (وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون) معطوف على جواب (لمّا) في قوله: (سيئت وجوه الذين كفروا)، فإنه لم يُصحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

الآية الثامنة والعشرون: (قل أرأيتم إن أهلكنيَ الله ومن معيَ أو رحمنا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ، نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، وهو من الأخطاء الشائعة عند القراء؛ لماذا لا يصح؟ لأن جواب الشرط لم يأت بعد، أين الشرط؟ في قوله: (إنْ)، وفعل الشرط: (أهلكنيَ الله ومن معي أو رحمنا)، والجواب: (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم)، فلم تتمّ الجملة إلا في نهاية الآية، فلا وقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التاسعة والعشرون: (قل هو الرحمن) هل يُوقف هنا؟ أو يُوقف على قوله: (قل هو الرحمن آمنّا به)؟ أو يُوقف على قوله: (قل هو الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا)؟

حسّن الأشموني رحمه الله الوقف في المواضع الثلاثة، فيصح عنده أن تقرأ: (قل هو الرحمن) ثم تقف، (آمنا به) ثم تقف، (وعليه توكلنا)، وبقية علماء الوقف والابتداء لم يُصححوا الوقف إلا على قوله: (وعليه توكلنا).

وإذا تأملنا فإن قوله: (قل هو الرحمن) جملة اسمية قائمة بنفسها جاءت بعدها جملة فعلية في بيان حالنا مع علمنا أن الله هو الرحمن، وذلك أننا نؤمن به سبحانه، وكأنها تضمنت أننا آمنا به لأنه هو الرحمن سبحانه، ثم جاءت جملة اسمية في قوله: (وعليه توكلنا) لبيان حالنا في توكلنا على الله سبحانه وتعالى، فكأنها كذلك من تتمة بيان ما ترتب على معرفتنا بالرحمن سبحانه وتعالى، وهذا الذي مال إليه عامة علماء الوقف والابتداء هو الأقرب والأوجه. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، وهو من الأخطاء الشائعة لدى القراء؛ لماذا لا يصح؟ لأن قوله بعدها: (فمن يأتيكم بماء معين) هو جواب الشرط في قوله: (إن أصبح ماؤكم غورا)، ولا يصح الوقف قبل الجواب؛ لأن الجملة لم تتم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في سورة الملك. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.